

دَعَا شَاقٍ
 رَسَا إِلَى الْعَالَمِ
 بِقَوْلِهِ
 مُحَمَّدٌ رَسُوبُ الْكَرِيمِ مُحَمَّدٌ رَسُوبُ الْكَرِيمِ

دار الفنون والعلوم الإسلامية
 بيروت - لبنان



الفرد الملتزم	الاسم = الملتزمة	الموضوع الملتزم	الاسم الملتزمة	الفرد الملتزم	الموضوع الملتزم
---------------	------------------	-----------------	----------------	---------------	-----------------

الأسرة المسلمة	الجميع مسلم	الأمة المسلمة	الفرز المسلم	الأسرة المسلمة	الأمة المسلمة
----------------	-------------	---------------	--------------	----------------	---------------

القرء المسطور
الطبعة الأولى




الفرق المصنوع الفرق المصنوع

الأمة المسلمة

جميع الحقوق محفوظة © ٢٠١٩

الأمة المسلمة في رسالة التعاليم

الأمانة العامة للمجلس الأعلى للتعليم الأمانة العامة للتخطيط

جميع الحقوق محفوظة

الأمة المسلمة الإسلام لا يتقيد الأمة المسلمة

الأسرة النبوية

محمد عبد الله الخطيب

الطبعة الأولى

المستخرج المسمى: محمد عبد الحليم حامد

الأسرة المسلمة	الأسرة المسلمة	الأسرة المسلمة	الأسرة المسلمة	الأسرة المسلمة	الأسرة المسلمة
----------------	----------------	----------------	----------------	----------------	----------------

الجميع المسلم	الفرق المسلم	الأسرة المسلمة	الفرق المسلم	الجميع المسلم	الأسرة المسلمة
---------------	--------------	----------------	--------------	---------------	----------------

نظرات

في رسالة التعاليم

اعداد و تقديم

محمد عبد الله الخطيب

محمد عبد الحلیم حامد

« إن تكوين الأمم ، وتربية الشعوب ، وتحقيق الآمال ،
ومناصرة المبادئ ، تحتاج من الأمة التي تحاول هذا ، أو من
الفئة التي تدعو إليه على الأقل إلى قوة نفسية عظيمة ، تتمثل
في عدة أمور :

إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف ، ووفاء ثابت لا
يعدو عليه تلون ولا غدر ،

وتضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل ،

ومعرفة بالمبدأ وإيمان به وتقدير له ، يعصم من الخطأ فيه ،
والانحراف عنه ، والخديعة بغيره » (١) .

(١) مجموعة الرسائل - إلى أي شيء تدعو الناس ص ٤٥ .

تقديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين .

وبعد :

فإن العمل للإسلام يحتاج دائماً إلى بدايات سليمة ، فإنه وإن طال الطريق
سينمو ، ولقد اختار الإمام البنا ، البناء والتأسيس ، بناء الفرد المسلم ، والأسرة
المسلمة ، والمجتمع المسلم الذي سيثمر بلا شك الدولة المسلمة ،
والبداية السليمة من سماتها أنها لا تقصر في الأخذ الكامل بالأسباب ، ثم
هي بعد ذلك وقبله تتوكل على خالق الأسباب في كل شيء ، وصدق الله
العظيم إذ يقول :

﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على
ثufa جرف هار فانهار به في نار جهنم ﴾ (١)

إن البداية السليمة لا بد لها من تحديد الأهداف ، وتحديد سمات الشخصية
الإسلامية التي يحتاج إليها العمل الإسلامي اليوم ، ولقد جاءت رسالة التعاليم
وافية بهذا الغرض من خلال أركان البيعة ، والواجبات التي تحتاجها الحركة
لتحقيق الأهداف على ضوء المراحل ، كما حددت أصول الفهم التي تضبط
السلوك وتحديد العلاقات ، فلا تفريط ولا إفراط ولا اندفاع ولا طيش ، ولا
تعطيل لتستن .

والحديث عن رسالة التعاليم وما حوته من توضيح لطريق الدعوة ، وبيان

(١) سورة الثوبة : جزء من الآية ١٠٩ .

للعالم المستقبل ، قد وضعت قدم المسلم على بداية الطريق للوصول إلى الهدف وهو أن تكون كلمة الله هي العليا في هذا الكون .

إن الحديث عن هذه الرسالة ما هو إلا سباحة في جوانبها ، وليس شرحاً لها بالمعنى التقليدي المعروف ، وإن شئت فقل هي قراءة جديدة لها .

والسبب في هذا ، أن الوقوف من هذه الرسالة موقف الشارح مرتقى صعب ، تقصر دونه هامات الرجال .

والذي يلفت النظر لكل من يتعامل معها : دقة العبارة مع الإيجاز والتركيز ، ووضوح الداعية الصادق في حديثه الذي يطرُق أبواب العقول ويفتحم القلوب ويهز الضمير ، ويستقر في أعماق النفوس والقلوب والعقول .

يقول الأستاذ عمر التلمساني - رحمه الله - عن الإمام الشهيد :

« عالم عبقرى عجيب من المشاعر الحية الجياشة ، والروحانيات الصافية النقية ، والإلتزام الكامل بأمراض الأمة ، ووضع العلاج لها ، ولقد عودنا رحمه الله أن يكتب كما تحدث من غير تكلف ، أو اهتمام بتبويب أو تقسيم ، فما الذي جعله في رسالته هذه يتجه اتجاه آخر لا عهد له به ؟ »

ثم يبين رحمه الله السبب في هذا فيقول : « إنها المكانة الخطيرة التي تحتلها هذه الرسالة ، والدور البالغ الأهمية ، الذي أراد لها أن تضطلع به في بناء الصنف المؤمن السليم » .

لقد أراد رحمه الله أن يحدد في هذه الكلمات الإطار الفكري والعملي للجماعة ، ولقد وفق توفيقاً عظيماً لا ينبغي إلا لامثاله من الدعاة الصادقين المخلصين المتجردين فجاءت رسالة التعاليم نموذجاً فريداً يحدد بدقة ويرسم بعناية ، ضوابط الفهم ، ودعائم التربية ، وأصول الحركة لجماعة الإخوان المسلمين ، في فترة الدعوة وطور التكوين جميعاً ، كل ذلك في بيان موجز دقيق محكم لا يعدو العشرين صفحة من الحجم الكبير .

ويعلق الأستاذ المرشد عمر التلمساني رحمه الله على هذه الرسالة وغيرها

فيقول : « إن كل من يقرأ رسائل الإمام الشهيد ليحبب العجب كله ، كيف ألهم الله هذه الداعية المخلص المتحرك ، كيف ألهمه أن يضع أوسع المعاني في أوجز الكلمات ، وبصورة واضحة وضوحاً لا لبس فيه ولا خفاء ، هذه الرسالة النافعة المحركة للهمم ، والدافعة على العمل المثمر الجاد » .

ولقد قمنا بالتعليق على الرسالة والتقديم لها ، من باب الحرص على تمام الفائدة ، ومن باب العون على العمل للإسلام لكل من شرح الله صدره للجهاد ولتنصرة هذا الحق .

ولما كان شبابنا الطاهر بفطرته السليمة ، قد أصبح متجهاً إلى التمسك بتعاليم الإسلام ، وحريصاً على أن يعيش بها بين الناس بخطى متأنية ثابتة ، بعيداً عن الإثارة والمغامرات الطائشة الهوجاء ، فقد لزم معاونته وشد أزره ، فأقبلنا على التعقيب على هذه الرسالة والتعليق عليها ، بما يتناسب مع الفهم الصحيح في تقديرنا ، وقد يعتريه الخطأ شأن كل آدمي .

ولعل في هذا العمل المتواضع الذي نقدمه مساهمة في نشر الوعي الإسلامي الصحيح ، والفهم الإسلامي الصحيح ، وتمهيد الطريق أمام المد الإسلامي الحي المتدفق ، والصحة الإسلامية المباركة ، لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ (١) .

وإنه العهد بين العبد وربّه ، باع العبد بمقتضاه نفسه لله ، واشترى بهذه البيعة جنة عرضها السموات والأرض ، أعدت لكل من عاهد الله أن يدعو إليه ، صابراً محتسباً على ما يلاقه ، فإلى كل مسلم يعلم أن الطريق إلى الجنة محفوف كنهه بالمكاره ، وأن سلعة الله غالية ، وأن الطريق إلى النار محفوف بالشهوات ، نقدم - نظرات في رسالة التعاليم - راداً على الطريق ، ومنارة عالية يتطلع إليها من أراد له الخير ووقفه إلى ما يحب ويرضى .

(١) سورة هود : الآية ٨٨ .

وقد رجعنا في إعداد هذه الرسالة إلى كل ما كتبه الإخوة الأحاب في التعليق عليها أو احدث عنها ، مما كان له أطيب الأثر في ظهورها في هذا الثوب النشيب ، والمطلوب من الإخوة دوام القراءة فيها ، والدراسة لها ، والعمل بمقتضاها . . . فإن من فهمها فقد فهم دعوة الإخوان المسلمين .

وقد تفضل أستاذنا الشيخ عبد المنعم تليوب بمراجعة الرسالة عما أضفى عليها قيمة علمية كبيرة ، فجزاه الله خير الجزاء وتقبل منه هذا الجهد كما قام بالمراجعة أيضاً الأستاذ مصطفى مشهور ، وأضاف إلى الرسالة بعض الملاحظات ، والتوجيهات الطيبة المفيدة ، تقبل الله منا ومنه هذا الجهد الكريم .

محمد عبد الله الخطيب

القاهرة :

الثلاثاء ٧ من شوال ١٤١٠ هـ

١ مايو ١٩٩٠ م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على إمام المتقين وقائد المجاهدين سيدنا محمد النبي
الأمين وعلى آله وصحبه ومن تبع هداهم إلى يوم الدين .

أما بعد :

فهذه رسالتي إلى الإخوان المجاهدين من الإخوان
المسلمين ، الذين آمنوا بسمو دعوتهم وقدسيت فكرتهم ، وعزموا
صادقين على أن يعيشوا بها أو يموتوا في سبيلها ، إلى هؤلاء
الإخوان فقط أوجه هذه الكلمات الموجزة ، وهي ليست دروساً
تحفظ لكنها تعليمات تنفذ ، فالى العمل أيها الإخوة الصادقون
﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وسرُدون إلى
عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ (١) ﴿وان هذا
صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله
ذلك وصاكم به لعلكم تتقون﴾ (٢) .

أما غير هؤلاء فلهم دروس ومحاضرات ، وكتب ومقالات وإداريات ، وكل
وجهة هو مولئها ، فاستيقوا الخيرات ، وكلاً وعد الله الحسنى ،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حسن البنا .



(٢) سورة الأنعام : الآية ١٥٣ .

(١) سورة التوبة : الآية ١٠٥ .

حديث مع الإمام البنا رضي الله عنه

الإمام البنا رجل داعية ، وداعية مخلص ، والدعوة التي قام عليها ومارسها هي دعوة الأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام وهي دعوة الإسلام ، حملها ووطن نفسه على العمل بها ولها وانطلق يكتب ويخطب ويحاضر ويدعو ويبلغ ويرى وفي زمن وجيز انتشر مد الإسلام على الأرض التي فتحها عمرو بن العاص ومن معه من الغر الميامين وحوك طبع شعبها إلى فطرة الله التي فطر الناس عليها .

وضاق أعداء الحق والنور به وبما يدعو إليه ، لكن بعد أن قام البناء ووضع الأساس الذي ثبته بشهادته في سبيل دعوته وجاء تلاميذه من بعده يواصلون المسيرة رغم الأحقاد ، ورغم الأحقاد فهم أهل الصبر على عهدهم ، قال تعالى ﴿ والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا ... ﴾ .

إن مصاحبة هؤلاء الدعاة مصاحبة وجدانية تملأ القلب والنفس باليقين ، واللقاء معهم وجدانياً لقاء طيب ومبارك بكل المقاييس ، وهذا الحديث تخيل لبعض الاستمعة الهامة والإجابة عليها من كلامه رضي الله عنه ، وهذا صوت حبيب من الماضي القريب فماذا قال ؟

* فضيلة الإمام ... بصراحة من أنتم ؟

بهدهو غريب ... وبحركة مستأنية تنم عن يقين راسخ لا يتجلى إلا في أصحاب الدعوات الحققة قال :

- نحب أن نصارح الناس بغايتنا وأن نخلي أمامهم منهاجنا ، وأن نوجه إليهم دعوتنا في غير لبس ولا غموض أضوا من الشمس ، وأوضح من فلق الصبح ، وأبين من غرة النهار . ونحب مع هذا أن يعلم قومنا - وكل المسلمين قومنا - أن دعوة الإخوان المسلمين دعوة بريئة نزيهة ، قد تسامت في نوازلها حتى جاوزت

المطامع الشخصية واحتفرت المنافع المادية وخلقت وراءها الأهواء والأغراض ،
ومضت قدما في الطريق التي رسمها الحق تبارك وتعالى للداعين إليه : ﴿ قل
هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من
المشركين ﴾ (١) .

ونحب كذلك أن يعلم قوما أنهم أحب إلينا من أنفسنا وأنه حبيب إلى هذه
النفوس أن تذهب فداء لعزتهم إن كان فيها الفداء . . . وأقول : إنه عزيز علينا
جد عزيز أن نرى ما يحيط بقومنا ثم نستسلم للدلل أو نرضى بالهوان أو نستكين
للئاس ، فنحن حين نعمل للناس في سبيل الله أكثر مما نعمل لأنفسنا ، فنحن
لكم لا نغيركم أيها الأحباب ، ولن نكون عليكم يوماً من الأيام .

*** فضيلة الإمام .. أنني أطمع في الاقتراب منكم أكثر من ذلك**

نظر إلي كالمسائل . . . هل منعت عنك شيئاً . . . كن على يقين تام من أنني لن
أنهى عنك شيئاً . . .

فجاءت قلت . . . ما مهمتكم ؟

ابتسم وهو ينظر إلي . . . وقال : اسمع . . . مهمتنا نحن الإخوان المسلمين :
أن نقف في وجه هذه الموجة الطاغية من مذنية المادة وحضارة الشح
والشهوات ، والتي جرفت الشعوب الإسلامية فأبعدتها عن زعامة النبي ﷺ
وهداية القرآن وحجرت العالم من أنوار هاديها وأخرت تقدمه مئات السنين ،
حتى تنحسر عن أرضنا ويبرأ من بلائها قومنا ، ولستنا واقفين عند هذا الحد بل
سنلاحقها في أرضها ، وسنغزوها في عقر دارها حتى يهتف العالم كله باسم الله
ويؤمن الدنيا كلها بتعاليم القرآن وينتشر ظل الإسلام والوارف على الأرض . .
هنا . . . أيها القارئ العزيز عاجلتني الطبع العجول . . . وكذبت أقول له :

وهل أنت أمل هذا . . . ولكنه استرسل يقول :

وحيثما يتحقق للمسلم ما يشده ، فلا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﷻ

(١) سورة يوسف : الآية ٨ - ١٠

الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴿ ١ ﴾

* فضيلة الإمام .. بعض الدعوات تفتقد الخصائص المكونة لها .. فما خصائص دعوتكم ؟

- أخى العزيز .. هل تريد الخصائص ... أم أخص الخصائص .. إذن إليك أخصها ؟

- دعوتنا ربانية عالمية .

أ - أما أنها ربانية : فلأن الأساس الذي تدور عليه أهدافنا جميعاً أن يتعرف الناس إلى ربهم ، و أن يستمدوا من فيض هذه الصلة روحانية كريمة تسمو بأنفسهم عن جمود المادة الصماء و محدودها إلى ظهور الإنسانية الفاضلة و جمالها . ونحن الإخوان المسلمون نهتف من كل قلوبنا « الله غايتنا » .

ب - وأما أنها عالمية : فلأنها موجهة إلى الناس كافة لأن الناس في حكمها إخوة فنعن لا نؤمن بالعنصرية الجنسية ، ولا نشجع عصبية الأجناس والألوان و تكنا ندعو إلى الأخوة العادلة الرحيمة بين بني الإنسان .

قلت له .. اسمح لي أن أوجه إليك أسئلة أكثر .. فإننى أحب أن أنقله إلى الناس ليتعرفوا ما أنتم عليه .. ويتشقى ما يصدر قوم من ريع قد ركسته في قلوبهم كراهات وأحقاد من أعداء النور .. فماذا نرى ؟
هو رأسه وقال .. في الوقت متسع .. وما دام الأمر دعوة .. فلنا لها أن شاء الله ..

* قلت : ما أهدافكم ، وما وسائلكم ؟

- بالاختصار .. أهدافنا تنقسم إلى أهداف عامة وهي :

١ - أن يتحرر الوطن الإسلامي من كل سلطان أجنبي وذلك حق طبيعي لكل إنسان لا ينكره إلا ظالم جائر أو مستبد فاجر .

(١) سورة الروم : الآيات : ٤ ، ٥ ، ٦

٢ - أن تقوم في هذا الوطن آخر دولة إسلامية حرة تعمل بأحكام الإسلام ، وتطبق نظامه الاجتماعي ، وتعلن مبادئه القومية ، وتبلغ دعواته الحكيمة للناس . ومن العقوق للإنسانية في هذه الظروف الحائرة أن تقوم فيها دولة تهتف بالمبادئ الظالمة وتتأدى بالدعوات الغاشمة ولا يكون في الناس من يعمل لتقوم دولة الحق والعدالة والسلام .

وأهداف خاصة تتعلق بمصر بسبب وضعها وحالتها الذي نأمل له ازدهاراً وحياة طيبة في ظلال دين الحق والعدل والسلام .

أما وسائلنا . . . فإنها هي الوسائل العامة للدعوات التي لا تتغير ولا تتبدل ولا تعدو هذه الأمور الثلاثة :

- ١ - الإيمان العميق .
- ٢ - التكوين الدقيق .
- ٣ - العمل المتواصل .

وأقول . . . هناك وسائل إضافية لا بد من الأخذ بها وسلوك سبيلها منها السلبي ومنها الإيجابي ومنها ما يتفق مع عرف الناس ومنها ما يخرج على هذا العرف ويخالفه ويناقضه ، ومنها ما فيه لين ومنها ما فيه شدة ولا بد أن نروض أنفسنا على تحمل ذلك كله والإعداد لهذا كله حتى نضمن النجاح .

*** فضيلة الإمام .. المجتمع من حولنا ينفلت .. وأعين الناس في رؤوسهم لا ينظرون إلى الإمام وإنما إلى فوق ... فكيف ترون إصلاح المجتمع المنفلت ... في طوفانه العارم ؟ ..**

- يهدوء أجاب . . . قبل كل شيء كن مؤمناً . . . لا تخمت . . . آمنت بالله .

قال . . . الأمر عند المؤمن حين وإليك ما نرمى إليه :

- ١ - الفرد المسلم : إن الإسلام يريد في الفرد وجداناً شاعراً يتذوق الجمال

والقبح ، وإدراكاً صحيحاً يتصور التصواب والخطأ ، وإرادة حازمة لا تضعف ولا تلين أمام الحق وجسماً سليماً يقوم بأعباء الواجبات الإنسانية حتى القيام ويصبح أداة صالحة لتحقيق الإرادة الصالحة وينصر الحق والخير .

٢ - البيت المسلم : سيكون للإصلاح الفردي أثره في الأسرة فإنما الأسرة مجموعة أفراد فإذا صلح الرجل وصلحت المرأة ، وهما عماد الأسرة استطاعا أن يكونا بيتاً نموذجياً على القواعد التي وضعها الإسلام .

٣ - الأمة المسلمة : وإذا صلحت الأسرة فقد صلحت الأمة وإنما الأمة مجموعة من الأسر ، وإنما الأسرة أمة مصغرة ، والأمة أسرة مكبرة ، وقد وضع الإسلام للأمة قواعد الحياة الاجتماعية السعيدة فعقد بين بنيتها أسرة الأخوة وجعلها قرينة الإيمان ، ورفع مستوى هذه الصلة إلى المحبة بل إلى الإيثار ، وقضى على كل ما من شأنه أن يمزق هذه الروابط أو يضعف هذه الوشائج وحدد الحقوق والواجبات والمصلات . ولم يدع من ذلك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

تردحم الأفكار في رأسي ويزداد عدد الأسئلة ... رأيت مطرفاً أتقى له سؤالاً فخالني أفكر في إجابة أكثر إسهاباً .. قال علي الفور .. هل تريد جواباً مطولاً أرجع إلى رسالتي المسماة « دعوتنا في طور جديد » فستجد ما تبتغيه !

*** قلت له : لكل دعوة حساد وأعداء .. وتكون أكثر ... عندها تقوم جماعة تنتصر للإسلام .. ويصفونكم بأنكم دعوة سياسية .. مع أنكم تقولون بالإسلام !**

ابنسم الرجل واعتدل في جلسته البسيطة وقال ...

- اسمع .. هل قيل لكم هذا الكلام ... وهل رددته أمامك رجل ورجلان وثلاثة ...

أجبت بأن نعم .

قال .. يقولون : إن الإخوان المسلمين قوم سياسيون ودعوتهم دعوة سياسية

ولهم من وراء ذلك مأرب أخرى ، ولا تدرى إلى متى تتقارض أمنا التهم
وتبادل الظنون وتتنازع بالآلغاب . وترك يقيناً يؤيده الواقع في سبيل ظن توجيه
الشكوك ؟

يا قومنا : إنا نناديكم والقرآن في بيتنا والسنة في شمسنا وعمل السلف
الصالحين من أبناء هذه الأمة قدوتنا وتدعوكم إلى الإسلام وتعاليم الإسلام
وأحكامه وهديه فإن كان هذا من السياسة عندكم فهذه سياستنا وإن كان من
يدعوكم إلى هذه المبادئ سياسياً فنحن أعرف الناس بالحمد لله في السياسة وإن
شئتم أن تسموا ذلك سياسة فقولوا ما شئتم فلن نضربنا بالاسماء متى وضحت
المسلمات وانكشفت الغايات .

* استاذي ... ما نظرتكم إلى القومية ... ؟

- القومية ... هي ... أيتها المفاهيم ... ما أكثر ما تحمل الكلمة من معان .
قومية المجد ... إن كان الذين يعتزون بمبدأ القومية يقصدون به أن الاختلاف
يجب أن يتهجوا نهج الأسلاف في مراقي المجد والعظمة ومذرك النبوغ والهمة
فهذا حسن وموافق لما يقول الرسول ﷺ : « الناس معادن خيارهم في الجاهلية
خيارهم في الإسلام إذا فقهوا » .

فها أنت ترى أن الإسلام لا يمنع من القومية بهذا المعنى الفاضل الشبل ...
وقس على هذا : « قومية الأمة وقومية التنظيم » .

أما إن كان لقراء بها إحياء عادات جاهلية ، درست وإقامة ذكريات بالثمة خللت ،
وتعقبة حضارة نافعة استقرت ، والتحليل من عقدة الإسلام ورباطه يدعوى
القومية والاعتزاز بالجنس كما فعلت بعض الدول في انغالاة بتحطيم مظاهر
الإسلام والعروبة حتى الأسماء والحروف وألفاظ اللغة ، وإحياء ما اندرس من
عادات جاهلية فذلك في القومية معنى ذميم وخيم العاقبة سيء الخبة ويؤدي

بالشرق إلى خسارة فادحة يضيع معها ثرائه وتتحط بها منزلته ويفقد أخص مميزات
وأقدس مظاهر شرفه ونبله ولا يضر ذلك دين الله شيئاً .

« وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .

*** فضيلة الإمام ... كيف تنظرون إلى واقع الحكومات وما عليه وضع الأمة ؟**

- تنهد ... ثم استغفر ... وأجاب أقول : عجيب أن تجد الشيوعية دولة
تهتف بها وتدعو إليها وتنفي في سبيلها وتحمل الناس عليها ! ، وأن تجد
المذاهب الاجتماعية والسياسية المختلفة أنصاراً أقوياء ينفون عليها أرواحهم
وعقولهم وأفكارهم وأقلامهم وأموالهم وصحفهم وجهودهم ويحبون ويموتون لها
. ولا تجد حكومة إسلامية تقوم بواجب الدعوة إلى الإسلام الذي جمع محاسن
هذه النظم جميعاً وطرح مساوئها وتقدمه لغيرها من الشعوب كنظام عالمي فيه
الحل الصحيح الواضح المريح لكل مشكلات البشرية مع أن الإسلام جعل الدعوة
فريضة لازمة وأوجبها على المسلمين شعوباً وجماعات قبل أن تخلق هذه النظم
وقبل أن يعرف فيها نظام الدعايات .

« ولئن كن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
وأولئك هم المفلحون » ^(١) ولذلك فالمهمة أننا نود أن تبني ونعمر فعلينا إحسان
الدعوة ، واجد في التكوين وتعليم النشء استقلال النفس والقلب واستقلال
الفكر والعقل واستقلال الجهاد والعمل ومله روحه الوثابة بحلال الإسلام
وروعة القرآن وأن نحيذه تحت لواء محمد ورايته وستره في القريب الحاكم
المسلم الذي يجاهد نفسه ويسعد غيره .

*** كان بودي يا فضيلة الإمام أن أسالك عن الحكومة في
الإسلام وعن نظام الحكم في الإسلام بيد أنني رأيت تقسيمكم
لهذا في رسالة « مشكلاتنا الداخلية في ضوء النظام
الإسلامي » من حيث دعائم الحكم الإسلامي وهي التي**

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٤

**حددناها بـ «مسئولية الحاكم ووحدة الأمة واحترام إرادتها»
فاكتفيت بإرجاع من يريد ذلك للرسالة المذكورة حيث يجد
شرح ما نريد بدل التطويل !**

أجاب الرجل : . . . نعم هذا صحيح .
قلت له : . . . سؤال لا أدري كيف أطرحه . . . هل أكون صريحاً جداً
فأقول : ما موقف دعوتكم أمام الخلافات الدينية والآراء المذهبية ؟

- قال : اعلم - فقهك الله - أولاً أن دعوة الإخوان المسلمين دعوة عامة لا
تنسب إلى طائفة خاصة ولا تنحاز إلى رأي عرف من الناس بلون خاص
ومستلزمات وتوابع خاصة وهي تتوجه إلى صميم الدين وليه ونود أن تتوحد
وجهة الأنظار والاهتمام حتى يكون العمل أجدى والإنتاج أعظم وأكبر .

ونحن مع هذا نعتقد أن الخلاف في فروع الدين أمر لا بد منه ضرورة ولا يمكن
أن نتحد في هذه الفروع والآراء والمذاهب لأسباب عدة :

منها اختلاف العقول في قوة الاستنباط أو ضعفه وإدراك الدلائل والجهل بها
والغوص ابتغاء أعماق المعاني وارتباط الحقائق بعضها ببعض والدين آيات
وأحاديث ونصوص يفسرها العقل والرأي في حدود اللغة وقوانينها والناس في
ذلك جد متفاوتون فلا بد من خلاف . ومنها سعة العلم وضعفه . وأن هذا بلغه
ما لم يبلغ ذاك والآخر شأنه كذلك . وقد قال مالك لا بأس جعفر أن أصحاب
رسول الله ﷺ تفرقوا في الأمصار وعند كل قوم علم فإذا حملتهم على رأي
واحدة تكون فتنة . . . ومنها اختلاف البيئات والتطبيق يختلف باختلاف كل بيئة
كما فعل الشافعي رضي الله عنه في مذهبه بين العراق ومصر .

ونحن نعتقد هذا فنلتزم العذر كل العذر - لمن يخالفوننا في بعض الفرعيات
ونرى أن هذا الخلاف لا يكون أبداً حائلاً دون ارتباط القلوب وتبادل الحب
 والتعاون على الخير وأن يشملنا وإياهم معنى الإسلام السابغ بأفضل حدوده
وأوسع مشتملاته .

* هل شخصتم أعراض أمراض هذه الأمة ... وإن كان ذلك قد حصل فما هو وما العلاج ؟

- قد علمتنا التجارب وعرفتنا الحوادث أن داء هذه الأمة الشرقية متشعب المتاحي كثير الأعراض وقد نال من كل مظاهر حياتها فهي مصابة في ناحيتها السياسية بالاستعمار من جانب أعدائها ، والحزبية والخصومة والفرقة والشتات من جانب أبنائها ، وفي ناحيتها الاقتصادية بانتشار الربا بين كل طبقاتها واستيلاء الشركات الأجنبية على مواردها وخيراتها ، ومن ناحيتها الفكرية بالفوضى المروق والإلحاد يهدم عقائدها ويحطم المثل العليا في نفوس أبنائها ، وفي الاجتماعية بالإباحية في عاداتها وأخلاقها والتحلل من عقدة الفضائل الإنسانية التي ورثتها عن الغر الميامين من أسلافها وبالتقليد الغربي يسري في شؤونها مريان لعاب الأقوى فيسقم دماءها ويعكر صفو هوائها . وبالقوانين الوضعية التي لا تزجر مجرماً ولا تؤدب معتدياً ولا ترد ظالماً ولا تغني يوماً من الأيام غناء القوانين السماوية التي وضعها خالق الخلق ، وبفوضى في سياسة التعليم والتربية تحول دون التوجيه الصحيح لنشئها ورجال مستقبلها وحملة أمانة النهوض بها ، وفي ناحيتها النفسانية بيأس قاتل وعمول مميت وجبن قاضح وذلة حقيرة وخنوثة فاشية وشح وأنانية تكف الأيدي عن البذل وتقف حجاباً دون التضحية وتخرج الأمة من صفوف المجاهدين إلى اللاهين اللاعبين .

إن داءً واحداً من هذه الأدواء يكفي لقتل أمة متظاهرة فكيف وقد تفشت جميعاً في كل أمة على حدة ؟ وأقول : لولا مناعة وحصانة وجلادة وشدة في هذه الأمة الشرقية لعفت آثارها وليادت من الوجود ... ولكن الله يأي ذلك والمؤمنون .

وأحب أن تعلم أننا لسنا يائسين ولا يتطرق اليأس إلى قلوبنا والحمد لله ... وكل ما حولنا يبشر بالأمل رغم تشاؤم المشائمين .

والعلاج يكمن في :

١ - المتهاجج الصحيح : وأعني به كتاب الله وسنة رسوله وأحكام الإسلام .
٢ - العاملون المؤمنون : والإخوان يطبقون ما فهموه من دين الله تطبيقاً لا
هوادة فيه ولا لين .

٣ - القيادة الحازمة الموثوق بها . ذلك يا أخي مجمل ما أردت أن أتحدث إليك
به عن دعوتنا هو تعبير له تعبير وأنت يوسف هذه الأحلام .

* قلت له : فضيلة الشيخ . . . أثقلت عليك . . . فأكفهر وجهه ثم ابتسم وقال
. . . ألسنت تقول إن هذا سوف تنشره للمسلمين . . . فأني أثقال هذا الذي
تقصده . . . وأي عذر تريد أن تبديه لي عندما تظن أنك أثقلت علي أو أخذت من
وقتي . . . وهل نحن إلا دعاة . . . هنا أو هناك ! قل ما تريد . . . ودع هذا
الكلام .

*** قلت : إذن هل من وصية تقدمها لناشئة الإسلام
وهم على الطريق ؟**

أجاب :
أيها الإخوان :

* آمنوا بالله واعتزوا بمعرفته والاعتماد عليه والاستناد إليه فلا تخافوا غيره ولا
ترهبوا سواه وأدوا فرائضه واجتنبوا نواهيه .

* وتخلقوا بالفضائل وتمسكوا بالكمالات . وكونوا أقوياء بأخلافكم أحراراً بما
وهب الله لكم من عزة المؤمنين وكرامة الأنبياء الصالحين .

* وأقبلوا على القرآن تتدارسونه وعلى السيرة المطهرة تتذكرونها وكونوا
عمليين لا جندليين فإذا هدى الله قوما ألهمهم العمل وما ضل قوم بعد هدى كانوا
عليه إلا أوتوا الجدل .

* وتحابوا فيما بينكم واحرصوا كل الحرص على رابطتكم فهي سر قوتكم
وعمداد نجاحكم واثبتوا حتى يفتح الله بينكم وبين قومكم بالحق وهو خير
الفاحين .

وفقتنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه وسلك بنا وبكم مسالك الأخيار المهتدين
وأحيانا حياة الأعداء السعداء ، وأمانات موت المجاهدين الشهداء إنه نعم المولى
ونعم النصير .

أخي المسلم :

إذا وصلت إلى هنا فارفع كفك للسماء وادع للذي وفي بعهده فمات موت
المجاهدين الشهداء . . . وادع الله أن يلحقنا به شهداء مجاهدين . . . فرحمة الله
عليك يا حسن البنا وأعلى الله مقامك عنده . آمين .



خصائص عامة ثابتة :

في الحديث السابق سئل الإمام ، ما هي خصائص دعوتكم ؟ فأجاب بأنها ربانية
عالمية ، وهذا أمر يحتاج إلى إلقاء الضوء عليه مع بيان بنية الخصائص فما المقصود
من قوله « ربانية » ؟ .

١ - معنى ربانية : أنها ليست دعوى وضعية ، وهي نقطة مهمة لأنها أساس
الانطلاق ، خاصة بالنسبة للشباب المثقف الذي يقارن أحيانا بين الإسلام ونظمه
ببعض العقائد والنظم الوضعية . فالربانية تستمد من الوحي المنزل على سيد
الخلق ، أي تستمد من القرآن ، فمن القرآن تستمد المفاهيم فإن لم يوجد فمن
السنة ، وهي التي تحققت في حياة الرسول ﷺ ، إن جميع القيم تستمد من
المصدر الرباني وترتبط ارتباطا وثيقا بنظام قيمنا الأخلاقية والتربوية ، وتعاملنا
في الحياة مفتوح إلى أبعد الحدود ، مفتوح على العلم بكل آفاقه ، وعلى التقدم
الاقتصادي والاجتماعي بكل أبعاده وعلى الصناعات الحديثة بكل فوائدها .

٢ - ومعنى عالمية : أنها تستمد خصائصها من مفهوم الإسلام الشامل كدين
الله للإنسانية كلها وعبر أدوار التاريخ ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ وتستمد خصائص
العالمية من مفهوم الأمة التي تجمع شعوبها العقيدة الواحدة لا جنس هذه

الشعوب ولألغاتها ولا ألوانها ، كما تستمد هذه الخاصية من الواقع التاريخي الذي أثبت خاصية الانفتاح على الأديان والأقوام والألوان .

٣ - حركة إيجابية : تؤكد أهمية هذه الحياة ولا تجعلها كل شيء على عكس المادية ، بل هي تنظر إلى الحياة الدنيا كجسر إلى الآخرة قال تعالى ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ في نظرتها إلى الكون لا تجعل الإنسان عاجزاً أمامه ولا تجعل منه رباً له ، بل تؤكد دور العقل ودور العاطفة ودور الإرادة في تغييره للانتفاع به ، فنظام الكون موضع تأمل ونظر للدلالة على بآفته سبحانه وتعالى ، ومظاهره المختلفة هي موضع التذوق الجمالي والكون نفسه مسخر للإنسان .

٤ - حركة واقعية : تؤمن بالواقع وتريد أن تعرفه وأن تتعامل معه وهي لا تنظر إلى الإنسان على أنه إله أو خاطيء ، أو حيوان ، بل تراه كما هو ، بشر وهو مخلوق كما أن الكون من حوله مخلوق وفي النظرة إلى المجتمع لا تعتبر الفرد كل شيء أو لا شيء بل تؤمن بأن الفرد من المجموع والمجموع من الفرد .

في النظرة إلى السياسة لا تقوم على أخلاق القوة أو الضعف أو اللا أخلاق ، أو أخلاق السادة والعيبد أو الصراع الطبقي ، بل تقوم على الحق المدعوم بالقوة المؤيدة بالحرية المحافظ على كرامة الإنسان وأصلاته .

٥ - حركة أخلاقية : تربط العبادة بالسلوك ، فجوهر الدعوة الأخلاقي ، وجوهر الحركة الأخلاقي ، وجوهر التفكير الأخلاقي فلها قيم أخلاقية عامة ، تتعامل بها مع المجتمع البشري وقيم أخلاقية تلتزم بها في المجتمع الإسلامي أما القيم العامة فهي وحدة النوع البشري في أصله ، أساسها العدل ، وأنا شهيد أن العباد كلهم إخوة .

حق الحياة للفرد والمجتمع البشري كله في سلام ، حتى الإنسان بصرف النظر عن أي اعتبار في الكرامة الإنسانية والحرية قولاً وعمر ، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ، أما القيم الخاصة ، فهي وحدة الإله ﴿ إنما هو إله

واحد ﴿ وحدة الدين ، ووحدة الأمة ، ورب واحد ودين واحد وأمة واحدة ،
الآخوة الإسلامية ﴾ إنما المؤمنون إخوة .

التكافل الاجتماعي والشوري والجهاد إيماناً بضرورة تبليغ الدعوة وصيانة الأمة .
فالقيم الخاصة هي التي تلتزم بها الحركة تجاه نفسها والقيم العامة هي التي تلتزم
بها تجاه غيرها .

٦ - حركة عقيدية : لم تكن الحركة الإسلامية في تاريخها كله مذهباً فلسفياً أو
تياراً ثقافياً . كانت دائماً حركة اجتماعية ، كما أنها لم تكن العقيدة يوماً ثقافة
نظرية بل ثقافة حية ، كان الدين فيها يؤدي وظيفته الاجتماعية ، هذه صفات
ثابتة تحدد ماهية الحركة الإسلامية وهي خصائص لازمة من طبيعة الإسلام ومن
السيرة النبوية ومن واقع الإسلام التاريخي في عصره الأول ، وكل ما قلناه مجرد
بيان للإجمالي الذي ورد في إجابة الإمام رضي الله عنه (راجع هذا الموضوع
بتمامه في مجلة المسلم المعاصر ...) .

أركان البيعة العشرة

١- الفهم

٢- الإخلاص

٣- العمل

٤- الجهاد

٥- التضحية

٦- الطاعة

٧- الثبات

٨- التجرد

٩- الإخوة

١٠- الثقة

الفصل الأول

ركن الفهم

يقول الإمام الشهيد : إنما أريد بالفهم :
أن نؤمن أن فكرتنا الإسلامية صميمة ،
وأن تفهم الإسلام كما تفهمه في حدود هذه الأصول العشرين
الموجزة كل الإيجاز .

أركان الصحة العشرة

القسم الأول
أركان الصحة العشرة

١- التغذية

٢- النوم

٣- الرياضة

٤- التوتر والقلق

٥- الصحة الجنسية

٦- الصحة العقلية

٧- الصحة الاجتماعية

٨- الصحة المهنية

الركن الأول

الفهم

ضرورة الفهم الصحيح ، والفهم الصحيح يعين على سلامة العمل ، وحسن التطبيق ، وبقي صاحبه من العثرات .

يقول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه :

« من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح » (١) .

والمخلص العامل الذي لا يحسن الفهم الصحيح ، ولا ينزل الأمور منازلها ، قد يضل ضلالاً بعيداً .

فقد حكم رسول الله ﷺ على أناس بالضلال وأنهم شر الخلق مع كثرة أعمالهم من الصلاة والصيام والتلاوة .

قال ﷺ في الخوارج ورثيهم :

« إن له أصحاباً يحقر أحدهم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم » (٢) .

وقال أيضاً : « هم شر الخلق والخليقة » (٣) .

وسبب هذا الضلال هو آفة الفهم المعوج والعقيم يقول الإمام ابن تيمية عن الخوارج :

« إنهم مع كثرة صومهم وصلاتهم ، وقراءتهم أخرجوا عن السنة والجماعة ، وهم قوم لهم عبادة وورع وزهد لكن بغير علم » (٤) .

(١) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ٢٥٠

(٢) فتح الباري : ٦ / ٧١٤ رقم ٣٦١

(٣) رواه مسلم : ٢ / ٢٥٠ رقم ١٠٦٧

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ٢٨

نعم إن العبرة في التفضيل ليست بكثرة المعارف والمحفوظات والأعمال وإنما
بجودة الفقه ، وصحة الفهم ، وسلامة الإدراك .

قال رسول الله ﷺ :

« فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد » (١) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

« لموت ألف عابد قائم الليل ، صائم النهار أهون من موت انعقل البصير
بمحلال الله وحرامه » (٢) .

وقال ﷺ :

« نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه إلى
من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه » (٣) .

نعم إن حفظ شيء طيب ولكنه كالجسد لا يحيا إلا بالروح ، والروح : الفهم
والفقه . . .

وقد فضل الله نبياً على نبي بسبب ما أعطى من عمق أبلغ في الفهم ، قال
تعالى : ﴿ ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً ﴾ (٤) .

وقد فضل ابن عباس رضي الله عنهما وهو حدث صغير على كثير من الكبار
بسبب ما آتاه الله من فهم حسن ، فاستحق أن يكون أحد أعضاء مجلس أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاحرص يا أخي على سلامة الفهم ودقته ،
الفهم الذي ينفذ إلى أعماق الأمور ، وينزل كل أمر منزله بلا إفراط ولا تفريط ،
الفهم الصافي النقي ، الشامل الكامل ، فمن رزقه الله الفهم الصحيح فقد أوتي
خيراً كثيراً ، وفضلاً عظيماً ، وأمن الزلل ، ووقى العلل .

(١) رواه الترمذي : ٤٦/٥ رقم ٢٦٨١

(٢) جامع بيان العلم وفضله : ابن عبد البر : ٢٦/١

(٣) رواد أبو داود : ٣/٣٢١ رقم ٣٦٦٠ ، والترمذي : ٣٣/٥ رقم ٢٦٥٦

(٤) سورة الأنبياء : الآية ٧٩

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله :
 « صحة الفهم ، وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده ،
 بل ما أعطى عبد عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما ، بل هما ساقا
 الإسلام ، وقيامه عليهما ، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسده
 قصدهم ، وطريق الضالين الذين فسدت فهمهم ، وبصير من انعم عليهم الذين
 حسنت أفهامهم وقصودهم ، وهم أهل الصراط المستقيم ، الذين أمرنا أن نسال
 الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة .
 وصحة الفهم نور يقدفه الله في قلب العبد ، يميز به بين الصحيح والفساد ،
 والحق والباطل ، والهدى والضلال ، والغنى والرشاد . . . » (١)
 بعد بيان أهمية الفهم ، وقضاه على ما سواه ، واستحقاقه للتقديم ، نشرع في
 بيان مراد الشهيد بركن الفهم .

مداخل عام

حول الأصول العشرية

١ - ضرورة الفهم الصحيح :

لعل من المفيد أن نقدم لهذه الرسالة بموجز يتناول أهم التوجيهات كمدخل
 يعين القارئ .

إن هدف الإخوان وهو إقامة دولة الإسلام وخلافته يعني المتمكين لهذا الدين
 الذي ارتضاه الله للناس كافة وحتى قيام الساعة قال تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ
 الْإِسْلَامُ﴾ (٢) وقال جل شأنه : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ
 نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٣) .

(١) إعلام الموقعين : ابن القيم : ٨٧/١

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٩ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٣ .

وقال سبحانه : ﴿ ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ (١)

وفي الصحيح : « والذي نفس محمد بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » (٢)

ولهذا كان لازماً أن يتم هذا التمكين على الفهم الصحيح الشامل للإسلام ، الفهم السليم النقي كما جاء به رسول الله ﷺ ، ولا يمكن أن يمكن لهذا الدين بفهم ناقص أو منحرف أو فيه خطأ .

والذي فرق المسلمين وجعلهم فرقاً وطوائف ، هو اختلافهم في فهمهم للإسلام وعقيدته .

لذلك حرص الإمام البنا على الفهم الصحيح وجعله الركن الأول ووضع له أصولاً عشرين يحميه من الخطأ أو الانحراف ، ولو لم يكن الفهم ركناً من أركان البيعة لظهرت في محيط الإخوان مدارس فكرية متعددة ، ولم تكن جماعة واحدة ، ولكن الآن يعتبر كل أخ عامل حارساً أميناً على هذا الفهم من أي تغيير أو انحراف ، وفاء لبيعته مع الله فليلتزم بحدوده في حركته ، أو في حديثه أو في تأليفه أو كتابته أو غير ذلك .

ولعل أول ما يلفت النظر هنا أن الإمام البنا كان يعتبرها بيعة بين الجند والقائد ، ولذلك جاء في أول سطر منها (أركان « بيعتنا » عشرة فاحفظوها) كما ذكر في ركن « الطاعة » تحت بند « التنفيذ » : وعلى هذا بايع الصف الأول من الإخوان المسلمين في يوم ٥ ربيع الأول ١٣٥٩ هـ . . فقدر التبعة التي التزمها وأعد نفسك للوفاء بها ، من هنا كان لا بد للإخوان الدعاة من قراءة هذه الرسالة من وقت لآخر حتى تتضح في ذهنهم تفاصيل ما بايعوا الله عليه .

(١) سورة آل عمران : الآية ٨٥ .

(٢) رواه مسلم (١/١٣٤) رقم (١٥٣) .

والرسالة موجهة أصلاً إلى الإخوان العاملين الذين وصلوا في إيمانهم بالإسلام واستعدادهم للعمل في سبيله إلى حد التضحية بكل شيء في سبيل الغاية ، أو على حد تعبير إمامنا الشهيد « عزموا صادقين أن يعيشوا بها أو يموتوا في سبيلها » أما من كان في الطريق ولم يصل بعد فله « دروس ومحاضرات وكتب ومقالات ومظاهر وإداريات » ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات ﴿ (١) 》 .

٢ - ضرورة العمل :

إن المؤمن بالإسلام مطالب بأن « يعمل » به ، وأن يعمل على تحقيق أهدافه في الوجود ، ولكن يعمل المسلم بالإسلام لا بد له من « فهم » الإسلام فهماً واضحاً كما لا بد له من « الإخلاص » في توجهه حتى يكون عمله مقبولاً عند ربه ولكن يتمكن المسلمون من تحقيق أهداف الإسلام في الوجود على أحسن وجه فلا بد من وحدة وتجمع « وما لا يتم الواجب إلا به هو واجب » كما تقول القاعدة الشرعية .

ولذلك نلاحظ خلال جولتنا في رسالة التعاليم أن الإمام البنا كان في ذهنه هذه المعاني ، ولذلك نلاحظ أن رسالة التعاليم تسعى إلى أن تجمع الناس لأجل العمل للإسلام عنى فهم لطبيعة ما يتطلبه إسلامهم ويدافع الإخلاص لوجه الله .

ونستلاحظ خلال جولتنا في رسالة التعاليم أن الإمام البنا كان في ذهنه هذه الأمور حين كتب رسالة التعاليم وبدأ بركن الفهم لأنه لا يمكن العمل للإسلام ولا التجمع حوله قبل فهمه ، وكان حريصاً على أن يكون فهم الإخوان فهماً إسلامياً خالصاً لا يترك جانباً من جوانب الإسلام إلا أحاط به كما لا يسمح لكل ما هو دخيل على الإسلام أن يلحق به ، ولقد حاول في الأصول العشرين التي جاءت تحت ركن الفهم أن يمهّد الطريق أمام العمل الإسلامي الجاد حتى يعمل

(١) سورة البقرة : بعض الآية ١٤٨ .

الآن على بصيرة مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى
بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢) .

لذا نجد في الأصل الأول من الأصول العشرين يبين شمول الإسلام لكل
نواحي الدنيا والآخرة فيقول : « الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً ،
فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة ، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة ، وهو ثقافة
وقانون أو علم وقضاء وهو مادة وثروة أو كسب وغنى ، وهو جهاد ودعوة أو
جيش وفكرة ، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء » (٢) .

ولا يستطيع القارئ اليوم أن يدرك كم كان هذا الفهم غريباً على الناس في
ذلك الحين ، فلم تكن كتابات المودودي وسيد قطب والقرطبي والقرضاوى والسيد
سابق وغيرهم قد فتحت عقول الناس على شمول الإسلام كما هو الحال الآن ،
وكنا نحن شباب الإخوان في ذلك الحين تلقى العنت عن حولنا من المتدينين ، إذ
يعتبرونا مستعدين أدخلنا في الإسلام ما ليس من الإسلام فاشتغلنا بالسياسة
والاقتصاد وغير ذلك مما هو من شئون الدنيا لا من شئون الدين .

وكانت الجماعات العاملة للإسلام قبل ذلك الحين قد انزلت إلى هذا الفهم
الضيق فأخذت كل واحدة منها بجانب من جوانب الإسلام ، وراحت تدعو إليه
وتدافع عنه ، وكأنه هو وحده الإسلام ، شأنها في ذلك شأن جماعة « العميان
مع الفيل » ، فإنه يحكى أن جماعة أقبلوا على الفيل يريدون أن يعرفوا ما هو ،
فاصطدم أحدهم برجل الفيل فجعل يقول إن الفيل يشبه جذع شجرة ، وأمسك
آخر بأذن الفيل وقال : بل هو كالمروحة وأمسك آخر بذيل الفيل فقال بل هو
كالمذنب ، وظلوا في خلاف وشقاق حتى جاء رجل بصير وقال يا إخواننا إن الفيل
فيه كل ما ذكرتم وفيه غير ما ذكرتم وكل ذلك في كيان متكامل ، يحتل كل عضو
فيه مكانه ويعمل عمله لصالح الكيان كله .

(١) سورة يوسف : الآية ١٠٨ .

(٢) مجموعة رسائل الإمام ص ٣٩٠ .

وهكذا كان حال الناس ، أما اليوم فقد وضح لكل ذى إتصاف سعة الإسلام وشموله ، حتى إن الجماعات الإسلامية السابقة ، وما تفرع عنها ، قد بدأت تطور أفكارها ونصورتها عن الإسلام بناءً على هذه النظرة الشمولية الجديدة ، وأصبحنا نرى تقارباً في الفكر بين الجماعات الإسلامية يتزايد في كل يوم والحمد لله .

بعد أن أوضح الإمام البنا هذا الفهم الشامل للإسلام أراد أن يحدد المصادر التي ينبغي أن يعتمد عليها المسلم في فهمه لدينه ، ليقطع الطريق على كل فكر أو تصور دخيل ، فجاء في بداية الأصل الثاني قوله : « القرآن الكريم والسنة مرجع كل مسلم في تعرف أحكام الإسلام » (١) .

٣ - خط الانحراف :

غير أن هذا الأصل الواضح المعترف به لم يمنع بعض الفئات أن تنحرف ، إما جهلاً أو اتباعاً للهوى ، وهي تزعم أنها متبعة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وذلك لأنها أولت نصوص كتاب الله وسنة رسوله تأويلاً متكلفاً متعسفاً حتى يسائر هواها أو يوافق ما ارتأته ، فجعلت القرآن تابعاً لها وكان المفروض أن تتبع هي القرآن .

ولقد تنبه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى ذلك الأمر حين كتب إلى حملة القرآن في الأمصار يقول : « اتبعوا القرآن ولا يتبعنكم فإنه من اتبعه القرآن دفع في قفاه حتى يقدفه في النار ومن تبع القرآن ورد به القرآن جنات الفردوس » .

انظر مثلاً إلى زعيم الطائفة القاديانية حين غلبه هواه ، ولم يرض لنفسه أن يكون مجرد مصلح أو مجدد للإسلام ، فادعى النبوة ، ولما اعترضه قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (٢) قال إن الخاتم ليس من الضروري أن يكون آخر شيء في الصحيفة فقد يطبع الخاتم في

(١) المرجع السابق .

(٢) سورة الأحزاب : بعض الآية ٤٠ .

وسط الصحيفة أو في أعلاها ، فلا مانع إذن أن أكون أنا نبياً بعد محمد ﷺ ،
وجعل يتبع الأحاديث الصحيحة التي وردت تؤكد ختم النبوة بمحمد ﷺ ليؤول
كلا منها ما أوحى إليه هواء فضل وأصل معه خلقاً كثيراً ممن يتبعون كل عائق .

وانظر إلى زعيم الطائفة البهائية حين اعترضته الآية ذاتها فقال : إن محمداً
ﷺ خاتم النبيين وأنا خاتم المرسلين ، وحلت المشكلة عنده وعند أتباعه بهذا
التأويل العجيب مع أن الكل يعلم أن كل رسول لا يد أن يكون نبياً .

وأضرب مثلاً آخر للعقل البشري حين يلجأ إلى التأويل المتكلف الذي لا
ينسجم مع قواعد اللغة العربية لكي يزيد رأياً ارتآه ، فقد قرأت كتاباً عن رجل
يزعم أنه من أهل التصوف يذكر قوله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا
بِإِذْنِهِ ﴾ (١) ويشرحها : مَنْ ذَا ذِي هـ أي من أدل هذه النفس يشفع عند الله ،
ويذكر قول الرسول ﷺ « اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » (٢) .
يفسرهما (فإن لم تكن) أي فإن فنيشت ذاتك ، فإنك ترى الله ، كل هذا لكي
يزيد ما يراه ولو كان مخالفاً لقواعد اللغة العربية وفيه من التكلف ما فيه (وهذا
طبعاً لا يعبر عن رأي رجال التصوف عامة ، ففي بعضهم خير كثير والحمد
لله) .

أرأيت يا أخي كيف يمكن أن يضل الناس مع ظنهم أنهم يتبعون كتاب الله
ومسلة رسوله ﷺ ، و ذلك بتأويل النص تأويلاً متكلفاً تعسفياً حتى ينسجم مع ما
يريدون ، أو يزعمهم أن القرآن له ظاهر وباطن .

من أجل ذلك يقول الإمام في سياق الأصل الثاني من الأصول العشرين بعد
الفقرة التي ذكرناها سابقاً : « ويفهم القرآن طيقاً لقواعد اللغة العربية من

(١) سورة البقرة : بعض الآية ٢٥٥ .

(٢) رواه مسلم ج ١ / ص ٣٦ رقم ٨ .

غيرتكلف ولا تعسف ، ويرجع في فهم السُّنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات^(١) وذلك حتى يكون فهم المسلم لدينه خالصاً لا شائبة فيه .

٤ - العمل على جمع كلمة المسلمين :

يثين لنا كيف كان الإمام البنا حريصاً على « جميع » قوى المسلمين لأجل العمل الجاد المخلص في تحقيق أهداف الإسلام بحكمة وعلى بصيرة ، ونبيناً كيف أنه بدأ « بالفهم » الشامل للإسلام ثم بين المصادر الصحيحة لهذا الفهم وأوضح في الأصل الثاني من الأصول العشرين ، أن ما يعكر هذا الفهم التأويل المتكلف المتعسف لنصوص كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وذلك حتى لا يفتن المسلمون في الفرقة والخلاف فيزدادون ضعفاً على ضعفهم ، وتضيع جهود المصلحين هباء .

وتتابع الإمام البنا في محاولاته جمع كلمة المسلمين على فهم واحد فتراه يحاول أن يقطع الطريق على ألوان أخرى من الانحراف في فهم الإسلام سبب ونسب في دوام الفرقة بين المسلمين .

فمن المسلمين من غلوا في المشايخ والأولياء فأعطوهم من التعظيم والتمجيد ومن السطو والسيطرة ما يصل بهم إلى مستوى لا يصل إليه مستوى البشر العاديين بكثير بل ويفوق مستوى الأنبياء أحياناً ، فأصبحوا يتلقون أقوالهم وتصرفاتهم كأنها تشريع منزل وسموهم الأقطاب والأوتاد ، فتشوش لديهم تبعاً لذلك صفاء الإسلام ونقاؤه ، وكثيراً ما ساعد ذلك على أن ينحرف بهم مشايخهم إلى حيث يريدون لعدم وجود قواعد واضحة تعصمهم من الانحراف والضلال .

وللرد على مثل هذه الانحرافات ومحاولة علاجها يقول الإمام البنا في الأصل السادس من الأصول العشرين « وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم ﷺ » أما كل من عداه سواء سموه أولياء أو أقطاباً أو أوتاداً فإنهم بشر عاديون

(١) مجموعة الرسائل ٣٩٠ .

يخطئون ويصيبون وليس لهم حق التشريع ولا التحليل والتحرير ، ولا يتابعون إلا أن يكون قولهم موافقاً لما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهما مصدر التشريع .

وقد ينشأ الانحراف من المبالغة في الرؤى والأحلام والكشف والإلهام وما شابه ذلك واعتبارها دليلاً في ذاتها فهناك من ينظر إلى الرؤيا التي يراها شيخه على أنها حق لا مزية فيه وكأنها تشريع جديد ، وهناك من يتحدث عن العلم اللدني الذي ورد في قوله تعالى عن الخضر : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ (١) ويقصد في قوله الذي يأتي من لدن الله تبارك وتعالى مباشرة ، دون حاجة إلى قراءة من كتاب أو دراسة على يد عالم ، ويرى أن هذا هو العلم الحق وأن العلم الذي يأتي عن طريق مدارس كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يأتي في الدرجة الأدنى . ولذلك يقولون عن علماء الحديث إنهم ينقلون علمهم عن ميت عن ميت ، أما هم فإلواحد منهم يقول عن نفسه « حدثني قلبي عن ربي » وما أكثر الانحرافات التي نشأت عن هذه الخواطر التي ترد على الشيخ ويعتبرها هو وأتباعه تنزيلاً من التنزيل .

من أجل ذلك يقول الإمام السنا في الأصل الثالث بعد الحديث عن مجاهدة النفس وأثرها في إنارة القلب « ولكن الإلهام والخواطر والكشف والرؤى ليست من أدلة الأحكام الشرعية ، ولا تعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه » (٢) .

وينشأ الغموض في فهم الإسلام في كثير من الأحيان بسبب عدم وضوح معاني الالفاظ لدى من يستعملها أو يسمعها ، والالفاظ تأخذ معناها من البيئة التي تستعمل فيها ، وإدراك الإنسان لمعنى لفظ معين يأتي كمنحصلة لمجموعة الاستعمالات التي يرد اللفظ في ثناياها . ولذلك قد يختلف مفهوم لفظ معين

(١) سورة الكهف : بعض الآية ٦٥ . (٢) مجموعة الرسائل ص ٣٩١ .

باختلاف المحيط الذي يستعمل فيه اللفظ أو باختلاف العصر ، فكلمة العروبة مثلاً في مصر تكاد تكون مرادفة لكلمة الإسلام ، أما في بلاد الشام فتكون مرادفة ، للعلمانية أو الإلحاد ، وذلك لكثرة ما استعملت من قبل أناس يسعون للقضاء على الإسلام . والصوفية لدى البعض لا تعنى إلا الإيمان بالخرافات وبالكرامات والكلام عن وحدة الوجود وعن الخلوع على حين أنها تعنى عند غيرهم صفاء الروح وتركية النفس والزهد في الحياة الدنائة والحب في الله وينطبق هذا القول أيضاً على لفظ السلفية ، فتجد الجماعات السلفية المعاصرة في بلادنا الإسلامية لا تتفق فيما بينها على مفهوم موحد أو على خطة موحدة ، وذلك فضلاً عن الاختلاف بينها وبين السلفية الأولى (١) .

ولقد تنبه الإمام البنا لخطورة هذا الأمر وما يؤدي إليه من عدم الاتفاق على معنى موحد للألفاظ التي تستعملها ، وما ينتج من ذلك على عدم الاتفاق على فهم موحد للإسلام ، وما يجر ذلك عادة من خلاف وشقاق وتضارب في وجهات النظر ، وخصومات تفرق النصف وتؤدي إلى الشقاق .

ولذلك نجد في الأصل السادس عشر من الأصول العشرين يقول : « والعرف الخاطيء لا يغير حقائق الألفاظ الشرعية ، بل يجب التأكد من حدود المعاني المقصود بها والوقوف عندها كما يجب الاختراس من الخداع اللفظي في نواحي الدنيا والدين ، فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء » (٢) .

ولعل من أوضح الأمثلة على الاختلاف الذي قد يقع بسبب الخداع اللفظي هذه الصورة الفوتوغرافية التي تلتقط بالآلة المعروفة ، فقد ظن الكثيرون أن هذا النوع من التصوير هو من بين المقصود بالنهي الذي ورد عن رسول الله ﷺ في أحاديثه ، ومنها قوله : « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون » (٣) .

(١) راجع كتابنا : العقيدة جوهرها وآفاقها ص ٦٥ .

(٢) مجموعة الرسائل ٣٩٣ .

(٣) رواه مسلم : ٣ / ١٦٧٠ رقم ٢١٠٩ .

وامتنع لذلك عن التصوير بل امتنع بعضهم عن استخراج جوازات سفر حتى لا يحتاج إلى التصوير ، وفضل أن يبقى في بلد لا يخرج منه والسبب في هذا ناشئ عن تعودنا على استعمال كلمة صورة في هذا المجال وهو استعمال غير دقيق ولقد كان أهل الخليج إلى عهد قريب (ولا زال بعضهم إلى الآن) يستعمل كلمة عكس بدلاً من كلمة صورة في حالة الصور الفوتوغرافية ، ويسمون المصور العكاس وهذا اللفظ أدق بكثير من كلمة صورة أو مصور حيث أنه لا يصور شيئاً ، وكل الجهد الذي يبذله إنما هو الضغط على مفتاح الآلة كما تقوم المرأة بنقل ما أمامها تماماً .

5 - الحرص على وحدة الفهم :

ولشدة اهتمام الإمام البنا بوحدة الفهم بين المسلمين ، ولكي يتجنب كل ما يشير غموضاً في إدراك الالفاظ أو بخلاف أو شقاق بين المسلمين ، نراه إذا تحدث مثلاً عن القومية أو الصوفية أو السلفية أو غيرها يقول دائماً : إن قصد بالقومية كذا وكذا فنحن مع القومية إما إذا قصد بها خلاف ذلك فلسنا معها بأي حال من الأحوال ، وما سمعناه بهاجم جماعة من الجماعات هكذا بدون تحديد فهو يرجع بنا إلى المسميات ، فيوضح المعنى المقصود ، وتضييق شقة الخلاف .

لذا نرجو - أخى الداعية - أن تحرص دائماً على البحث وراء الأسماء عن المسميات حتى لا تقع في الهجوم على القومية أو الوطنية أو الصوفية وغيرها من الالفاظ التي يختلف الناس حولها دون أن تحدد المعنى الذي تريد : كما نرجو أن تنبه إلى أن بعض الكتاب الإسلاميين يقوتهم هذا المعنى ، أو لا يدركون أهميته فيهاجمون أمثال هذه الالفاظ دون أن يتكلفوا عناء البحث فيما إذا كان القراء جميعاً يتفقون معهم في مفهوم هذا اللفظ عندهم .

هناك أمر آخر أشار إليه الإمام البنا في رسالة التعاليم كى يعيد الطريق أمام العمل الإسلامي الجاد ، ذلك أنه لاحظ أن الأمم إذا شغلت بالأعمال كل فيها الجدال ، وإذا أصابها الضعف والانحلال وسقطت همم أبنائها شغلوا بالجدال عن

الأعمال فظهر نديهم علم الكلام وهذا مضمون قوله ﷺ : « ما خيل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » (١).

من أجل هذا رأيناه في الأصل التاسع من الأصول العشرين يقول : « وكل مسألة لا يبنى عليها عمل فالحوض فيها من التكلف الذي نهينا عنه شرعاً ، من ذلك كثرة التفريعات للأحكام التي لم تقع والحوض في معاني الآيات القرآنية التي لم يصل إليها العلم بعد ، والكلام في المفاضلة بين الصحابة رضوان الله عليهم وما شجر بينهم من خلاف ، ولكل فضل صحبته وجزاء نيته ، وفي التأول مندوحة » (١) يريد بذلك أن ينصرف المسلمون عن الجدل والمراء إلى العمل .

كذلك رأيناه في الأصل العاشر بعد أن يتحدث عن رأى الإخوان في آيات الصفات ، وأنهم لا يلجأون بشأنها إلى التأويل ولا إلى التعطيل يخشى أن يجعل بعض الناس من هذه القاعدة السليمة منطلقاً إلى مهاجمة الآخرين أو الدخول معهم في جدال طويل كانت بدايته منذ أكثر من ألف سنة ولم ينته إلى اليوم فتراه يقول بعد ذلك : « ... ولا نتعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء ، ويسعنا ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه » والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » (٢) .

ولعل هذا هو السبب في أن الإمام البينا في هذا الأصل العاشر نفسه ، بلفت انتباهنا إلى أن آيات الصفات « من التشابه » (وهو أمر قال به من الأئمة السابقين : أحمد بن حنبل وابن تيمية وابن كثير وابن الجوزي وغيرهم من علماء السلف) وذلك حتى يكون الخلاف هيناً لا يستدعي تكفيراً أو تفسيقاً .

(١) رواه الترمذي (٣٥٣/٥) رقم (٣٢٥٣) .

(٢) سورة آل عمران : بعض الآية ٧ .

(٢) مجموعة الرسائل ٣٩١ .

فإذا رأيت من يدخل في جدال مع من يؤول في آيات الصفات مثلاً أو يعتبرهم ضلالاً أو يرفض التعاون معهم ، فاعلم أنه قد خالف خط الإخوان وخط السلف الصالح الذي لم يدخل أبداً في جدال حول هذه الأمور ، لا في حياة رسول الله ﷺ ولا في جيل التابعين ، ولقد كان ابن تيمية يختلف في موضوع الصفات وغيرها مع كثير من علماء عصره ، إلا أنهم كانوا جميعاً يتناسون خلافاتهم ويقفون صفاء واحداً في مواجهة التنازع عندهم المشترك .

٦ - تحديد البدعة :

ومن أخطر الألفاظ التي يتعرض لها الدعاة الإسلاميون في خطبهم ومقالاتهم ، ويتناقلها عنهم أتباعهم وتلاميذهم في سهولة ويسر لفظ البدعة ، وكثيراً ما ينشأ الخلاف والشقاق وسوء الظن والقالة لأن هذا ينظر إلى أمر معين على أنه بدعة محرمة على حين يرى الآخر أنه أمر لا بأس به بل قد يراه من المصالح المرسلات التي يحسن اتباعها والأخذ بها وسأحاول أن أتعرض لما وقع فيه المسلمون من خلاف حول كلمة « البدعة » وكيف حاول الإمام ابن تيمية أن يجمع المسلمين على رأي واحد فيما يختص بها .

ودعنا أولاً نتعرض لما جاء من نصوص قد تبدو متعارضة مع هذا الأمر ، فقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال « كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » (١) كما جاء قوله ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » (٢) .

وقد مالت طائفة من المسلمين ، استناداً إلى هذه الأحاديث وغيرها إلى التوسع كثيراً في مفهوم البدعة حتى كادت تشمل عند بعضهم كل أمر محدث أو جديد سواء في أمور الدنيا أو أمور الدين غير أن أكثر هؤلاء قد قصروا على أمور الدين ، وإن كان بعضهم قد توسع كثيراً في مفهومها حتى اعتبروا قول المقرئ مثلاً بعد قراءة القرآن « صدق الله العظيم » بدعة محرمة ، ولقد حضرت مؤخراً

(١) رواه ابن ماجه (١٨/١) رقم (٤٦) .

(٢) رواه مسلم (١٣٤٣/٣) رقم (١٧١٨) .

مجلساً مثل فيه واحد من أشهر علماء الحديث المعاصرين عن تقبيل المصحف بعد قراءة القرآن فأجاب بدعة ، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

غير أن طائفة أخرى من العلماء أخذت خطأ مغايراً ، يحد من مفهوم البدعة ، وهم يستنكرون هذا التشدد الذي يرون أن الآخرين قد وقعوا فيه ويعتمد هؤلاء على نصوص أخرى صحيحة يرونها مؤيدة لوجهة نظرهم .

فمن هذه النصوص قول رسول الله ﷺ : « من سن في الإسلام سنة حسنة ، فعمل بها بعده ، كتب له مثل أجر من عمل بها ، ولا ينقص من أجورهم شيء » ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة ، فعمل بها بعده ، كتب عليه مثل وزر من عمل بها ، ولا ينقص من أجورهم شيء » (١) ويقولون إن الأمر المستحدث إذن قد يكون سنة حسنة ولا يكون بدعة محرمة ، وإلا فأين السنة الحسنة إذا اعتبرنا كل أمر محدث بدعة مها كان فيه من خير وإن كون هذا الحديث قيل في موقف البطل في سبيل الله لا يعني أنه خاص بمواقف البطل فقط فإن العبرة - كم يقول العلماء - بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

كذلك يستند هؤلاء العلماء إلى قول رسول الله ﷺ في الحديث الحسن « من ابتدع بدعة ضلالة لا ترضى الله ورسوله كان عليه مثل أثام من عمل بها ، لا ينقص ذلك من أجور الناس شيئاً » (٢) ويرون أن قوله ﷺ : « بدعة ضلالة لا ترضى الله ورسوله » هو تخصيص لأنواع البدع المحرمة بما يشعر بأن هناك بدعاً أخرى قد تدخل في باب السنة الحسنة ويستشهدون في ذلك بما صحح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال بعد أن جمع الناس في صلاة التراويح في المسجد وراه أبي بن كعب « نعم البدعة هذه » (٣) .

ولهذا نرى علماً كبيراً مثل العز بن عبد السلام الذي يسمى سلطان العلماء ،

(١) رواه مسلم (٤/٥٩-٢٠) رقم (١٠١٧) .

(٢) رواه الترمذي ج ٥ ص ٤٤ رقم (٢٦٧٧) .

(٣) فتح الباري (٤/٢٩٥) رقم (٢٠١٠) .

يقسم البدع بأحكام الشريعة الإسلامية الخمسة ، فيجعل منها ما هو واجب
ومندوب ومباح ومكروه ومحرم .

والحقيقة أن هذا الاختلاف حول مفهوم البدعة لم يكن قاصراً على علماء
التابعين ومن جاء بعدهم فإن من يقرأ ما دار بين أبي بكر وعمر وزيد بن ثابت
في موضوع كتابة المصحف يتبين له أن الاختلاف في مفهوم البدعة قديم ، فقد
جاء عمر إلى أبي بكر بعد أن استحر القتل في القراء في معركة اليمامة ، يطلب
إليه جمع القرآن من الصدور والسطور قبل أن يتساقط القراء في بقية المعارك ،
فكان رد أبي بكر : كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟؟ مما يذكر أن أبا
بكر نظر إلى الأمر في البداية على أنه بدعة في الدين ، غير أن عمر ظل يراجع
ويقول : هو والله خير ، حتى استجاب أبو بكر ودعا زيد بن ثابت ليكتفه بجمع
القرآن ، فكان جواب زيد شيئاً بجواب أبي بكر إذ قال لهما كيف نعلن شيئاً
لم يفعله رسول الله ﷺ ، وكان ردهما أيضاً ، (١) .

نستطيع أن نفهم من هذا أن الاختلاف على مفهوم البدعة قديم ، وإن كان الله
قد وفق صحابة رسول الله ﷺ في النهاية لم رأي واحد لما أراد من إكرام هذه الأمة
بحفظ كتابها ، كما نستطيع أن ندرك من الحججة التي ساقها عمر تأييداً لمأربه ، هو
والله خير ، أن البدعة المحرمة لا تدعو إلى خير وأن ما يؤدي إلى خير لا يكون
بدعة ضلالة ، بل سنة حسنة .

وقد أثيرت مسألة البدعة هذه من جديد حين اقتضى الأمر تنقيط المصاحف ،
ثم إذا احتاج الأمر إلى تشكيلها حتى استقرت المصاحف على الوضع الذي هي
عليه الآن ، بعد أن هذات الخلافات حول ذلك بين العلماء وأصبح الأمر واقعاً .
غير أن الخلاف حول البدعة ومفهومها لا يزال مستعراً بين كثير من المسلمين
وهو خلاف يزداد حدة كلما ضعفت الأمة عن الجهاد والجهاد ومواجهة الأعداء ،
فسكنت إلى البدعة وانزقت إلى المراء المفرق للصفوف والجدان .

(١) فتح الباري (ج ٨ رقم ٤٩٨٦) .

ولما كان العمل الإسلامي الجاد المخلص يحتاج إلى تجميع كل جهد ممكن في سبيل مواجهة العدو المتربص ، فقد اهتم الإمام البنا ببيان وجه الحق في هذه المسألة ، وأيضاً ما ينبغي الاتفاق عليه بالنسبة للبدعة وما يجوز الاختلاف فيه ، خلافاً لا يجر إلى شقاق .

ولقد اقتضاه الأمر إلى تقسيم البدع إلى نوعين :

أولهما البدع التي لا أصل لها وهي المعنية بمثل قوله ﷺ : « كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » وقوله : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » ومن شروطها أيضاً أن يكون ابتداءً في الدين ، أما في أمور الدنيا العادية فلا بأس على المسلمين أن يتبدعوا ما شاءوا بما يعينهم على أمور معيشتهم وعلى بناء دولتهم وفقاً لظروف الحياة المتغيرة .

يقول الإمام البنا في الأصل الحادي عشر من الأصول العشرين : « وكل بدعة في دين الله لا أصل لها استحسنها الناس بأهوائهم سواء بالزيادة فيه أو بالتقصص منه ضلالة تحب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي إلى ما هو شر منها » .

وقد أشار الإمام الشاطبي في كتاب الاعتصام إلى أن أصل مادة « بدع » للاختراع على غير مثال سابق ومنه قول الله تعالى : ﴿ بديع السموات والأرض ﴾ ^(١) وذكر أن من بين هذه البدع الحقيقية (التي لا أصل لها) « القول بالقدر والقول بانتكار خبر الواحد (من الأحاديث) والقول بالإمام المعصوم وما أشبه ذلك وضرب أمثلة أخرى لهذه البدع التي لا أصل لها حيث قال : « كالرهبانية المنفية عن الإسلام ، والخصاء لمن خشي العنت ، والتعبد بالقيام في الشمس فالترغيب في مثل هذا لا يصح ، إذ لا يوجد في الشرع ، ولا أصل له يرغب في مثله » .

أما النوع الثاني : فيقصد به الإمام البنا ما له أصل في الدين ، وإنما دخله ابتداء

(١) سورة الانعام : الآية ١٠١ .

من حيث هيئته أو توقيته أو تنظيمه أو الالتزام به في أوقات معينة لم يرد بها نص ، إلى غير ذلك وإلى مثل هذا النوع يشير الإمام البنا في الأصل الثاني عشر فيقول : « والبدعة الإضافية والتركيبية والالتزام في العبادات المطلقة خلاف فقهي لكل فيه رأي ، ولا بأس بتمحيص الحقيقة بالدليل والبرهان » .

ومن بين البدع الإضافية قراءة سورة الكهف يوم الجمعة ، ولكن أضيف إليها هذه الصورة التي لم تكن على عهد النبي ﷺ ، وشبهه بذلك أن يصلي المؤذن ويسلم على رسول الله جهرًا في المئذنة عقب الأذان ، حيث إن الأصل وارد ، وهو الصلاة والسلام على رسول الله بعد الأذان ، ولكن دخله الابتداع من حيث الهيئة أيضاً .

ومما عده العلماء من البدع الإضافية الزيادة في المندوبات المحدودات كما ورد في التسبيح عقب الفريضة ثلاثاً وثلاثين فتصل مائة فقد عدها بعض العلماء من البدع المحرمة استناداً إلى أن النص حدد العدد فلا تجوز الزيادة عليه .

ولكن من العلماء من قال إن الزيادة في الخير لا يعترض عليها ، ويستشهدون بمثل قوله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم : « من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله ويحمد الله مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه » (١) فهذه دعوة من رسول الله ﷺ للزيادة عن العدد المذكور .

أما بالنسبة للبدع التركيبية فلعل من المناسب هنا أيضاً أن نستشهد بما جاء في كتاب الاعتصام (٢) .

« إن الفعل قد يكون حلالاً بالشرع ، فيحرمه الإنسان على نفسه ، أو يقصد تركه قصداً .

فيهذا الترك إما أن يكون لأمر يعتبر مثله شرعاً ، أو لا .

(١) راه مسلم : ٢٠٧١ / ٤ رقم ٢٦٩٢

(٢) الاعتصام ج ٢ ص ٤٢

فإن كان الأمر يعتبر ، فلا حرج فيه ، إذ معناه أنه ترك ما يجوز تركه أو ما يطلب تركه ، كالذي يحرم على نفسه الطعام الفلاني ، من جهة أنه يضره في جسمه أو عقله أو دينه ، وما أشبه ذلك ، فلا مانع هنا من الترك ، بل إن قلنا بطلب التداوي للمريض ، فإن الترك هنا مطلوب ، وإن قلنا بإباحة التداوي ، فالترك مباح .

فهذا راجع إلى العزم على الحمية من المضرات ، وأصله قوته عليه الصلاة والسلام :

« يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج » إلى أن قال : « ومن لم يستطع فعليه بالصوم » ^(١) الذي يكسر من شهوة الشباب حتى لا تطفئ عليه الشهوة فيصير إلى العنت .

وكذلك إذا ترك ما لا بأس به حذراً مما به البأس ، فذلك من أوصاف المتقين ، وكترك المشابه ، حذار من الوقوع في الحرام ، واستبراء للمدين والعرض .

وإن كان الترك لغير ذلك ، فإما أن يكون تديناً ، أو لا .

فإن لم يكن تديناً ، فالتارك عايب بتحريمه الفعل ، أو بعزيمته على الترك ولا يسمى هذا الترك بدعة ^(٢) .

وإن كان الترك تديناً ، فهو الابتداع في الدين .

أما الالتزام بالعبادة فهو أن يلزم المرء نفسه بعبادة ما في كل يوم أو في كل صباح وفي كل مساء ، على أن تكون العبادة في أصلها مشروعة وإنما الالتزام بها في هذه الأوقات هو الذي لم يرد به نص كالرجل يتخذ لنفسه وظيفة راتبية من ذكر الله بالغداة والعشي مثلاً أو كان يلتزم خطيب الجمعة الدعاء للخلفاء

(١) مسلم : ١٠١٨/٢ رقم ١٤٠٠

(٢) مثال : من يذكر جهرأ عند السير في الجنائزة ، . ففي ذلك بدعة إضافية وتركية . فالإضافة لأن الذكر في الأصل مشروع ولكن موضعه هنا غير مسنون . والتركية لأنه ترك السنة في هذا الموضع وهي النصمت .

الراشدين في كل خطبة فهناك من يرون في هذه الأمور بدعاً لا يجوزونها ويقولون إن الجاهل قد يفهم من هذا الالتزام أنه أمر وادع عن رسول الله ، وهناك من لا يرون بذلك بأساً ، ويرون أن الدين قد أصبح مسجلاً بتفاصيله في كتب بطالعها الجميع فلا خوف من أن يخلط الأمر على الناس ، ومنهم من يستشهد بالصحابي الذي كان يلتزم بقراءة مثل ﴿ قل هو الله أحد ﴾ في كل ركعة قبل أن يقرأ ما ينوي قراءته من القرآن ويقولون إن الرسول لم ينه عن ذلك ، ولو كان ذلك بدعة محرمة لبيتها الرسول ﷺ .

يا أخي الداعية لعلك لاحظت حرص الإمام البنا على بيان ما يفترض أن يجمع عليه المسلمون بشأن البدعة وما يمكن الخلاف فيه وهو خلاف حين كما رأيت ولا يمنع أبداً من أن يعمل الجميع بدأ واحدة لما فيه صلاح المسلمين .

* * *

الأصل الأول

● الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً ؛

فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة ،

وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة ،

وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء ،

وهو مادة وثروة أو كسب ورضى ،

وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة ،

كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواءً بسواء .

* * *

هذا الأصل يقرر حقيقة هامة من حقائق الإسلام وهي : « شمولية الإسلام

لكل مظاهر الحياة » .

وهذه الحقيقة جليلة غاية الجلاء لكل ذي عينين وأدلتها من كتاب الله وسنة

رسوله أكثر من أن تحصى .

ومع هذا كله فقد كانت مستغربة غاية الاستغراب عند كثير من المسلمين في

ذلك الحين ، وقت قيام البنا بالدعوة .

● استغربتها بعض الجمعيات الإسلامية . فلم تنص عليها في مبادئها

وأهدافها ونخصائصها ، ولم تتخذ من الوسائل ما يؤكد سعيها لتقريرها في عالم

الواقع ودنيا الناس .

● واستغربتها الأحزاب حيث إنها أبعدت الدين عن سياستها واعتبرت أنها

ضدان لا يلتقيان .

- واستغريها العامة والحكام ليعد حياة بعضهم عن جوهر الإسلام الصحيح .
- واستغريها بعض العلماء مع أن أدلتها بين أيديهم ماثلة أمام أعينهم . . .
- لكنها نصوص لا تجد قلوباً تتفاعل معها ، ولا أرضاً تنبت فيها وتثمر .
- في وسط هذه الغربة صدع الإمام الشهيد بهذه الحقيقة ولغت أنظار الأمة إليها ، وحشها على تحويلها إلى واقع عملي ، وبذل الإمام الشهيد جهداً شاقاً لتقرير هذه الحقيقة في النفوس ، والإقناع بها .
- ومن يتدبر حال الأمة وضياعها في هذه الفترة التاريخية يدرك قيمة هذا الأصل ، وخطورة غيبته .

● وما يجلي قيمة هذا الأصل في تلك الفترة الحرجة أن الفكر العلماني أخيث قد تسلل إلى عقول وقلوب الطبقة المثقفة من بعض الجامعيين والكتاب والأدباء . . . وعشش فيها وأفرخ ، فاستنكر شمولية الإسلام وراح يحصر الإسلام في دائرة الشعائر التعبدية ، ولا يرضى له أكثر من ذلك ، فلا علاقة له بالسياسة والحكم ، والاقتصاد والاجتماع . . . وسائر شؤون الحياة ، فاستكان الناس لذلك ، ولم يحركوا ساكناً حتى أيقظهم الإمام الشهيد ، وصرخ فيهم لينهضوا ويتحركوا ويعملوا بالإسلام كله من السواك إلى الجهاد ، ووضع كل جزئية في مكانها الصحيح من غير تبديل ولا تغيير ، ومن غير نقص أو زيادة .

أدلة الشمولية :

هناك أدلة عامة على شمولية الإسلام لكل شيء ، وأخرى تفصيلية .

- فمن الأدلة العامة قوله تعالى :

﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ﴾ ^(١) وقال ﷺ لقبيلة بني شيبان بن ثعلبة عندما كان يعرض نفسه على القبائل في مكة :

« ما أسأتم الرد إذا أفصحتم بالصدق ، إنه لا يقوم بهذا الدين إلا من أحاطه من جميع جوانبه » ^(٢) .

(٢) السيرة النبوية : ابن كثير : ٢/ ١٦٣ : ١٦٩

(١) سورة النحل : من الآية ٨٩

● وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم والسنة النبوية وجدنا كثيراً من الآيات والأحاديث تتحدث عن العقائد والعبادات والأخلاق . . . وأحكام بما أنزل الله والقضاء . . . والجهاد والمعاهدات . . . وشئون المال والتجارة . . . وشتى مظاهر الحياة .

قال تعالى :

﴿ كتب عليكم القصاص في القتلى ﴾ (١)

﴿ كتب عليكم الصيام ﴾ (٢)

﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف ﴾ (٣)

﴿ كتب عليكم القتال ﴾ (٤)

﴿ إذا تدايتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ﴾ (٥)

﴿ وأحل الله البيع وحرم الربا ﴾ (٦)

﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ﴾ (٧)

● وقد أنكر الله على من يأخذ جانباً ويترك آخر :

﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ﴾ (٨)

- هل يكفي أن نقر بأصل الشمولية دون العمل به ؟

كل من ينظر في هدى المصطفى ﷺ ، وسيرة السلف الصالح يرى أنهم كانوا

(٢) سورة البقرة : من الآية ١٨٣

(٤) سورة البقرة : من الآية ٢١٦

(٦) سورة البقرة : من الآية ٢٧٥

(٨) سورة البقرة : من الآية ٨٥

(١) سورة البقرة : من الآية ١٧٨

(٣) سورة البقرة : من الآية ١٨٠

(٥) سورة البقرة : من الآية ٢٨٢

(٧) سورة المائدة : من الآية ٤٩

يؤمنون بشمولية الإسلام ويعملون بذلك ، ويتخذون من الوسائل ما يمكنهم
لتحويل هذا الفهم إلى واقع عملي ملموس له كيان محسوس وليس قاصراً على
الرؤوس ولا قابعاً في النفوس .

فمن أقر بشمولية الإسلام لكل مظاهر الحياة ، ثم راح يقتصر نشاطه على
جانب من جوانبه فإن له حالات :

● إن كانت قدراته لا تمكنه من بقية الجوانب فعليه أن يساعد العاملين
بالشمولية ويؤازرهم ويساعدهم بكل ما يستطيع .

● أما إذا عارضهم واعتبر جانبه كل شيء بلسان حاله أو قبض عنهم يد
المساعدة والمؤازرة فهو ملوم لا شك .

● وإن كانت قدراته وإمكانياته تسمح بالإسهام العملي واكتفى بجانب إثارة
للسلامة والعافية ودفعاً للجهد والعناء ، فلا سلامة ولا عافية .

● إن الدعوة إلى الفهم الشامل والعمل به مع الإقرار هو الأصل الثابت وما
عداء قصور .

وإلا فأخبرني يا أخى ، هل تكون قد وفينا الحق قدره إذا اكتفينا بمعرفته والإقرار
به دون العمل به والدعوة إليه ؟!

ولقد وضح الإمام هذا الأصل وجلاء لكل ذى فهم في كثير من رسائله ،
يقول في رسالة المؤتمر الخامس تحت عنوان « إسلام الإخوان المسلمين » :

« واسمحوا لى أيها السادة ، أن أستخدم هذا التعبير ، ولست أعنى به أن
للإخوان المسلمين إسلاماً جديداً ، غير الإسلام الذى جاء به سيدنا محمد ﷺ
عن ربه ، وإنما أعنى أن كثيراً من المسلمين ، في كثير من العصور ، خلعوا على
الإسلام نعوتاً وأوصافاً وحدوداً ورسوماً من عند أنفسهم ، واستخدموا مبرراته
وسعته استخداماً ضاراً - مع أنها لم تكن إلا للحكمة السامية - فاختلّفوا في
معنى الإسلام اختلافاً عظيماً ، وانطبع في نفوس أبنائه صور عدة ،

تقرب أو تبعد ، أو تنطبق على الإسلام الأول الذي مثله رسول الله وأصحابه
خير تمثيل .

فمن الناس من لا يرى الإسلام شيئاً ، غير حدود العبادة الظاهرة ، فإن
أداه ، أو رأى من يؤديها اطمأن إلى ذلك ، ورضى به ، وحسبه قد وصل إلى
لب الإسلام ، وذلك هو المعنى الشائع عند عامة المسلمين .

ومن الناس من لا يرى الإسلام ، إلا الحلق الفاضل ، والروحانية القياضة ،
والغذاء الفلسفي الشهى للعقل والروح ، والبعد بهما عن أدراك المادة الطاغية
الظالمة .

ومنهم من يقف إسلامه عند حد الإعجاب بهذه المعاني الخيوية العملية في
الإسلام ، فلا يتطلب النظر إلى غيرها ، ولا يعجبه التفكير في سواها .

ومنهم من يرى الإسلام ، نوعاً من العقائد الموروثة ، والأعمال التقليدية التي
لا غناء فيها ، ولا تقدم معها ، فهو متبرم بالإسلام ، وبكل ما يتصل بالإسلام ،
وتجد هذا المعنى واضحاً ، في نفوس كثير من الذين تفتقروا ثقافة أجنبية ، ولم تنح
لهم فرص حسن الاتصال بالحقائق الإسلامية ، فهم لم يعرفوا عن الإسلام شيئاً
أصلاً ، أو عرفوه صورة مشوهة ، بمخالطة من لم يحسنوا تمثيله من المسلمين .

وتحت هذه الأقسام جميعاً ، تندرج أقسام أخرى ، يختلف نظر كل منها إلى
الإسلام ، وعن نظر الآخر قليلاً أو كثيراً ، وقليل من الناس أدرك الإسلام صورة
كاملة واضحة تنتظم هذه المعاني جميعاً .

هذه الصورة المتعددة للإسلام الواحد في نفوس الناس ، جعلتهم يختلفون
اختلافاً بيناً ، في فهم الإخوان المسلمين ، وتصور فكرتهم .

فمن الناس من يتصور الإخوان المسلمين جماعة وعظية إرشادية ، كل همها أن
تقدم للناس العظات ، فتزهدهم في الدنيا وتذكرهم الآخرة .

ومنهم من يتصور الإخوان المسلمين طريقة صوفية ، تعنى بتعليم الناس ضروب
الذكر ، وفنون العبادة ، وما يتبع ذلك من مجرد وزهادة .

ومنهم من يظنهم جماعة نظرية فقهية ، كل ههنا أن تقف عند طائفة من الأحكام ، تجادل فيها ، وتناضل عنها ، وتحمل الناس عنها ، تخصم أو تسالم من لم يسلم بها معها .

وقليل من الناس ، خالطوا الإخوان المسلمين ، وامتزجوا بهم ، ولم يبقوا عند حدود السماع ، ولم يخلعوا على الإخوان المسلمين إسلاماً يتصورونه هم ، فعرفوا حقيقتهم ، وأدركوا كل شيء عن دعوتهم علماً وعملاً .

ولهذا أحببت أن أتحدث لحضراتكم في إيجاز عن معنى الإسلام ، وصورته الماثلة في نفوس الإخوان المسلمين ، حتى يكون الأساس ، الذي ندعو إليه ، ونعتر بالانساب له والاستمداد منه ، واضحاً جلياً :

نحن نعتقد أن أحكام الإسلام وتعاليمه شاملة ، تنظم شؤون الناس في الدنيا وفي الآخرة ، وأن الذين يظنون أن هذه التعاليم إنما تتناول الناحية العبادية أو الروحية ، دون غيرها من النواحي ، مخطئون في هذا الظن ، فالإسلام عقيدة وعبادة ، ووطن وجنسية ، ودين ودولة ، وروحانية وعمل ، ومصحف وسيف . والقرآن الكريم ينطق بذلك كله ، ويعتبره من لب الإسلام ومن صميمه ، ويوصي بالإحسان فيه جميعه ، وإلى هذا تشير الآية الكريمة : ﴿ وابغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ﴾ (١) .

وانك تقرا في القرآن ، وفي الصلاة إن شئت قول الله - تبارك وتعالى - في العقيدة والعبادة : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ (٢) .

وتقرأ قوله تعالى في الحكم والقضاء والسياسة : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ (٣) . وتقرأ قوله تعالى في الدين وفي التجارة : ﴿ يأبى الذين آمنوا

(٢) سورة البينة : الآية ٥

(١) سورة القصص : الآية ٧٧

(٣) سورة النساء : الآية ٦٥

إذا تدايتم يدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا نسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوا وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد ﴿١﴾

وتقرأ قوله تعالى في الجهاد والفئال والغزو : ﴿ وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذرکم ﴾ (٢)

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة البارعة في هذه الأغراض نفسها ، وفي غيرها من الآداب العامة ، وشؤون الاجتماع .

وهكذا اتصل الإخوان بكتاب الله ، واستلهموه واسترشدوه ، فأيقنوا أن الإسلام هو هذا المعنى الكلي الشامل ، وأنه يجب أن يهيمن على كل شؤون الحياة ، وأن تصطبغ جميعها به ، وأن تنزل على حكمه ، وأن تسير قواعده وتعاليمه ، وتستمد منه ، ما دامت الأمة تريد أن تكون مسلمة إسلاماً صحيحاً .

أما إذا أسلمت في عبادتها ، وقلدت غير المسلمين في بقية شؤونها ، فهي أمة ناقصة الإسلام ، تظاهى الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ أفئذنتون ببعض الكتاب

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨٢

(٢) سورة النساء : الآية ١٠٢

وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم
القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ﴿١﴾

وفي مسؤولية الإسلام للبشرية جمعاء وكذلك الأزمان يقول الإمام :

« يعتقد الإخوان المسلمون ، أن الإسلام كدين عام ، لتنظم كل شؤون الحياة
في كل الشعوب والأمم ، لكل الأعصار والأزمان ، جاء أكمل وأسمى من أن
يعرض لجزئيات هذه الحياة ، خصوصاً في الأمور الدينية البحتة ، فهو إنما يضع
القواعد الكلية في كل شأن من هذه الشؤون ، ويرشد الناس إلى الطريق العملية
للتطبيق عليها والسير في حدودها .

ولضمان الحق والصواب في هذا التطبيق ، أو تخريبها على الأقل ، عني
الإسلام عناية تامة ، بعلاج النفس الإنسانية ، وهي مصدر النظم ، ومادة التفكير
والتصوير والتشكل ، فوصف لها من الأدوية الناجعة ، ما يطهرها من الهوى ،
ويغسلها من أدران الغرض والغاية ، ويهديها إلى الكمال والفضيلة ، ويخرجها
عن الجور والقصور والعدوان .

وإذا استقامت النفس وصفت ، فقد أصبح كل ما يصدر عنها صالحاً جميلاً .

يقولون إن العدل ليس في نص القانون ، ولكنه في نفس القاضي ، وقد تأتي
بالقانون الكامل العادل ، إلى القاضي ذي الهوى والغاية ، فيطبقه تطبيقاً جائراً
لا عدل معه ، وقد تأتي بالقانون الناقص والجائر ، إلى القاضي الفاضل العادل ،
البعيد عن الأهواء والغايات ، فيطبقه تطبيقاً فاضلاً عادلاً ، فيه كل الخير والبر
والرحمة والإنصاف .

ومن هنا كانت النفس الإنسانية ، محل عناية كبرى في كتاب الله ، وكانت
النفوس الأولى التي صاغها هذا الإسلام ، مثال الكمال الإنساني .

ولهذا كله كانت طبيعة الإسلام تسير العصور والأمم ، وتتسع لكل الأغراض

(١) سورة البقرة : الآية ٨٥

والمطالب ، ولهذا أيضاً ، كان الإسلام لا يأبى أبداً الاستفادة من كل نظام صالح ، لا يتعارض مع قواعده الكلية ، وأصوله العامة (١) .

ثمرة فهم الشمولية للإسلام :

يقول الإمام :

« كان من نتيجة هذا الفهم العام الشامل للإسلام ، عند الإخوان المسلمين ، أن شملت فكرتهم ، كل نواحي الإصلاح في الأمة ، وغطت فيها كل عناصر غيرها من الفكر الإصلاحية ، وأصبح كل مصلح مخلص غير ، يجد فيها أمنيته ، والتفت عندها آمال محبي الإصلاح ، الذين عرفوها ، وفهموا مراميها .

وتستطيع أن تقول ولا حرج عليك : إن الإخوان المسلمين :

١- دعوة سلفية : لأنهم يدعون إلى العودة بالإسلام إلى معينه الصافي ، من كتاب الله وسنة رسوله .

٢- وطريقة سنية^{صية} : لأنهم يحملون أنفسهم على العمل بالسنة المظهرة في كل شئ ، وبخاصة في العقائد والعبادات ، ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً .

٣- وحقيقة صوفية : لأنهم يعلمون أن أساس الخير ، طهارة النفس ، ونقاء القلب ، والمواظبة على العمل ، والإعراض عن الخلق ، والحب في الله ، والارتباط على الخير .

٤- وهئية سياسية : لأنهم يظالبون بإصلاح الحكم في الداخل ، وتعديل النظر في صلة الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم في الخارج ، وتربية الشعب على العزة والكرامة ، والحرص على قوميته إلى أبعد حد .

٥- وجماعة رياضية : لأنهم يعتنون بجسومهم ، ويعلمون أن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف ، وأن النبي ﷺ يقول : « إن لبدنك عليك حقاً » (١) وإن تكاليف الإسلام كلها ، لا يمكن أن تؤدي كاملة صحيحة ، إلا بالجسم

(١) فتح الباري : ٢٥٦/٤ رقم ١٩٧٥ ، وفيه : جسمك ، بدنك .

القوى ، فالصلاة والصوم والحج والزكاة ، لا بد لها من جسم ، يحتمل أعباء الكسب والعمل والكفاح في طلب الرزق ، ولأنهم تبعاً لذلك يعنون بتشكيلاتهم وفرقهم الرياضية عناية ، تضارع - وربما فاقت - كثيراً من الأندية المتخصصة بالرياضة البدنية وحدها .

٦- **ورابطة علمية ثقافية :** لأن الإسلام يجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ولأن أندية الإخوان ، هي في الواقع مدارس للتعليم والتثقيف ، ومعاهد لتربية الجسم والعقل والروح .

٧- **وشركة اقتصادية :** لأن الإسلام ، يعنى بتدبير المال ، وكسبه من وجهه ، وهو الذى يقول نبيه ﷺ : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » ^(١) ويقول : « من أمسى كالأ من عمل يده أمسى مغفوراً له » ^(٢) ، « إن الله يحب المؤمن المحترف » ^(٣) .

٨- **وفكرة اجتماعية :** لأنهم يعنون بأدواء المجتمع الإسلامى ، ويحاولون الوصول إلى طرق علاجها ، وشفاء الأمة منها .

وهكذا نرى أن شمول معنى الإسلام ، قد أكسب فكرتنا شمولاً لكل مناحى الإصلاح ، ووجه نشاط الإخوان إلى كل هذه النواحي ، وهم في الوقت الذى ينجه فيه غيرهم إلى ناحية واحدة دون غيرها ، يتجهون إليها جميعاً ، ويعلمون أن الإسلام يطالبهم بها جميعاً .

ومن هنا كان كثير من مظاهر أعمال الإخوان يبدو أمام الناس متناقضاً ، وما هو بمتناقض .

(١) رواه أحمد : ١٩٧/٤ ، وفيه للمروء يدل للرجل .

(٢) مجمع الزوائد : ٦٦/٤ ، كتاب البيع - باب الكسب والتجارة - وعزاه إلى الطبرانى في المعجم الأوسط .

(٣) مجمع الزوائد : ٦٥/٤ ، كتاب البيع باب الكسب والتجارة . . . وعزاه إلى الطبرانى في المعجم الكبير والمعجم والأوسط .

فقد يرى الناس الاخ المسلم في المحراب خاشعاً متبتلاً ييكي ويتدلل ، وبعد قليل يكون هو بعينه ، واعظاً مدرساً يقرع الاذان بزواج الوعظ ، وبعد قليل تراه نفسه رياضياً أنيقاً ، يرمي بالكرة ، أو يدرّب على العدو ، أو يمارس السباحة ، وبعد فترة يكون هو بعينه في متجره أو معمله ، يزوال صناعته في أمانة وفي إخلاص .

هذه مظاهر قد يراها الناس متناقضة ، لا يلتزم بعضها ببعض ، ولو علموا أنها جميعاً يجمعها الإسلام ، ويأمر بها الإسلام ، ويحضُّ عليها الإسلام لتحققوا فيها مظاهر الائتلاف ، ومعاني الانسجام .

ومع هذا الشمول فقد اجتنب الإخوان كل ما يؤخذ على هذه النواحي ، من المآخذ ومواطن النقد والتقصير ، كما اجتنبوا التعصب للألقاب ، إذ جمعهم الإسلام حول لقب واحد هو : الإخوان المسلمون .



الأصل الثاني

« القرآن الكريم ، والسنة المطهرة مرجع كل مسلم
في تعرف أحكام الإسلام .
ويفهم القرآن طبقاً لقواعد اللغة العربية من غير
تكلف ولا تعسف .

ويرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث
الثقات » .

علاقة الأصل بسابقه :

هذا الأصل مرتبط بسابقه ، فالأول قرر شمولية الإسلام لكل مظاهر الحياة ،
وهذا الأصل يقرر المصدر الذي نستقي منه كل أحكامنا لكل شؤون ومظاهر الحياة
التي يتناولها الإسلام .

أدلة الأحكام :

بين الإمام الشهيد أن مرجع الأحكام لكل مسلم هو الكتاب والسنة . والأدلة
على ذلك متوافرة منها :
قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ
فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ (١) .

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٢) .

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَمْرٌ ﴾ (٣) .

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (٤) .

(٢) سورة النحل : من الآية ٨٩

(٤) سورة الخشر : من الآية ٧

(١) سورة النساء : من الآية ٥٩

(٣) سورة الإسراء : من الآية ٩

والآيات في تقرير هذا الأمر كثيرة ، ومن الأحاديث : قول النبي ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن :

« كيف تقضى إذا عرض لك قضاء ؟ » .

قال : أقضى بكتاب الله .

قال : « فإن لم تجد في كتاب الله ؟ » .

قال : فبسنة رسول الله ﷺ .

قال : « فإن لم تجد في سنة رسول الله ﷺ ولا في كتاب الله ؟ » .

قال : أجتهد رأيي ولا آلو .

فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال :

الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضى رسول الله . (١)

وأقوال الصحابة والعلماء في تقرير هذه الحقيقة كثيرة جداً .

تساؤلات :

- لماذا اقتصر على الكتاب والسنة ولم يذكر بقية أدلة الأحكام كالإجماع والقياس والاستحسان ... ؟

إن هذا اقتصر دليل على حكمة الإمام الشهيد ويتجلى ذلك بما يلي :

(أ) أنه أراد أن يجمع قلوب الأمة وسبيل ذلك الجمع على المتفق عليهم ، وهو القرآن والسنة . أما الإجماع والقياس فقد خالف فيهما قلة .

أما باقي الأدلة « كالعرف والاستحسان والمصالح المرسلة ... » فهي محل اختلاف بين العلماء (٢) .

(ب) أن باقي الأدلة يرشد إليها الكتاب والسنة فلاكتفاء بهما اكتفاء بالأصل دون إنكار لباقي الأدلة عند من اعتبرها .

(١) أبو داود : ٣/٣٠٢ رقم ٣٥٩٢ (٢) الوجيز في أصول الفقه : ١٤٨

يقول الإمام الشاطبي :
« إن الأدلة نوعان : عقلية وعقلية . »

وعند النظر نجد أن الأدلة الشرعية محصورة في الكتاب والسنة ، لأن الأدلة الثابتة لم تثبت بالعقل ، وإنما ثبتت بالكتاب والسنة إذ بهما قامت أدلة صحة الاعتماد عليها فيكون الكتاب والسنة مرجع الأحكام ومستندهما . . . » (١)

المرجع في فهم القرآن :

فقر الإمام الشهيد أن المرجع في فهم القرآن هو اللغة العربية الواضحة المعاني ، القريبة الدلالة وأتكرر التكلف والتعسف في الفهم .

« ويفهم القرآن الكريم طبقاً لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف . »

وذلك لأن « القرآن نزل بلسان العرب على الجملة فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة لأن الله تعالى يقول :

﴿ إنا أنزلناه قرآناً عربياً ﴾ (٢)

﴿ بلسان عربي مبين ﴾ (٣)

. . . فمن أراد تفهمه فمن جهة لسان العرب يفهم ، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة » (٤) . ولقد كان من هدى الصحابة الكرام البعد عن التكلف في فهم القرآن ، والنهي عن هذا الأسلوب .

فعن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ :

﴿ وفاكهة وأباً ﴾ قال : ما الأب ؟ ثم قال : ما كلفنا هذا أو قال : ما أمرنا

بهذا .

(١) الموافقات / للشاطبي : ٤٢ / ٢

(٢) سورة يوسف : من الآية ٢

(٣) سورة الشعراء : الآية ١٩٥

(٤) الموافقات / للشاطبي : ٦٤ / ٢ ، وانظر أيضاً ص ٤٢

وعن أنس أن رجلاً سأل عمر بن الخطاب عن قوله : ﴿ وفاكهة وأبا ﴾ ما
الآب ؟ فقال عمر : نهينا عن التعقيم والتكلف .

ومن المشهور تأديبه لصبيغ حين كان يكثّر السؤال عن « المرسلات » ،
و« العاصفات » ونحوهما (١) .

المرجع في فهم السنة :

لم يكتف الإمام الشهيد بالإرشاد إلى المصدر الصحيح للأحكام ، وإنما أرشد
إلى الطريق المثلى في فهم القرآن والسنة ، حتى لا يأخذ كل ما يهواه ، ويدع ما
لا يروقه بغير سلطان .

فيبين أن السنة المطهرة يرجع في فهمها إلى رجال الحديث الثقات . فهم أقدر
الناس على معرفة صحيحها من سقيمها ، ودلالاتها ومعانيها .

ملاحظات :

هنا عدة ملاحظات تجلّى دقة الإمام الشهيد منها :

- في تحديد القرآن والسنة مرجعاً للأحكام تأكيد لسلفية الدعوة ، ونهجها منهج
السلف الصالح .

- في تحديد هذا المصدر والسير عليه أمان من الضلال فقد قال ﷺ : « ما ألتفت

إلى تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة نبيه » (٢) .

- أغلق الباب على أهل الزيغ والضلال الذين كانوا يتلاعبون بعقول الناس ،
ويخدعون السذج بما يأتونه من مفاهيم غريبة وبعيدة عن روح القرآن ومقاصده
وبما يخلقونه من أحاديث لا وجود لها وتفسيرات لها متكلفة متعسفة .

- في النهي عن التكلف والتعسف في الفهم حفظ لشمل المرء والأمة ، فكم من

(١) الموافقات : ٨٧/٢

(٢) انوطاً : ٨٩٩/٢ كتاب القدر - باب النهي عن القول بالتقدير .

نفس ضللت ، وجماعات تمزقت بسبب التكلف والتعسف ، وعدم الاكتفاء بالجللي الواضح .

والتعسف : السير بغير علم وهداية ، والأخذ على الطريق من غير توجع للصواب ، ولا تدبر ولا روية ، ولا رجوع عن الغي ؛ ولذا سمي التعسف ظمناً ، وفي المأثور : « لا تبلغ شفاعتي إماماً عسوفاً » أي : جائراً ظلوماً ؛ ويقال أعسف الرجل إذا سار بالليل خبط عشواء .

والتكلف : التعرض لما لا يعني ، والأمر الشاق العسير ، وما لا يطاق ، ولتحشم الصعاب وفي الأثر : « أنا وأمتي براء من التكلف » .

وعن عمر رضي الله عنه : نهينا عن التكلف ؛ ولعله يعني : البحث عن الأشياء الغامضة التي لا يجب البحث عنها والأخذ بظاهر الشريعة وقبول ما أنت به .

فمن الأول ما ذهب إليه بعض المفسرين - من غير أهل السنة والجماعة - إذ قالوا في معنى الآية الكريمة : ﴿ كذبوا بآياتنا كلها ... ﴾ ^(١) : كذبوا بعلي ؛ فهو عندهم : الآيات كلها ؛ وكُنْ على ذكر يا أخى من أن الآية الكريمة قبل هذه : ﴿ ولقد جاء آل فرعون النذر ﴾ ^(٢) ؛ فأين كان - رضي الله عنه - إذ بعث موسى عليه السلام إلى قبط مصر !؟

ومن الثاني : ما ذهبوا إليه في معنى : ﴿ ... ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ ^(٣) من أن تحريك على كرم الله وجهه لإصبعه وفيها خائفة لينزع منها ويعطى للفقير دخل أثناء ركوعه - رضي الله عنه - .

وكذا ما فسر به البعض قول الحق سبحانه : ﴿ فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ﴾ ^(٤) بأنه تكليف بالخروج هذه المدة من كل عام ! مع أن الآية سبقت لبيان عداوة الله ورسوله للمشركين ناقضي العهود ؛ والأمر سبق تهديداً لهم ووعداً ،

(١) سورة القمر : الآية ٤٢

(٢) سورة القمر : الآية ٤١

(٣) سورة المائدة : الآية ٥٥

(٤) سورة التوبة : الآية ٢

بدليل ما جاء بعده : ﴿ ... واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين ﴾ (١) ؛ فهل بعد هذا من كلفة واعتساف !؟

ومما يؤكد أن اللغة العربية هي الأساس لفهم القرآن الكريم ما يرويه الإمام الشاطبي أن خليفة المسلمين عمر بن الخطاب كان على المنبر فسأل عن معنى «التخوف» في قوله تعالى : ﴿ أو يأخذهم على تخوف ﴾ فأجاب الرجل الهذلي بأن التخوف في لغتهم التنقص ، وأنشده شاهداً عليه :

تخوف الرجل منها تامكاً قوداً كما تخوف عدد النبعة السفن

فقال عمر : يا أيها الناس تمسكوا بديوان شعركم في جاهليتكم فإن فيه تفسير كتابكم .

وقال عمرو بن مرة في قوله تعالى : ﴿ أولئك هم المؤمنون حقا ﴾ إنما أنزل القرآن بلسان العرب كقولك : فلان سيد حقا ، وفي القوم سادة ، وفلان تاجر حقا ، وفي القوم نجار ، وفلان شاعر حقا وفي القوم شعراء (٢) .

* * *

(١) سورة التوبة : الآية ٢

(٢) تفسير ابن كثير : ٢/٢٨٦

الأصل

الثالث

« وللإيمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفها الله في قلب من يشاء من عباده .

ولكن الإلهام والخواطر والكشف والرؤى ليست من أدلة الأحكام الشرعية .

ولا تعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه » .

علاقة الأصل بسابقه :

في الأصل السابق بين الإمام الشهيد ما يجب أن يتخذه كل مسلم مرجعاً لأحكام الإسلام وفي هذا الأصل يواصل الحديث عما يعتبره بعض الناس مرجعاً للأحكام فيبين مقدار هذه الدعوى من الثبوت أو السقوط .

آثار الإيمان والعبادة والمجاهدة :

يقرر الإمام الشهيد أن للإيمان الصادق النقي ، والعبادة الصحيحة الخالية من البدع ، والمجاهدة المستقيمة البعيدة عن الغلو ، آثاراً طيبة على صاحبها ، قد ذل عليها كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ ، وسيرة السلف الصالح ، من هذه الآثار :

● أن الله تبارك وتعالى يمن على صاحبها بنور يكشف به ما لا يكشفه غيره ، ويميز به بين التشابهات والمتداخلات . . .

● وأن الله تبارك وتعالى يذيق صاحبها من حلاوة الإيمان ما شاء الله له فيشعر بسعادة ولذة عظيمة . ولكل ذلك أدلته الصحيحة التي تؤكد .

● فمن أدلة الثاني : قوله ﷺ :

١ ثلاث من كن فيه وجد خلاوة الإيمان :

أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله .

وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف به في النار .^(١) وأقول

العلماء في هذا المعنى كثيرة .

● ومن أدلة الأول : قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ﴾^(٢) .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل

لكم نوراً تمشون به ﴾^(٣) .

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله :

كان أبو الدرداء يقول : إياكم وفراصة العلماء احذروا أن يشهدوا عليكم شهادة

تكفيكم في النار فوالله إنه للحق يقذفه الله في قلوبهم قلت - القائل ابن القيم - :

وأصل هذا في الترمذي مرفوعاً :

١ اتقوا فراصة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله ، ثم قرأ : ﴿ إن في ذلك لآيات

للمتوسمين ﴾^(٤) .

٢ وكان عمر رضي الله عنه يقول :

(١) متفق عليه . فتح الباري : ٧٧/١ رقم ١٦

(٢) سورة الأنفال : من الآية ٢٩ (٣) سورة الحديد : من الآية ٢٨

(٤) سورة الحجر : الآية ٧٥ - إعلام الموقعين : ٦٤/١

اقتربوا من أفواه المطيعين ، واسمعوا منهم ما يقولون فإنه تتجنى لهم أمور صادقة . وهذه الأمور الصادقة . . . هي الأمور التي يكشفها الله عز وجل لهم فقد ثبت أن لأولياء الله مخاطبات ومكاشفات . . . (١) .

ومن الوقائع الثابتة المشهورة :

ما ثبت عن عثمان رضي الله عنه أن رجلاً دخل عليه فقال له عثمان : يدخل على أحدكم والزنا في عينيه فقال : أوحى بعد رسول الله ﷺ ؟ فقال : لا ، ولكن قراسة صادقة (٢) .

وقصة عمر وهو يخطب على المنبر حيث قطع الخطبة وقال : يا سارية ، الجبل الجبل (٣) .

هذا كله بجلى لنا بعض ما يمن به الله على عباده المؤمنين الصادقين من الخلاوة والنور فيرون به ما يخفى ويغيب على غيرهم .

هذا من حيث المبدأ ، أما الوقائع فيتوقف تصديقها على ثبوتها بالأسانيد الصحيحة .

حكم الإلهام والرؤى والكشف :

يبين الإمام الشهيد أن الإلهام والخواطر والكشف والرؤى أمور لها وجود ثابت ، فلم ينكرها كلية .

وهي مع وجودها ليست من أدلة الأحكام المستقلة لأن الظن يتطرق إليها كثيراً ، والأوهام تختلط بها كثيراً ، وما كان كذلك لا يعتمد عليه .

فإن قيل : ما فائدة وجودها ؟

قيل : الاستئناس بها عند عدم معارضتها لكتاب والسنة ، وزيادة في التثبيت ، ونور على نور .

(٢) الطرق الحكمية ص ٤١

(١) الفتاوى : ٢٠٤ / ١١ : ٢٠٥

(٣) سيرة وصانق عمر ص ١٧٢ ، ١٧٣

وهذه الحقائق التي قررها الإمام الشهيد هي ما يتفق مع كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ وهي ما قرره العلماء الأثبات .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : **الرؤية المحضة التي لا دليل يدل على صحتها لا يجوز أن يثبت بها شيء بالاتفاق .**

فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : **« الرؤية ثلاثة : رؤية من الله ،**

ورؤية عما يحدث به المرء نفسه .

ورؤية من الشيطان » (١) .

فإن كان جنس الرؤيا تحته أنواع ثلاثة ، فلا بد من تمييز كل نوع منها عن نوع (٢) .

لا بد من العرض على الكتاب والسنة :

مع إقرار العلماء بوجود الكشف والرؤى . . . فرروا ضرورة عرض كل ما يجدونه من ذلك على الكتاب والسنة لأنهما معصومان ، وتلك الأمور ظنية غير مضمونة العصمة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

« إن كثيراً ممن يظن به أنه حصل له هذا الكشف يكون ظاناً في ذلك ظناً لا يغنى عن الحق شيئاً وأهل المكاشفات والمخاطبات يصيبون تارة ، ويخطئون أخرى ، ولهذا وجب عليهم أن يعتصموا بكتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، وأن يزنوا مواجدهم ومشاهداتهم وآراءهم ومعقولاتهم بكتاب الله وسنة رسوله ولا يكتفوا بمجرد ذلك . . . ولو كان أحد يأتيه من الله ما لا يحتاج إلى عرضه على

(١) رواه مسلم : ١٧٧٣ / ٤ رقم ٢٦٦٣

(٢) الفتاوى : ٤٥٨ / ٢٧ (٢)

الكتاب والسنة فكان مستغنياً عن الرسول ﷺ في بعض دينه ، وهذا من أقوال المارفين ، (١) .

- وهذه الحقيقة يقر بها أئمة الصوفية المستقيمون :
- يقول الشيخ أبو سليمان الداراني :
- إنه ليقع في قلبي النكته من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين : الكتاب والسنة .
- ويقول أبو القاسم الجنيد رحمه الله :
- علمنا هذا عقيد بالكتاب والسنة ، فمن لم يقرأ الكتاب ويكتب الحديث لا يصلح له أن يتكلم في علمنا ، أو قال : لا يقتدي به .
- وقال أبو عمرو بن لحيد :

« وكل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل » (٢) .

ملاحظات :

نلاحظ في هذا الأصل عدة أمور :

- ١- المحافظة على مصادر الأحكام الشرعية صافية نقية .
- ٢- وسطية واعتدال الإمام الشهيد حيث إنه لم يقصر ولم يبالغ ، فلم يكر أصل وجود الإلهام والخواطر والكشف والرؤى ولم يبالغ في اعتبارها دليلاً مستقلاً من أدلة الأحكام ، ولم يهمل دلالتها كلية ، فإنها هي للاستئناس وزيادة التثبت إذا لم نصطدم بأحكام الدين ونصوصه .
- ٣- أغلق الباب على الدجالين الذين يحيلون على مجاهيل فيتلاعبون بعقول الناس وعواطفهم . . .
- ٤- وأنقذ المخدوعين من شباك أهل الظنون والأوهام والخرافات .
- ٥- عفة التعبير ، فقد عرض الحقائق دون ممالة ولا تحريج للمخالفين .

(١) الفتاوى : ٦٤/١١ ، ٦٦ .

(٢) الفتاوى : ٢١٠/١١ ، وانظر الموافقات : ٨٢/١ ، ٨٢/٤ .

الأصل الرابع

« والتمائم والرقى والودع والمعرفة والكهانة وادعاء
معرفة الغيب ، وكل ما كان من هذا الباب منكر تجب
محاربته (إلا ما كان آية من قرآن أو رقية مأثورة) » . . .

في هذا الأصل يركز الإمام الشهيد على تنقية العقيدة من المكدرات ، وتحرير
العقول والقلوب من التعلق بالآوهام والظنون والخرافات ، فقد كثر في هذه
العصور أهل الدجل نتيجة انتشار الجهالات ، فراحوا بسطون على عقول وقلوب
وجيوب المساكين الضحايا ، فتأثر كثير من الناس بذلك ، فصنع الإمام الشهيد
بالحق ليفيقوا ، وتنبهوا إلى صفاء العقيدة ، بعيداً عن الخزعبلات والشركيات
فبين حرمة التمام والرقى والكهانة . . .

وامتنحنى من ذلك ما كان آية من قرآن أو رقية مأثورة ففيها خلاف .
ولكل ذلك أدلته من القرآن والسنة .

وقبل الشروع في ذكر الأدلة نوضح معاني بعض المفردات :

التمائم : جمع تيمة ، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يرون
أنها تدفع عنهم الآفات ويتقون بها العين ، ويجلبون بها المنافع .

الرقى : جمع رقية وهي العودنة التعويذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحصى
والصبر وغير ذلك من الآفات (١) .

الودع : شيء يخرج من البحر يشبه الصدف يتقون به العين .

المعرفة : المراد ادعاء معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان
الضالة والمخبوء . . . ونحو ذلك .

(١) لسان العرب مادة رقا .

الكهانة : الكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل . وقيل : الذي يخبر عما في الضمير .

أدلة تحريم هذه الأمور :

قال رسول الله ﷺ :

« من تعلق تيممة فلا أثم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له » (١)

« من علق تيممة فقد أشرك » (٢)

« إن الرقي والتمايم والتولة شرك » (٣)

والتولة : شئ يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها ، والرجل إلى امرأته .

والمراد بالرقي والتمايم ما كان بألفاظ وعبارات شرك أما إذا كانت التمايم آيات قرآنية وأدعية مأثورة ففيها خلاف بين العلماء كما ستذكره إن شاء الله .

أسباب تحريم هذه الأمور :

الضرر النافع هو الله وحده

فمن اعتقد في شئ أنه يضر أو ينفع غير الله فقد اختلعت عقيدته .

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَرِدْكَ بَخِيرٌ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ... ﴾ (٤)

قال تعالى منكراً على الكافرين :

﴿ واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ﴾ (٥)

(٢) رواه أحمد : ١٥٤/٤

(٣) رواه ابن ماجه : ١١٦٦/٢ رقم ٣٥٣٠

(٥) سورة الفرقان : الآية ٣

(٤) سورة يونس : الآية ١٧

- لا يعلم الغيب إلا الله .

قال تعالى : ﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ﴾ (١) .

﴿ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ﴾ (٢) .

« من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه ، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً » (٣) .

« من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » (٤) .

حكم الرقى والتمايم القرآنية والمأثورة :

بالنسبة للرقية :

يقول الخطابي :

« كان عليه السلام قد رقى ورقى ، وأمر بها وأجازها فإذا كانت بالقرآن وبأسماء الله فهي مباحة أو مأمور بها » (٥) .

وقال السيوطي :

قد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط :

أن يكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته .

وباللسان العربي وما يعرف معناه .

وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها وإنما بتقدير الله .

أما بالنسبة للتمايم :

« فقد رخص فيه بعض السلف وبعضهم لم يرخص » (٦) .

والخلاف في هذا قديم ومشهور عن السلف رضوان الله عليهم ، فمن أطمأن

قلبه لل منع ومن أطمأن للإباحة أباح دون أن يلزم أحد الآخر وإنما هي

المناصحة والمشاورة .

* * *

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٨٨

(٤) رواه الترمذي : ٢٤٢/١ رقم ١٣٥

(٦) فتح المجيد : ١٢٦ ، ١٢٧

(١) سورة النمل : الآية ٦٥

(٣) رواه مسلم : ١٧٥١/٤ رقم ٢٢٣

(٥) فتح المجيد : ١٢٦ ، ١٢٧

الأصل الخامس

السياسة الشرعية

« ورأى الإمام ونائبه فيما لا نص فيه ،

وفيما يحتمل وجوهاً عدة ،

وفي المصالح المرسلة ،

معمول به ما لم يصطدم بقاعدة شرعية .

وقد يتغير بحسب الظروف والعرف والعادات .

والأصل في العبادات التعبد دون الالتفات إلى المعاني .

وفي العاديات الالتفات إلى الأسرار والحكم والمقاصد »

في هذا الأصل بين الإمام الشهيد أصولاً في السياسة الشرعية ، وما يجوز للإمام ونائبه وما لا يجوز ، ويضع الضوابط الشرعية لذلك ، تلك الضوابط التي نتج عن عدم مراعاتها تعطيل حدود ، وتضييع حقوق ، وفتح أبواب شرور وفساد .

فما أخرجنا إلى معرفة قواعد السياسة الشرعية وفهمها الفهم الصحيح بلا إفراط ولا تفريط !!

المراد بالإمام ونائبه :

يراد بالإمام : الخليفة الحاكم العام للمسلمين .

ويراد بالنائب : كل من استخلفه الإمام على عمل ليقوم مقامه ، كأمراء

الولايات ، وقادة الجند ، والقضاة . . .

ويراد بالإمام - أيضاً - كل قيادة شرعية اختارها المسلمون .

من حقوق الإمام ونائبه :

من الحقوق المهمة التي تعيننا في هذا الأصل أن يعمل بالرأى الاجتهادي للإمام ونائبه في دائرة محددة بشروط محددة سنجليها بعد قليل إن شاء الله .
وأهمية العمل بهذا الرأي - أعني رأى الإمام ونائبه - تتجلى في رفع النزاع ، وحسم الأمور ، والحفاظ على الجماعة من التفرق والجهود من التشتت .

مواصفات الإمام :

من الأمور الجديرة بالذكر هنا أن الإمام الذي من حقه أن يعمل برأيه له أوصاف معينة وليس كيفما اتفق ولا على أى حال كان .

والذي يهمنا هنا من الأوصاف أن يكون ذا بصيرة بشرع الله ومعرفة بأحكامه تمكنه من إدراك الأمور وأن يكون مخلصاً لا صاحب هوى .
هذا إذا لم يكن من أهل الاجتهاد .

دوائر العمل برأى الإمام :

بعد أن عرفنا بعض أوصاف الإمام نأتى للحديث عن الدوائر والمجالات التي يعمل برأيه الاجتهادي فيها وقد حدد الإمام الشهيد هذه الدوائر بثلاث هي :

● ما لا نص فيه .

● ما يحتمل وجوهاً عدة .

● المصالح المرسلة .

وسوف نتناول كلاً بكلمة تناسب المقام .

أولاً : ما لا نص فيه :

هذه أول دائرة من الدوائر التي يعمل فيها برأى الإمام ويحسن بنا أن نعرفها ،

وحتى يتجلى تعريفها لا بد من معرفة المراد من لفظ « نص » وفق هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

« ولفظ النص يراد به : ثارة ألفاظ الكتاب والسنة سواء كان اللفظ دلالة قطعية أو ظاهرة ... »^(١) ويراد بالنص ما دلالة قطعية لا يُحتمل التقيض كقوله : « تلك عشرة كاملة »^(٢)

ومراد الإمام الشهيد بقوله : « ما لا نص فيه » أي : المسائل الاجتهادية التي أدلتها غير قطعية الدلالة بل يحتمل التقيض .
أمثلة :

● كانت أم الولد - وهي الأمة التي ولدت من سيدها - تباع في عهد النبي ﷺ . وعهد أبي بكر ، ثم جاء عمر فمنع بيع أمهات الأولاد ، ثم جاء علي فأجاز البيع ثم منعه ...
وذلك لأن الأدلة الواردة في المسألة ليست دلالتها قاطعة في تحريم البيع ، أو عدم التحريم ، فكان كل إمام يختار الأصلح لزمته ...^(٣)

ثانيا : ما يحتمل وجوها عدة :

وهي الأمور التي وردت فيها أدلة ، وهذه الأدلة تضع أمام الحاكم عدة وجوه في المسألة ، فللحاكم أن يتمخبر أحد هذه الوجوه حسب ما يراه من المصلحة .
مثال :

« معاملة الأسرى في حرب مشروعة »

(١) لمزيد من الإيضاح يراجع مبحث « دلالة الألفاظ من حيث الوضوح والخفاء » في كتب أصول الفقه .
(٢) انظر الطرق الحكمية في السياسة الشرعية : ٢٣ .

فقد وضع الإسلام أمام الحاكم عدة أحكام له أن يتخير أيها شاء بناء على ما يراه الأنفع والأصلح وهذه الأحكام هي :

١- الممن .

٢- القداء : (أ) بالمال .

(ب) بأسرى المسلمين .

(ج) بالتعليم .

٣- القتل .

٤- الرق .

مثال آخر :

١- حد المحاربين وقطاع الطريق .

فقد وضع الإسلام أمام الحاكم عدة أحكام في هذه المسألة وخيره بينها ، فله أن يختار الأنفع والأصلح .

قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١)

فقد قرر القرآن الكريم أربع عقوبات ، وللمحاكم أن يختار إحداها (٢) ، وهي :

١- القتل .

(١) سورة المائدة : الآية ٣٣

(٢) رأى التخيير هو قول بعض العلماء ، وهناك آخرون يقولون إن « أَوْ » تلتزم .

انظر فقه السنة : ٤٧٢ / ٢ - ٤٧٩

- ٢- الصلب .
- ٣- تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف .
- ٤- النقي .

ثالثا : المصالح المرسله :

من المفيد أن نعرف معنى المصلحة وأنواعها في هذا المقام بما يسمع فنقول وبالله التوفيق .

- المصلحة : هي جلب المنفعة ودفع المنفعة .
- أنواعها : تنقسم المصلحة إلى ثلاثة أنواع :

- ١- المصالح المعتبرة .
- ٢- المصالح الملقاة .
- ٣- المصالح المرسله .

١- المصالح المعتبرة :

هي التي شهد لها الشارع بالاعتبار بأن شرع لها الأحكام الموصلة إليها .
 مثل : حفظ الدين ، والنفس ، والعقل ، والعرض ، والمال ، فقد شرع الشارع الجهاد لحفظ الدين ، والقصاص لحفظ النفس وحد الشرب لحفظ العقل ، وحد الزنى والقدف لحفظ العرض وحد السرقة لحفظ المال .

٢- المصالح الملقاة :

هي التي أهملها الشارع بما شرعه من أحكام تدل على عدم اعتبارها .
 مثل : مصلحة الأنثى في مساواتها لأخيها في الميراث فقد ألغاهما الشارع بدليل قوله تعالى : ﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ (١) .

(١) سورة النساء : الآية ١١

● ومثل مصلحة من يزيد ماله ويستثمره عن طريق الربا بتأجيل قوله تعالى :

﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ ﴾ (٢)

٣- المصالح المرسلة :

وهي التي لم ينص الشارع على اعتبارها ولا إلغائها فهي مصلحة : لأنها تجلب نفعاً وتدفع ضرراً .

وهي مرسلة : لأنها مطلقة عن اعتبار الشارع أو إلغائه . فهي إذن تكون في الوقائع المسكوت عنها ، وليس لها نظير منصوص على حكمه حتى نقبسها عليه .
مثال :

الأمثلة في هذا الباب كثيرة جداً منها :

● جمع القرآن في مصحف واحد .

● جمع المسلمين على مصحف واحد .

● تضمين الصنائع ما يهلك تحت أيديهم من أموال الناس .

● قتل الجماعة بالواحد ، والتأريخ بالهجرة

● تدوين الدواوين (٢) .

شروط العمل بالمصلحة المرسلة :

(أ) أن تكون المصلحة حقيقية لا وهمية .

(ب) أن تكون مصلحة عامة لا شخصية .

(ج) ألا تعارض حكماً ثابتاً بالنص أو الإجماع .

(١) سورة البقرة : الآية ٢٧٥

(٢) انظر : الاعتصام : ٣٥٤/٢ - ٣٦٤ ، والطرق الحكمية : ٢٠ - ٢٢

- الفرق بين الدوائر الثلاث :

يحسن بنا أن نعرف الفرق بين المجالات والدوائر الثلاث التي يعمل فيها برأى الإمام ونائبه والتي ذكرها الإمام الشهيد في هذا الأصل ، ويمكن معرفة ذلك من الشرح السابق ، والأمثلة وتحميلية للأمر نقول :

● دائرة ما لا نص فيه ، يوجد فيها الدليل الشرعي من قرآن أو سنة . . . ولكن الغائب هو تحديد الدلالة والقطع بها .

● أما دائرة احتمال الوجوه العدة ، فهي أيضاً يوجد فيها الدليل الشرعي من قرآن أو سنة . . . لكن تختلف عن سابقتها بأن الدلالة هنا واضحة ومحددة الوجوه ، فما على الإمام إلا أن يختار وجهاً من هذه الوجوه .

● أما دائرة المصالح المرسله فلا يوجد فيها دليل أصلاً لا بالتأييد ولا بالنفي إنما مسكوت عنها .

العمل برأى الإمام مشروط بعدم الاصطدام بقاعدة شرعية :

بين الإمام الشهيد أن رأى الإمام ونائبه يعمل به في المجالات السابق ذكرها بشرط عدم الاصطدام بقاعدة شرعية ، فإنه حينئذ يهدر ويلقى ، ويقدم الثابت من كتاب الله وسنة رسوله .

مثال :

أفطر أحد ملوك الأندلس في نهار رمضان عمداً فاستفتى يحيى بن يحيى فأفتاه بأنه لا كفارة له إلا صيام شهرين متتابعين (١) .
فهذا الاختيار غير صحيح لأنه يصادم نصاً صريحاً بأن المفطر عليه العتق أو الصيام أو الإطعام (١) .

ويدخل في هذا الباب أمثلة المصالح الملقاة .

(١) انظر الاعتصام : ٣٥٣/٢

تغيير الرأى بحسب الظروف والعرف والعادات :

للإمام ونائبه أن يغير رأيه فى دائرة ما سبق ذكره بحسب تغير الظروف والعرف والعادات .

● وهذا التغيير يكون من إمام إلى إمام .

مثل : منع عمر بيع أمهات الأولاد ، وقد كان هذا البيع ماضياً فى عهد الرسول ﷺ وأبى بكر .

ومثل : - تسوية أبى بكر للسابقين إلى الإسلام واللاحقين فى العطاء . فلما تولى عمر فضل السابقين على اللاحقين .

● وقد يكون التغيير من الإمام نفسه فى مسألة واحدة .

مثل : - قوت الشافعى فى القديم :

وقد تحدث الإمام ابن القيم عن هذه المسألة بالتفصيل وضرب كثيراً من الأمثلة عليها تحت عنوان : فصل فى تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد (١) .

والإمام فى انتقاله من رأى لآخر يكون مراعيًا الألفع والأصلح ومنطلقاً مما جده له من اطلاع على أدلة كانت غائبة عنه ومعرفة جديدة بأحوال الناس والنواقع حوله

ما يلزم فيه برأى الإمام وما لا يلزم :

عرفنا أن رأى الإمام ونائبه يعمل به فى الأمور الاجتهادية .

وها هنا أمر هام يجب معرفته ، وهو :

هل يلزم برأى الإمام فى كل المسائل الاجتهادية أو أن هناك أموراً يلزم فيها ، وأموراً لا يلزم فيها ؟ الجواب هو :

(١) إعلام الموقعين : ٣/٣-٥٨

هناك أمور يلزم فيها برأى الإمام وأمور أخرى لا يلزم فيها .

● فمن الأمور التي لا يلزم فيها برأى الإمام :

• الأمور العامة الكلية التي أمر الله جميع الخلق أن يؤمنوا بها ويعملوا بها .

مثل : التنارع في قوله : ﴿ أُولَاسْتَمِمْ النِّسَاء ﴾ هل المراد به الجماع ؟ . . .

أو المراد به التمس بجميع البشرة ؟ . . .

وكذلك تنارع المسلمون في الوضوء من خروج الدم بانقضاء والحجامة . . .

ومن مس الذكر ، والقهقهة . . . (١)

● والأمور التي يلزم فيها برأيه هي التي تحتاج إلى حسم لينفذ الأراء فيها :

كأحكام انقضاء الأمور التي تختص به كأمور الحرب وما يتعلق بها والأمور التي

يترتب عليها مصالح عملية في حياة الناس .

لا إنكار على الإمام في اختياره :

بعد أن عرفنا الأمور التي يعمل فيها برأى الإمام علينا أن نعرف أنه يلزم

الإذعان لرأى الإمام وإن كان يخالف رأى الغير ، وليس لهذا الغير أن يقول

للإمام : أنا لا أرضى بحكمك حتى تحكم بالقول الآخر الذي تختاره (٢)

الأصل في العبادات التعبد :

ويوضح الإمام الشهيد هاهنا قاعدة هامة وهي : أن الأصل في العبادات التي

شرعها الله وحدد صورها وأوقاتها وشروطها وزمنها ومكانها . . . الأصل في

ذلك التعبد أى الانقياد لأوامر الله معظمين إياه ، واقفين عندما حدده الشارع ،

غير ملتفتين إلى البحث عن حكم ذلك وأسواره وعقله وإن كنا نؤمن أن ذلك ما

شرع إلا لحكمة يعلمها الله وقد يوضح لنا بعضها وهو قليل (٣)

(٢) انظر الفتاوى : ٣٥ / ٣٦٠

(١) الفتاوى : ٣٥٧ / ٣٥ - ٣٦٠

(٣) انظر الموافقات : ٢ / ٣٠٠ - ٣٠٤

أمثلة :

من أمثلة العبادات التي هي للتعبد :

- الطهارة ، فإنها لا تكون إلا بماء طهور وإن أمكنك النظافة بغيره .
 - وكذلك التيمم فإنه يقوم مقام الطهارة مع وجود الماء الطاهر غير المظهر .
 - والذكر المخصوص - كالدعاء - فإنه مطلوب في هيئة ما - كالسجود - وغير مطلوب في هيئة أخرى - كالركوع .
 - والتوافل فإنها مطلوبة في وقت دون وقت
 - وكذلك الصوم فإنه محدد بوقت بداية ونهاية ويكون عن أشياء مخصوصة .
- وهكذا سائر العبادات .
- ومقصد الإمام الشهيد هاهنا أن اجتهاد الإمام وأي شخص كان لا يتطرق إلى دائرة العبادات ، بحجة المصلحة أو التوسعة على الناس .

مثال :

- أن يجتهد امرؤ في نقل صلاة الجمعة من يوم الجمعة إلى يوم آخر لأن الناس مشغولون يوم الجمعة ومتفرغون في ذلك اليوم .
- أو يجتهد في أن يكون الصيام محددًا بعدد من الساعات في أي وقت من اليوم واللييلة بدلاً من التقيد بالفجر وغروب الشمس .
- أو يجتهد أن يكون رمى الجمار في غير مكان العقبة . وهذه كلها اجتهادات باطلة لأنها في أمور تعبدية لا مجال للرأى فيها .

الأصل في انعاديات الحكم :

بعد بيان الأصل في العبادات ، يأتي بيان الأصل في العاديات وهو الالتفات إلى الأسرار والحكم والمقاصد ، فإننا وجدنا الشارع قاصداً لمصالح العباد ، والأحكام العادية معه حيثما دار . فترى الشيء الواحد يمنع في حال لا تكون فيه

مصلحة فإذا كان فيه مصلحة جاز : كالدرهم بالدرهم إلى أجل يمنع في المباحة، ويجوز في القرض ... (١)

● ومقصد الإمام الشهيد هاهنا أن اجتهد الإمام ونائبه بعمل به في هذه الدائرة.

في المباحة ... (١) انظر الموافقات : ٣٠٥/٢ - ٣٠٧

الأصل

السادس

« وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم »
وكل ما جاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقاً
للكتاب والسنة قبلناه ،

وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع ولكننا لا
نعرض للأشخاص - فيما اختلف فيه - بطعن أو
تجريح ، ونكلهم إلى نياتهم ، وقد أفضوا إلى ما قدموا .

في هذا الأصل يقرر الإمام الشهيد عدة أمور تضمن لشمرة الاستقامة على
الطريق السوي الذي لا غلو فيه ولا تقصير ، ولا محاباة فيه ولا غمط ، ولا
تهجم فيه ولا اعتداء .

فبين رحمه الله :
أنه لا عصمة لغير الرسول ﷺ .

ثم موقفنا عما جاء عن السلف رضي الله عنهم .

ثم ضرورة التأدب مع العلماء رحمهم الله .

! عصمة لغير الرسول !

فالرسول ﷺ هو وحده المعصوم لأنه الهادي إلى الصراط المستقيم ، المؤيد
بالوحي .

قال تعالى :

﴿ وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى ﴾ (١)

(١) سورة النجم : الآيتان : ٤ ، ٣

ومن ثم أوجب الله عز وجل له وحده الطاعة والاتباع في كل ما يأمر وينهى .
فقال تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ (١) أما ما عدا
رسول الله ﷺ من العلماء الأجلاء فإنهم يصيبون تارة ويخطئون أخرى رغم
فصلهم وجلالة قدرهم وهذا لا يقدح فيهم فإن الله لم يضمن العصمة لأحد غير
رسول الله ﷺ ، وتلك سنة الله .

هذه حقيقة ينبغي أن تكون واضحة في قلب كل مسلم وهي حقيقة أرشدنا إليها
العلماء الفضلاء .

فقد قال الإمام مالك رحمه الله :

« كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ » .

موقفنا مما جاء عن السلف :

ما جاء عن السلف رضي الله عنهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان من
أقوال وأفعال وأحكام ... يعرض على كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ
لأنهما المصدران المعصومان للأحكام ، ولا يجوز أن يقدم عليهما شيء .

قال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ﴾ (٢)

فإن اتفقت تلك الأقوال والأحكام مع ما يدل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ
قبلناها بكل رضى وتقدير .

وإن غاب عنهم شيء أو خفى عليهم فاجتهدوا ولم يصيبوا ثم تجلى حكم
الكتاب والسنة كان واجباً على المسلم أن يأخذ بما يدل عليه كتاب الله وسنة رسول
الله ﷺ صراحة لأنهما المعصومان والمقدمان على ما سواهما .

وقد نواترت أقوال العلماء رحمهم الله في ذلك المعنى .

(١) سورة الخشر : الآية ٧

(٢) سورة الحجرات : الآية ١

قال أبو حنيفة رحمه الله : **« إذا قلنا ما يخالفه قولنا ، فتركوا قولنا لكتاب الله قيل : إذا كان قول رسول الله ﷺ يخالفه ؟ »**
 قال : **« اتركوا قولنا لخبر الرسول ﷺ »** . . .
 وقال الشافعي رحمه الله :
 إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فخذوا سنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت .^(١)

وكلام الأئمة في هذا المعنى كثير .
 وهذا الكلام محمول على مخالفة القول للدليل بعد استبانته ، أما إذا لم يبلغهم الحديث ، أو لم يثبت عن النبي ﷺ عندهم فيه حديث ، أو ثبت وله معارض أو مخصص ونحو ذلك . فحينئذ يسوغ للإمام أن يجتهد .^(٢)

الأدب مع العلماء :

العلماء ورثة الأنبياء ، وكل أمة علمائها شرارها إلا أمة محمد ﷺ فعلمائهم خيارهم من أجل هذا وجب احترامهم وتقديرهم والتأدب معهم . ولقد حرص الإمام الشهيد رحمه الله على تقرير ذلك في هذا الأصل .

فبعد أن أكد على ضرورة تقديم الكتاب والسنة على ما سواهما فيه إلى أن هذا التقديم لا يسوغ النيل من العلماء بالطعن والتجريح ، والتواشق بالتهم . . .
 ، ولكننا لا تعرض للأشخاص - فيما اختلف فيه - بطعن أو تجريح ، ونكلهم إلى نياتهم ، وقد أفضوا إلى ما قدموا .

● فتباين وجهات النظر في المسائل الاجتهادية لا يجوز في فقه الإسلام أن يتخذ تكاؤه للسب والانتقاص ، والتشكيك في النوايا .

(١) فتح المجيد : ٣٨٨

(٢) فتح المجيد : ٣٨٤ - ٣٨٥

● إنما الواجب فيما اختلف فيه أن نعين التراجع والأصوب بكل عفة وأدب ودون

نبيل من الغير .

● وهذا لعمر الله هو أدب الإسلام ، وميزانه العادل ، الذي به تتألف

القلوب ، وتصفو النفوس . أما المهارات ، والطنن والتجريح ، والتشكيك في
النوايا فيؤدي إلى فرقة القلوب ، وتشاحن النفوس وهذا ليس من الإسلام في
شيء .

* * *

هذا هو الإسلام الذي هو أدب الإسلام ، وميزانه العادل ، الذي به تتألف

القلوب ، وتصفو النفوس . أما المهارات ، والطنن والتجريح ، والتشكيك في

النوايا فيؤدي إلى فرقة القلوب ، وتشاحن النفوس وهذا ليس من الإسلام في

شيء .

هذا هو الإسلام الذي هو أدب الإسلام ، وميزانه العادل ، الذي به تتألف

القلوب ، وتصفو النفوس . أما المهارات ، والطنن والتجريح ، والتشكيك في

النوايا فيؤدي إلى فرقة القلوب ، وتشاحن النفوس وهذا ليس من الإسلام في

شيء .

هذا هو الإسلام الذي هو أدب الإسلام ، وميزانه العادل ، الذي به تتألف

القلوب ، وتصفو النفوس . أما المهارات ، والطنن والتجريح ، والتشكيك في

النوايا فيؤدي إلى فرقة القلوب ، وتشاحن النفوس وهذا ليس من الإسلام في

شيء .

هذا هو الإسلام الذي هو أدب الإسلام ، وميزانه العادل ، الذي به تتألف

القلوب ، وتصفو النفوس . أما المهارات ، والطنن والتجريح ، والتشكيك في

النوايا فيؤدي إلى فرقة القلوب ، وتشاحن النفوس وهذا ليس من الإسلام في

شيء .

هذا هو الإسلام الذي هو أدب الإسلام ، وميزانه العادل ، الذي به تتألف

القلوب ، وتصفو النفوس . أما المهارات ، والطنن والتجريح ، والتشكيك في

النوايا فيؤدي إلى فرقة القلوب ، وتشاحن النفوس وهذا ليس من الإسلام في

شيء .

هذا هو الإسلام الذي هو أدب الإسلام ، وميزانه العادل ، الذي به تتألف

القلوب ، وتصفو النفوس . أما المهارات ، والطنن والتجريح ، والتشكيك في

النوايا فيؤدي إلى فرقة القلوب ، وتشاحن النفوس وهذا ليس من الإسلام في

شيء .

الأصل

السابع

« ولكل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إماماً من أئمة الدين .

ويحسن به مع هذا الاتباع أن يجتهد ما استطاع في تعرف أدلته .

وأن يتقبل كل إرشاد مصحوب بالدليل متى صح عنده صلاح من أرشده وكفايته .

وأن يستكمل نقصه العلمي إن كان من أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر » .

هذا الأصل يتحدث عن مسألة « الاجتهاد والتقليد » . وقد اضطرت فيها أقوال الناس بين غال ومقصر إلا من رحم الله ، فوقع حرج ومشقة وحرج وتحكم لا يتفق وروح الإسلام . فجاء الإمام الشهيد بالرأي الوسط المعتدل الذي يجمع ولا يفرق ، ويمرّق بالتضعفاء العاجزين ولا يهمل الأثوياء القادرين .

فبين رحمة الله أن التقليد جائز للعاجز ، والاجتهاد جائز للقادر . وهذا الرأي هو ما عليه جماهير الأمة بخلاف من أوجبوا الاجتهاد على الجميع وحرّموا التقليد ومن أوجبوا التقليد على الجميع وحرّموا الاجتهاد .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

« من غالبية المتكلمة والمتفقهة من يوجب النظر والاجتهاد في المسائل الفرعية على كل أحد حتى على العامة وهذا ضعيف . لأنه لو كان طلب علمها واجباً على الأعيان ، فإنما يجب مع القدرة .

والقدرة على معرفتها من الأدلة المفصلة تتعذر أو تنعسر على أكثر العامة .

ويزاد أنهم من أتباع المذاهب من يوجب التقليد فيها على الجميع من بعد الأئمة :
علمائهم وعوامهم .

والذى عليه جماهير الأمة :

أن الاجتهاد جائز فى الجملة والتقليد جائز فى الجملة لا يوجبون الاجتهاد على
كل أحد ويحرمون التقليد ولا يوجبون التقليد على كل أحد ويحرمون الاجتهاد
وأن الاجتهاد جائز للقادر على الاجتهاد والتقليد جائز للمعجز عن الاجتهاد (١) .
ويقول أيضاً :

« واتباع شخص مذهب شخص بعينه معجزه عن معرفة الشرع من غير جهته
إنما هو مما يسوغ له ، ليس هو مما يجب على كل أحد إذا أمكنه معرفة الشرع
بغير ذلك الطريق » (٢) .

هذا هو الاعتدال ، فمن الأمور البديهية أن الناس متفاوتون فى العلم والفهم
والقدرة على الاستنباط لذا أمر الله العامى أن يسأل أهل الذكر عما خفى عليه ،
فلا حرج فى اتباعهم .

وفى هذا يقول الحافظ ابن عبد البر رحمه الله بعد أن ذكر الآثار المروية فى دم
التقليد ، قال فى نهاية الباب :

« وهذا كله لغير العامة ، فإن العامة لا بد لها من تقليد علمائها عند النازلة
تنزل بها ، لأنها لا تبين موقع الحجة ولا تصل بعدم الفهم إلى علم ، ذلك لأن
العلم درجات لا سبيل منها إلى أعلاها إلا ينيل أسفلها ، وهذا هو الحائل بين
العامة وبين طلب الحجة والله أعلم ولم تختلف العلماء فى أن العامة عليها تقليد
علمائها وأنهم المرادون بقول الله عز وجل : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا
تعلمون ﴾ (٣) .

(٢) الفتاوى : ٢٠٩/٢٠

(١) الفتاوى : ٢٠٣/٢٠ - ٢٠٤

(٣) سورة الأنبياء : الآية ٧

وأجمعوا على أن الأعمى لا يدلّه من تقليد غيره ممن يثق بدّلّه على القبلة إذا
اشكلت عليه ، فكذلك من لا علم له ولا بصر بمعنى ما يدين به لا يدلّه من
تقليد عالمه .

وكذلك لم يختلف العلماء أن العامة لا يجوز لها الفتيا وذلك والله أعلم
لجهلها بالمعاني التي يجوز منها التحليل والتحريم والفتوى في العلم ^(١) .
هذه طائفة من أقوال العلماء بأدلتها قد أخذ روحها الإمام الشهيد وصاغها
بإيجاز حيث قال : « ولكل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الشرعية
أن يتبع إماماً من أئمة الدين » .

نصائح للمقلد :

بعد أن وضع الإمام الشهيد جواز اتباع الأئمة لمن لم يبلغ درجة النظر ، قدم
بعض النصائح التي ترقى بالمرء ، وتخفف من حدة التناظر بين اتباع الأئمة ،
وتؤلف القلوب .

● فحث رحمه الله على الاجتهاد بقدر الاستطاعة في معرفة الدليل ، ليكون
الاتباع أنجح للصدر ، وأهدأ للنفس ، وأكثر نوراً وبصيرة .
فمثلاً : إذا دخل مسجداً بعد العصر صلى أو لم يصل تحية المسجد يحسن به
أن يعرف دليل فعله .

أو صلى ركعتين قبل فريضة المغرب أو لم يصل ويزداد الخث إذا حدث
كلام على حكم من الأحكام فيحسن بالمرء أن يعرف دليل الحكم .

● ونصح الإمام الشهيد المقلدين نصيحة أخرى لها أثرها في آفة القلوب .
فحثهم على قبول إرشاد من يفوقهم في العلم إذا دعواهم إلى حكم يخالف ما
اعتادوه لأن دليل ما اعتادوه مرجوح وتبينوا ذلك .

(١) جامع بيان العلم : ١١٤/٢ ، ١١٥ .

الأصل الثامن

« والخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سبباً
للتفرق في الدين ولا يؤدي إلى خصومة أو بغضاء .
ولكل مجتهد أجره .

ولا مانع من التحقيق العلمي النزيه في مسائل
الخلاف في ظل الحب في الله والتعاون على الوصول إلى
الحقيقة .

من غير أن يجر ذلك إلى المراء المذموم والتعصب .»

يبين الإمام الشهيد في هذا الأصل الموقف من الخلافات الفقهية ، وآثار هذا
الخلاف .

فكثير من الناس قد أخطأ الموقف السديد من الخلاف الفقهي فأنى هذا الموقف
بحصاد مر من الفرقة والخصومة والبغضاء ، والتعصب والمراء ، فازدادت الأمة
ضعفاً على ضعف ، فجاء الإمام الشهيد بالموقف السديد الذي يحافظ على ألفة
القلوب ، وصفاء النفوس .

الخلاف الفقهي لا يفوق :

أكد الإمام الشهيد على هذه القضية :

- لأن الخلاف الفقهي ضرورة لا بد منه .
- ولأن كل من يأخذ برأى إمام يقصد طاعة الله واتباع رسول الله .
- ولأن ألفة القلوب أعظم من أن ينال منها خلاف فقهي .

● ولنا في الجليل الذي رباه رسول الله أسوة فقد كانوا يختلفون في الأمور
الفقهية ولكن لا يتفرقون ولا يتباغضون . . .

من أجل هذا أرشد الإمام الشهيد العقول إلى الفهم السديد فقرر أن : الخلاف
الفقهى في الفروع لا يكون سبباً للتفرق في الدين ولا يؤدي إلى خصومة أو
بغضاء .

وما قرره الإمام الشهيد هو ما قرره العلماء الأعلام ، يقول شيخ الإسلام
ابن تيمية :

« وأما الاختلاف في الأحكام فأكثر من أن ينضبط ولو كان كلما اختلف
مسلمان في شيء تهاجرا لم يبد بين المسلمين عصمة ولا أخوة » (١)

ومن أصول أهل السنة والجماعة الاعتصام بحبل الله وعدم الفرقة . قال
تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ (٢)

لكل مجتهد أجره :

ينبغي أن يعلم من يختلفون في الفقهيات أن كل من بذل جهده لمعرفة حكم الله
فهو مثاب سواء أخطأ أم أصاب فلماذا يتناحرون ويتخاصمون ؟
قال رسول الله ﷺ :

« إذا حكم الحاكم ، فاجتهد ، فأصاب ، فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ،
ثم أخطأ ، فله أجر » (٣)

وليس كل أخ نفسه يهدوه :

هل ائمتنا وعلمائنا أتباع هوى أم طلاب حق ؟!! فقيم الخصومة والشقاق ؟

(١) الفتاوى : ١٧٣/٢٤

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٠٣

(٣) رواه مسلم : ١٣٤٣/٣ رقم ١٧٢٦

المنافشة تحت ظلال المحبة :

بعد أن بين الإمام الشهيد أن الخلاف في الفروع الفقهية لا يجوز أن يكون سبباً للمفرقة والخصومة ، لأنه أمر وارد ولم يخل منه عصر ، ولأن المجتهد المصيب والمخطئ مثاب وماجور ، بعد ذلك نبه إلى أنه لا مانع من منافشة هذه الفروع لمعرفة الراجح من المرجوح بشرط أن تكون هذه المناقشة والتحقيق العلمي نزيهاً ، تحت ظلال الأخوة والحب في الله . فإن هذا الأسلوب هو الموصول إلى الحقيقة بلا خسائر وهو منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين .

يقول شيخ الإسلام :

« قد كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمور اتبعوا أمر الله تعالى في قوله : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ ^(١) وكانوا يتناظرون في المسائل مناظرة مشاورة ومناصحة وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين » ^(٢) .

والمواقف العملية التي تجلى هذا المنهج السوي كثيرة ولا يسمح المقام بذكرها .

ترك المراء والتعصب :

وأخيراً حذر الإمام الشهيد من يختلفون في الفروع الفقهية ويتناقشون فيها من آفة خطيرة، تهلك الاسم وتضل أصحابها، إنها آفة المراء والتعصب التي حذر منها رسول الله ﷺ فقال : « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجحش » ^(٣) .

فالمرء والتعصب . . كل ذلك يقسى القلب ، ويوغر الصدر ويعمي عن الحق ، ويسير وراء الهوى .

فينبغي تركه للمحافظة على أخوة الدين ، وألفة القلوب فإنها أعظم وأولى .

* * *

(٢) الفتاوى : ١٧٢/٢٤

(١) سورة النساء : الآية ٥٩

(٣) رواه الترمذي : ٣٥٣/٥ رقم ٣٢٥٣

الأصل التاسع

« وكل مسألة لا يبنى عليها عمل فالحوض فيها من التكلف الذي نهينا عنه شرعاً .

ومن ذلك : كثرة التفريعات للأحكام التي لم تقع والحوض في معاني الآيات القرآنية التي لم يصل إليها العلم بعد والكلام في المفاضلة بين الأصحاب رضوان الله عليهم وما شجر بينهم من خلاف .

ولكل منهم فضل صحبته وجزاء نيته وفي التأول مندوحة » .

في هذا الأصل يضع الإمام الشهيد أمام المسلم قاعدة تحفظ جهده من الضياع ، وطاقته من التبدد ، والقلوب من التفرق ، وتجعله عملياً إيجابياً بناءً ، لا نظرياً جدلياً متكلفاً .

فقد ضيع كثير من الناس أوقاتهم وجهودهم في مناقشة قضايا نظرية لا ثمار لها عملية ، إلا يح الصوت ، وضغن القلب ، وتشاخن النفوس . . .

فحث الإمام الشهيد كل مسلم على الاشتغال بما ينفع في الدنيا والآخرة ، وهو كثير كثير يستغرق كل الجهود ويزيد عنها .

وحذر من الخوض فيما ليس تحت عمله ، وذكر بعض النماذج لذلك .

وما ذهب إليه الإمام الشهيد مستقى من منهج القرآن ، وهدى سيد الأنام ، وما تربي عليه السلف عليهم الرضوان .

● ففي القرآن الكريم قوله تعالى :

﴿ يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج ﴾ (١)

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٩

فوقع الجواب بما يتعلق به العلم ، إعراضاً عما قصده السائل من السؤال عن الهلال : ثم يبدو في أول الشهر دقيقاً كالخيط ثم يمتلئ حتى يصير بديراً ثم يعود إلى حالته الأولى ؟

وقال تعالى بعد سؤالهم عن الساعة : ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ؟ فممن أنت من ذكرها ﴾ (١) أي إن السؤال عن هذا سؤال عما لا يعني ، إذ يكفي من علمها أنه لا بد منها ؛ ولذلك لما سئل ﷺ عن الساعة قال للسائل : قوما أعددت لها ؟ إعراضاً عن صريح سؤاله إلى ما يتعلق بها مما فيه فائدة ، ولم يجيبه عما سأل . . .

● وقد أنكر عمر رضي الله عنه على صبيغ لكثرة اشتغاله وسؤاله الناس عن أشياء من القرآن لا ينبنى عليها حكم تكليفي ، وأدبه على ذلك .

● وكذلك على رضي الله عنه قد أنكر على ابن الكواء تكلفه وكثرة أسئلته عما لا ينبنى عليه عمل .

● وكان مالك بن أنس رحمه الله يكره الكلام فيما ليس تحته عمل ويحكي كراهيته عن تقدم (٢) .

السؤال عما لم يقع :

إن همة المسلم ينبغي أن توجه نحو ما أمر به ليفعله وما نهى عنه ليجتنبه ، ويسأل عما يواجهه من أحداث ووقائع ليستبين حكم الله ويلتزمه . أما كثرة الأسئلة عما لم يقع ، وعما عفا الله عنه ، فليس من هدى الإسلام . قال رسول الله ﷺ :

إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها
وحد حدوداً فلا تعتدوها

(١) سورة النازعات : الآيات ٤٢-٤٣

(٢) الاعتصام : ٣٣٣/٢ ، جامع بيان العلم : ٩٥/٢ ، الموافقات : ٤٦/١ - ٥٠

وحرم أشياء فلا تنتهكوها

وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها (١) .
وقال (عليه السلام) :

ما نهيتكم عنه فاجتنبوه

وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم .

فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم (٢) .

وكان من هدى الصحابة والتابعين ألا يخوضوا فيما لم يقع ، ونهى الناس عن
الاشتغال بذلك .

عن طاووس أن عمر رضى الله عنه قال على المنبر :

« أخرج بالله على كل امرئ سأل عن شيء لم يكن فإن الله بين ما هو كائن » .

وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه أنه كان إذا سئل عن مسألة قال : « وقعت ؟ »

فيقال له : « يا أبا سعيد ما وقعت ولكننا نعلمها » ، فيقول : « دعوها » ، فإن كانت
وقعت أخبرهم » .

وكان عبد الملك بن مروان إذا سأل ابن شهاب قال له ابن شهاب : « أكان هذا »

يا أمير المؤمنين ؟

قال : لا ، قال : « قدعه فإنه إذا كان أتى الله بفرج » .

والآثار التي تجلّى هذا المنهج القويم كثيرة (٣) .

ولقد كان الإمام الشهيد دقيقاً عندما أنكر « كثرة الضريعات » لا كلها ، فإن

بعضها يحتاج إليه .

(١) جامع العلوم والحكم ص ٢٦١ ، وعزاه إلى الدارقطني وغيره .

(٢) رواه مسلم : ٤ / ١٨٣ - رقم ١٣٣٧

(٣) انظر : جامع : ١٣٩ / ٢ - ١٤٤ ، الفقيه : ٧ / ٢ - ١٩ .

لعل هذا الأصل جاء بصيغة قريبة منها في الموافقات للإمام الشاطبي حيث يقول :

« كل مسألة لا ينبنى عليها عمل فالخوض فيها خوض فيما لم يدل على استحسانه دليل شرعي ؛ وأعني بالعمل عمل القلب وعمل الجوارح من حيث هو مطلوب شرعاً .

والدليل على ذلك استقراء الشريعة فإننا رأينا الشارع يعرض عما لا يفيد عملاً مكلفاً به ،

ففي القرآن الكريم : ﴿ يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج ﴾
فوق الجواب بما يتعلق به العمل ، إعراضاً عما قصده السائل من السؤال عن الهلال : لم يبدو في أول الشهر دقيقاً كالخيط ، ثم يمتلئ حتى يصير بديراً ، ثم يعود إلى حالته الأولى ؟

وأما عدم استحسان ذلك فمن وجوه :

(أ) أنه شغل عما يعنى من أمر التكليف الذى طوّقه المكلف بما لا يعنى .

(ب) أن الشرع قد جاء ببيان ما تصلح به أحوال العبد في الدنيا والآخرة على أتم الوجوه وأكملها ؛ فما خرج عن ذلك ، قد يظن أنه على خلاف ذلك ، وهو مشاهد في التجربة العادية : فإن عامة المشتغلين بالعلوم التي لا تتعلق بها ثمرة تكليفية ، تدخل عليهم منها الفتنة والخروج عن الصراط المستقيم وبشور بينهم الخلاف والتزاع المؤدى إلى التقاطع والتدابير والتعصب ، حتى تفرقوا شيعاً . وإذا فعلوا ذلك خرجوا عن السنة .

ولم يكن أصل التفرق إلا بهذا السبب حيث تركوا الاقتصار من العلم على ما يعنى ، وخرجوا إلى ما لا يعنى .

وإعراض الشارع - مع حصول السؤال - عن الجواب من أوضاع الأدلة على أن اتباع مثله من العلم فتنة أو تعطيل للزمان في غير تحصيل .

(ج) أن تتبع النظر في كل شيء وتطلب علمه من شأن الفلاسفة الذين يتبرأ المسلمون منهم ، ولم يكونوا كذلك ، إلا بتعلقهم عما يخالف السنة ، فاتباعهم في تحلة هذا شأنهم خطأ عظيم ، وانحراف عن الجادة .

فإذا ثبت هذا فالصواب أن ما لا يبنى عليه عمل غير مطلوب في الشرع . فإن كان ثم ما يتوقف عليه المطلوب ، كإلفاظ اللغة العربية وعلم النحو والتفسير وأشياء ذلك ، فلا إشكال أن ما يتوقف عليه المطلوب مطلوب .

الخوض في الآيات العلمية :

من الأمور التي عدها الإمام الشهيد من التكلف المنهى عنه لقلة جدواها أو عدمها « الخوض في معاني الآيات القرآنية التي لم يصل إليها العلم بعد » .

فالقرآن الكريم أولاً وقبل كل شيء كتاب هداية ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ (١) . ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ (٢) .

وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض الحقائق العلمية في الطب والفلك وغير ذلك قبل أن يكتشفها العلماء ، وفي ذلك تثبيت للمؤمنين ، وليس القرآن قاموساً للعلوم التطبيقية .

ولقد افتتن كثير من الناس في عصر الإمام الشهيد بالاكشافات العلمية الحديثة ، ووقفوا موقفين متضادين : فريق انبهر وغالى ، وفريق أنكر ورفض .

وأخذ الفريق المنبهر يستقبل الاكتشافات العلمية وهي في حيز النظرية والاحتمال قبل أن ترقى للدرجة الحقيقة والقطع ، ويحاول أن يلتمس وجوداً لها في الآيات القرآنية ، فيلوي أعناقها ، ويتعسف في تفسير معانيها . وفي هذا المسلك من الخطورة الشيء الكثير ، فهو يحدث هزات في نفوس الناس لتغير وتذبذب هذه النظريات .

وقد شغل أهل هذا المسلك أنفسهم ، وشغلوا الناس معهم ، وضيعوا الأوقات

(١) سورة الإسراء : الآية ٩

(٢) سورة البقرة : الآية ٢

وَيَذَرُوا أَطْفَالَاتٍ وَيُنْسُوا أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ كِتَابٌ هِدَايَةٌ وَإِشْهَادٌ ، وَمِنْهُمْ حَيَاةٌ أَوَّلًا وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ .

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٣) .
فَلَمْ يَقِفِ الْإِمَامُ الشَّهِيدُ مَعَ الْمُغَالِبِينَ الْمُتَكَلِّفِينَ وَلَا مَعَ الرَّاغِبِينَ بَلْ وَقَفَ مُوقِفًا وَسَطًا يَأْخُذُ بِخَيْرِ مَا عِنْدَ الْفَرِيقَيْنِ وَيَدَعِي مَا سِوَاهُ .

فَأَتَكَرَّ الْحُجُوضُ فِيمَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ الْعِلْمُ بَعْدَ ، أَمَّا مَا ثَبَتَ حَقِيقَةُ وَلَهْ وَجُودُ فِي الْقُرْآنِ فَلَا مَانِعَ مِنْ بَيَانِهِ بَلْ هُوَ مِنْ مُحَاسِنِهِ .

المفاضلة بين الأصحاب وخلافهم :

لَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَرَسُولُهُ ﷺ عَلَى الصَّحَابَةِ الْكَرَامِ ، فَقَالَ تَعَالَى :

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ (٢) .

وَقَالَ ﷺ :

« خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ » (٣) .

وَالْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرَةٌ .

« وَقَدْ اتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْعِبَادِ وَالْأَمْرَاءِ وَالْأَجْنَادِ عَلَى أَنْ يَقُولُوا :

أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ » (٤) .

وَمَا وَرَدَ مِنْ فَضْلِ بَعْضِهِمْ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ فَإِنَّا نَقْرُؤُ بِهِ وَنَقِفُ عِنْدَهُ .

وَلَيْسَ هَذَا دَاخِلًا فِي نَهْيِ الْإِمَامِ الشَّهِيدِ بِدَاهَةِ لِأَنَّهُ يَقَرَّرُ دَائِمًا ضَرُورَةَ الْوُقُوفِ عِنْدَ

الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِذَا ثَبَتَ فِيهِمَا شَيْءٌ لَا يَسَعُنَا إِلَّا إِثْبَاتُهُ وَمَا لَا فَلَا .

(٢) سورة الفتح : من الآية ١٨

(١) سورة المائدة : الآيتان ١٥ ، ١٦

(٤) المختار : ٤٠٥/٣

(٣) فتح الباري : ٢٤٨/١١ رقم ٦٤٢٩

ولقد حدث بين الصحابة الكرام شجار في وقعة الجمل وصفين ، فكان لأهل السنة رأى وسط معتدل فيما حدث يتفق مع مكانتهم ووقارهم رضى الله عنهم وهو الإمساك عما شجر بينهم ، فلكل منهم فضل صحبه وجزاء نيته وفى التأول مندوحة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يحكى مذهب أهل السنة :

« وكذلك نؤمن « بالإمساك عما شجر بينهم » ونعلم أن بعض المنقول فى ذلك كذب ، وهم كانوا مجتهدين ، إما مصيبين لهم أجران ، أو مثابين على عملهم الصالح مغفور لهم خطوهم ، وما كان لهم من السيئات - وقد سبق لهم من الله الحسنى - فإن الله يغفرها لهم : إما بتوبة أو بحسنات ماحية ، أو مصائب مكفرة أو غير ذلك . فإنهم خير قرون هذه الأمة كما قال عليه السلام : « خير القرون قرنى الذى بعثت فيهم ، ثم الذين يلونهم » وهذه خير أمة أخرجت للناس ^(١) .

لذا عد الإمام الشهيد الخوض فيما شجر بين الصحابة من المنهى عنه لأنه باب للتدح ، ومدخل للشيطان والفرقة ، وما علينا إلا أن نتعظ بسيرتهم ، فقد أفضوا إلى ربهم وما أجمل ما قاله أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه حين سئل عما شجر بين الصحابة ! فقد قال : « تلك دماء قد طهر الله منها أمتنا فلنطهر منها أمتنا » .

فواجبنا أن نطوى هذه الصفحات ، وأن نطيل النظر فى صفحات الجهاد والشبات ، والبذل والعطاء ، والتضحية والفداء ، والصحية والإخاء حتى نتطلق للبناء .

(١) الفتاوى : ٤/٦٠٣ ، وانظر : ٤/٤٣٤

الأصل العاشر

« معرفة الله تبارك وتعالى وتوحيده وتنزيهه أسمى
عقائد الإسلام .

وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة وما يليق
بذلك من التشابه ، تؤمن بها كما جاءت من غير تأويل
ولا تعطيل .

ولا تتعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء ،
ويسعنا ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه ﴿ والراسخون
فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴾ (١) .

فى هذا الأصل يوضح الإمام الشهيد مكانة التوحيد بين عقائد الإسلام ، ويبين
الموقف الوسط من آيات الصفات وأحاديثها الصحيحة ،
وما ذهب إليه الإمام الشهيد رأى سديد ، مؤيد بالكتاب والسنة ، والله الحمد
والمنة .

سمو مكانة التوحيد :

كثيرة هى المعارف ، ولكن أسماها عقائد الإسلام ، وكثيرة هى جوانب
العقيدة ، ولكن أسماها توحيد الله . فالإيمان الصادق ، والتوحيد الحق يحقق
لصاحبه السكينة والطمأنينة ، والعزة والكرامة ، والأمن والراحة ، والمرء بلا
توحيد وإيمان قلق حيران قال تعالى :

﴿ فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون . الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم
بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ (١) .

(٢) سورة الأنعام : الآيات ٨١ ، ٨٢

(١) سورة آل عمران : الآية ٧

من أجل هذا أمر الله تعالى بتوحيده قبل أي شيء فقال عز وجل : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ (١)

فواجب المسلم نحو أسامي العقائد ثلاثة أمور :

● معرفة يقينية لا ذهنية ..

● توحيد صادق لا ريب فيه ..

● اعتقاد الكمال لله وتزويه عن كل نقص ..

وفي هذا يقول تبارك وتعالى :

﴿ قل هو الله أحد . الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ (٢)

﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (٣)

ولأن المقام لا يحتمل التفصيل فأقول موجزاً :

ما الذي أحيا أمة الإسلام بعد ممات ؟

ما الذي أيقظها بعد سبات ؟

ما الذي أطلقها بعد خمود ؟

ما الذي وهبهم العزة بعد الذلة ؟

ما الذي جعلهم قادة الأمم بعد أن كانوا رعاة الغنم ؟

إنه الإيمان بالله وحده لا شريك له .

الموقف من الصفات :

واجب المسلم أن يثبت لربه كل صفات الكمال وأن يتزوه عن كل نقص .

وهناك جانب من الصفات ثار حوله نزاع طويل فرق القلوب ، ومزق

(٢) سورة الإخلاص : الآيات ١ - ٤

(١) سورة محمد : الآية ١٩

(٣) سورة الشورى : الآية ١٦

الصفوف ، وضع الأوقات وهي الصفات التي وقع فيها كلام بين السلف والخلف مثل : العين ، واليد ، والأصابع ، والنزول كما وردت في الآيات والأحاديث .

ولقد وقف الناس قديماً وحديثاً منها مواقف ، رأى الإمام الشهيد في عصره من هذه المواقف ما يثير الشفقة ، فقد تجاوز الأمر حده ، ودارت مناقشات طويلة . واحتد النقاش ، وكفر المناقشون بعضهم بعضاً أحياناً والغريب ليس في النقاش إنما في :

- التعصب وتجاوز حدود النزاهة .
- ليت هذا النقاش كان محدوداً بين أولى العلم لكنه اتسع ليشغل من يدركون ومن لا يدركون .
- وليت هذا النقاش كان بعد است فراغ الأولويات من القضايا المتفق عليها .

إيمان بلا تأويل ولا تعطيل :

فعمد الإمام الشهيد إلى موقف حكيم :

- إيمان بها بلا تأويل ولا تعطيل .
 - الكف عن حكاية النزاع بين العلماء فيها .
- فأما الإيمان بالصفات بلا تأويل ولا تعطيل فهو مذهب السلف الأعلام والأحكام والأسلم .

- ونفى التأويل أي نفى صرف اللفظ عن معناه الراجح القريب إلى المرجوح البعيد بلا قرينة توجب ذلك .

فالعين معناها القريب معلوم في الذهن .
فمذهب السلف يقف عند هذا المعنى على ما يليق بجلال الله ولا يقحم نفسه في المعاني البعيدة الثانوية بلا داع .

والتعطيل معناه : نفى مدلولات الالفاظ التى تصف الله تعالى نفيًا مطلقاً ،
فالله سبحانه وتعالى عند المعطلة لا يتكلم ولا يسمع ولا يبصر . . .

الكف عن نزاع العلماء :

لقد حدث نزاع طويل الذيل ، عميق السيل بين العلماء قديماً وحديثاً حول
هذا الجانب من مسائل الصفات وكان لهذا النزاع أثره على وحدة المسلمين
وراقعهم الأليم فجاء الإمام الشهيد ليهدئ من الثائرة لأنه وجد النقاش يعضى فى
طريق مسدود وغير سديد ، فطلب ألا يتعرض لما جاء فى هذا الجانب من خلاف
بين العلماء ، وطلب أن يكتفى بالإجمال .

وليس فى هذا هروب أو إخفاء أمر يجب إظهاره وحسمه . وإنما فى ذلك
الحكمة كل الحكمة : فلكل مقام مقال ، والناس متفاوتون فى الفهم والإدراك ،
والإنسان لا يعيش وحده يخاطب نفسه .

والإمام الشهيد يدرك هذا ، ويريد أن يجمع قلوب الأمة ، ولا يمكن جمعها
إلا على الإجمال الثابت بالنص والإجماع وترك التفصيل المتنازع فيها فى هذا
المقام . وما فعله الإمام الشهيد هو منهج وتوجيه علماء الإسلام الأعلام فى هذا
المقام .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :
« وما تنازع فيه الأمة وتفرقت فيه إن أمكن أن يفصل النزاع بالعلم والعدل ،
وإلا استمسك بالجميل الثابتة بالنص والإجماع » .

« والواجب : أمر العامة بالجميل الثابتة بالنص والإجماع ، ومنعهم من
الخصوص فى التفصيل الذى يوقع بينهم الفرقة والاختلاف . فإن الفرقة والاختلاف
من أعظم ما نهى الله عنه ورسوله » (١) .

ولشيخ الإسلام كلام نفيس فى هذا المقام وتولا خشية الإطالة لذكرته (٢) .

(١) الفتاوى : ٢٣٧/١٢

(٢) الفتاوى : ٣٤٣/٣ ، ٢٦٦/٥

فما أحكم وأعلم الإمام الشهيد حين طلب الكف عن النزاع وطلب الاكتفاء بالإجماع الثابت بالنص والإجماع مردداً قول الله تعالى : ﴿ والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴾ (١) .

جاء في رسالة العقائد للإمام شرحاً وافياً موجزاً لهذا الأصل . يقول بعد أن ذكر بعض الآيات والأحاديث الدالة على الصفات :

انقسم الناس في هذه المسألة على أربع فرق :

١- فرقة أخذت بظواهرها كما هي : فنسبت إلى الله وجهاً كوجوه الخلق ، وبدأت أيديهم كأيديهم ، وضحكوا كضحكهم ، وهكذا حتى فرضوا الإله شيئاً ، وبعضهم فرضه شاباً ، وهؤلاء هم المجسمة والمشبّهة . وليسوا من الإسلام في شيء ، وليس لقولهم نصيب من الصحة ، ويكفي في الرد عليهم ، قول الله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (٢) . وقوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ﴾ (٣) .

٢- فرقة عطلت معاني هذه الانفاظ على أي وجه ، يقصدون بذلك نفى مدلولاتها مطلقاً عن الله ، تبارك وتعالى ، قاله تبارك وتعالى ، عندهم لا يتكلم ولا يسمع ولا يبصر ، لأن ذلك لا يكون إلا بجارحة ، والجوارح يجب أن تنفى عنه سبحانه ؛ فبذلك يعطلون صفات الله ، تبارك وتعالى ، ويتظاهرون بتفديسه ، وهؤلاء هم المعطلة ، ويطلق عليهم بعض علماء تاريخ العقائد الإسلامية : الجهمية ، ولا أظن أن أحداً عنده عسكة من عقل يستسيغ هذا القول التهافت ! وما قد ثبت الكلام والسمع والبصر لبعض الخلائق بغير جارحة ، فكيف يتوقف كلام الحق تبارك وتعالى على الجوارح ؟! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

هذان رأيان باطلان لا حظ لهما من النظر ، وبقي أمامنا رأيان هما محل أنظار العلماء في العقائد ، وهما رأي السلف ورأي الخلف .

(٢) سورة الشورى : الآية ١١

(١) سورة آل عمران : الآية ٧

(٣) سورة الإخلاص : الآيات ١ : ٤

مذهب السلف فى آيات الصفات وأحاديثها

٣- أما السلف رضوان الله عليهم فقالوا : تؤمن بهذه الآيات والأحاديث كما وردت ، ونترك بيان المقصود منها لله - تبارك وتعالى - فهم يشبّهون اليد والعين والأعين والاستواء والضحك والتعجب . . . إلخ وكل ذلك بمعان لا تدركها ، ونترك لله ، تبارك وتعالى ، الإحاطة بعلمها ، ولا سيما قد نهينا عن ذلك فى قول النبى ﷺ : « تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى الله فإنكم لن تقدروه قدره » .

قال العراقي : رواه أبو نعيم فى « الحلية » بإسناد ضعيف ، ورواه الأصبهاني فى الترغيب والترهيب بإسناد أصح منه ، ورواه أبو الشيخ كذلك ، مع قطعهم - رضوان الله عليهم - بانتفاء المشابهة بين الله وبين الخلق .
وإليك أقوالهم فى ذلك :

(أ) روى أبو القاسم اللالكائي فى « أصول السنة » عن محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة - رضى الله عنهما - قال :

« اتفق الفقهاء كلهم ، من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن ، والأحاديث التى جاءت بها الثقات ، عن رسول الله ﷺ ، فى صفة الرب ، عز وجل ، من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه ، فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك ، فقد خرج مما كان عليه النبى ﷺ ، وفارق الجماعة ، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ، ولكن أفتوا بما فى الكتاب والسنة ثم سكتوا » .

(ب) وذكر الحلال فى كتاب « السنة » عن حنبل ، وذكره حنبل فى كتبه ، مثل كتاب « السنة والمحنة » .

قال حنبل : « سألت أبا عبد الله ، عن الأحاديث التى تروى « إن الله تبارك وتعالى ، ينزل إلى السماء الدنيا » ، و « إن الله يرى » و « إن الله يضع قدمه » وما أشبه هذه الأحاديث ؟

فقال أبو عبد الله : تؤمن بها ، وتصديق بها ، ولا كيف ولا معنى ، ولا ترد

منها شيئاً ، وتعلم أن ما جاء به الرسول ﷺ حق ، إذا كان بأسانيد صحاح ، ولا نرد على الله قوله ، ولا يوصف الله ، تبارك وتعالى ، بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية ، ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ .

(ج) وروى خرمة بن يحيى قال : سمعت عبد الله بن وهب يقول : سمعت مالك بن أنس يقول : من وصف شيئاً من ذات الله مثل قوله : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ﴾ فأشار بيده إلى عنقه ، ومثل قوله : ﴿ وهو السميع البصير ﴾ فأشار إلى عينه أو أذنه أو شيء من يديه ، قطع ذلك منه ، لأنه شبه الله بنفسه . ثم قال مالك : أما سمعت قول البراء حين حدث أن النبي ﷺ لا يضحى بأربع من الضحايا ، وأشار البراء بيده ، كما أشار النبي ﷺ ، قال البراء : ويدي أقصر من يد رسول الله ﷺ ، إجلالاً له وهو مخلوق ، فكيف الخالق الذي ليس كمثله شيء ؟ ١٩

(د) وروى أبو بكر الأثرم ، وأبو عمرو الطلمنكي وأبو عبد الله بن أبي سلمة الماحشون كلاماً طويلاً في هذا المعنى ختمه بقوله : « فما وصف الله من نفسه ، فسماه على لسان رسوله ، سميئاً كما سماء ، ولم نتكلف منه صفة ما سواه ، لا هذا ولا هذا ، لا نجحد ما وصف ، ولا نتكلف معرفة ما لم يصف » .

« اعلم ، رحمك الله ، أن العصمة في الدين أن تنتهي حيث انتهى بك ، ولا تجاوز ما قد حد لك ، فإن من قوام الدين معرفة المعروف ، وإنكار المنكر ، فما بسطت عليه المعرفة ، وسكنت إليه الأفتدة ، وذكر أصله في الكتاب والسنة ، وتوارث علمه الأمة ، فلا تخافن في ذكره وصفته من ربك ، ما وصف من نفسه عيناً ، ولا تكلفن بما وصف من ذلك قدراً ، وما أنكرته نفسك ، ولم تجد ذكره في كتاب ربك ، ولا في الحديث عن نبيك ، من ذكر صفة ربك ، فلا تتكلفن علمه بعقلك ، ولا تصفه بلسانك ، وأصمت كما صمت الرب عنه من نفسه ، فإن تكلفك ، معرفة ما لم يصف به نفسه ، مثل إنكارك ما وصف منها ، فكما أعظمت ما جحد الجاحدون ، بما وصف من نفسه ، فكذلك أعظم تكلف ما وصف الواصفون ، بما لم يصف منها ، فقد والله أعز المسلمون الذين يعرفون

المعروف ، ويعرفتهم يعرف ، وينكرون المنكر ، ويإنكارهم ينكر ، يسمعون ما وصف الله به نفسه من هذا في كتابه ، وما يبلغهم مثله عن نبيه ، فما عرض من ذكر هذا ، وتسميته من الرب قلب مسلم ، ولا تكلف صفة قدره ، ولا تسمية غيره من الرب مؤمن ، وما ذكر عن رسول الله ، أنه سماء من صفة ربه فهو بمنزلة ما سمي ووصف الرب تعالى من نفسه ، والراسخون في العلم ، الواقفون حيث انتهى بهم علمهم ، والواصفون لربهم بما وصف نفسه ، التاركون لما ترك من ذكرها ، لا ينكرون صفة ما سمي منها جحداً ، ولا يتكفون وصفه ، التاركون لما ترك من ذكرها ، لا ينكرون صفة ما سمي منها جحداً ، ولا يتكفون وصفه بما لم يسم تعمقاً ، لأن الحق ترك ما ترك وسمى ما سمي ، ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ^(١) . وهب الله لنا ولكم حكماً ، وأخفنا بالصالحين .

مذهب الخلف في آيات الصفات وأحاديثها

قدمت لك أن السلف ، رضوان الله عليهم ، يؤمنون بآيات الصفات وأحاديثها كما وردت ، ويتركون بيان المقصود منها لله تبارك وتعالى ، مع اعتقادهم بتنزيه الله ، تبارك وتعالى ، عن المشابهة لخلقه .
فأما الخلف فقد قالوا : إننا نقطع بأن معاني الفاظ هذه الآيات والأحاديث ، لا يراد بها ظواهرها ، وعلى ذلك فهي مجازات ، لا مانع من تأويلها ، فأخذوا يؤولون « الوجه » بالذات ، و « اليد » بالقدرة ، وما إلى ذلك ، هرباً من شبهة التشبيه .

وإليك نماذج من أقوالهم في ذلك :

- ١- قال أبو الفرج بن الجوزي الخبلي في كتابه « دفع شبهة التشبيه » : قال الله تعالى : ﴿ ويبقى وجه ربك ﴾ ^(٢) قال المفسرون : يبقى ربك ، وكذلك قالوا في قوله تعالى : ﴿ يريدون وجهه ﴾ ^(٣) أي يريدونه .

(٢) سورة الرحمن : الآية ٢٧

(١) سورة النساء : الآية ١١٥

(٣) سورة الأنعام : الآية ٥٢

وقال الضحاك وأبو عبيدة : ﴿ كلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ ^(١) أي إلا هو .

وعقد في أول الكتاب ، فصلاً ضافياً ، في الرد على من قالوا : إن الأخذ بظاهر هذه الآيات والأحاديث هو مذهب السلف ، وخلاصة ما قانه أن الأخذ بالظاهر ، هو تجسيم وتشبيه ؛ لأن ظاهر اللفظ هو ما وضع له ، فلا معنى للبد حقيقة إلا الجارحة ، وهكذا .

وأيضاً فقد ذهب إلى أن تسميتها ، آيات صفات ، وأحاديث صفات ، تسمية مبتدعة ، لم ترد في كتاب ولا في سنة ، وليست حقيقة ، فإنها إضافات ليس غير ، واستدل على كلامه في ذلك بأدلة كثيرة لا مجال لذكرها هنا .

٢- وقال فخر الدين الرازي في كتابه « أساس التقديس » : واعلم أن نصوص القرآن ، لا يمكن إجرائها على ظاهرها لوجوه :

الأول : أن ظاهر قوله تعالى : ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ ^(٢) يقتضي أن يكون موسى ، عليه السلام ، مستقراً على تلك العين ، ملتحقاً بها ، مستعلياً عليها ، وذلك لا بقوله عاقل .

والثاني : أن قوله تعالى : ﴿ واصنع الفلك بأعيننا ﴾ ^(٣) يقتضي أن يكون الله تلك الصنعة ، هي تلك العين .

والثالث : أن إثبات الأعين في الوجه الواحد قبيح ، ثبت أنه لا بد من المصير إلى التأويل ، وذلك هو أن تحمل هذه الانفاذ على شدة العناية والحراسة .

٣- قال الإمام الغزالي في الجزء الأول من كتابه « إحياء علوم الدين » عند كلامه على نسبة العلم الظاهر إلى الباطن وأقسام ما يتأني فيه انظهور وانبطون ، والتأويل وغير التأويل :

(٢) سورة طه : الآية ٣٩

(١) سورة القصص : الآية ٨٨

(٣) سورة هود : الآية ٣٧

القسم الثالث : أن يكون الشيء بحيث لو ذكر صريحاً لفهم ، ولم يكن فيه ضرر ، ولكن يمكن عنه على سبيل الاستعارة والرمز ؛ ليكون وقعاً في قلب المستمع أغلب . . . ومنه قوله ﷺ : « إن المسجد لينزوي من النخامة كما تنزوي الجلدة على النار » (١) . ومعناه أن روح المسجد وكونه معظماً ، ورمى النخامة فيه تحقير له ، فيضاد معنى المسجدية ، مضادة النار ، لاتصال أجزاء الجلدة . وأنت ترى أن ساحة المسجد ، لا تنقبض من نخامة ، وكذلك قوله ﷺ : « أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار » (٢) وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكون ، ولكن من حيث المعنى هو كائن ، إذ رأس الحمار ، لم يكن بحقيقته وكونه وشكله ، بل بخاصيته ، وهي البلادة والحمق ، ومن رفع رأسه قبل الإمام ، فقد صار رأسه رأس الحمار ، في معنى البلادة والحمق ، وهو المقصود دون الشكل .

إنما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر ، إما بدليل عقلي أو شرعي . أما العقلي فإن يكون حمله على الظاهر غير ممكن ، كقوله ﷺ : « قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن » (٣) إذا لو فتشنا عن قلوب المؤمنين ثم نجد فيها أصابع ، فعلم أنها كناية عن القدرة ، التي هي سر الأصابع وروحها الخفي ، وكنى بالأصابع عن القدرة ؛ لأن ذلك أعظم وقعاً في تفهم تمام الاقتدار . وقد نعرض لنثل هذا الكلام في موضع آخر من هذا البحث ، وفيما ذكرناه كفاية .

(١) قوله ﷺ : « إن المسجد لينزوي » أي لينقبض . قال الزبيدي في شرح الإحياء : قال العراقي : هذا لم أره أصلاً في المرفوع وإنما هو من قول أبي هريرة ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه . قلت : ورواه كذلك عبد الرزاق حوثقاً على أبي هريرة ، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً أن رسول الله ﷺ رأى نخامة في المسجد في القبلة فقال : « ما بال أحدكم مستقبل ربه فينزع أمامه ! أحب أحدكم أن يستقبل فينزع في وجهه » .

(٢) فتح الباري : ٢/٢١٤ رقم ٦٩١

(٣) رواه مسلم : ٤/٤٥٠ رقم ٢٦٥٤ بنحوه ، الترمذي : ٤/٣٩٠ رقم ٢١٤٠

إلى هنا وضع أمامك طريقا السلف والخلف ؛ وقد كان هذان الطريقان ، مثار
خلاف شديد ، بين علماء الكلام ، من أئمة المسلمين ، وأخذ كل يدعّم مذهبه
بالحجج والأدلة ، ولو بحث الأمر ، لعلمت أن مسافة الخلف بين الطريقين ، لا
يحتمل شيئا من هذا ، ولو ترك أهل كل منهما التطرف والغلو ، وأن البحث في
مثل هذا الشأن ، مهما طال فيه القول ، لا يؤدي في النهاية ، إلا إلى نتيجة
واحدة ، هي التفويض لله تبارك وتعالى ، وذلك ما سنفصله لك إن شاء الله
تعالى .

بين السلف والخلف :

قد علمت أن مذهب السلف ، في الآيات والأحاديث التي تتعلق بصفات الله ،
تبارك وتعالى ، أن يبروها على ما جاءت عليه ، ويسكتوا عن تفسيرها أو تأويلها ،
وأن مذهب الخلف ، أن يؤولوها بما يتفق مع تنزيه الله ، تبارك وتعالى ، عن
مشابهة خلقه .

وعلمت أن الخلاف شديد بين أهل الرأيين ، حتى أدى بينهما إلى التنازع
بالألقاب العصبية ، وبيان ذلك من عدة أوجه :

أولاً : اتفق الفريقان على تنزيه الله ، تبارك وتعالى ، عن المشابهة لخلقه .

ثانياً : كل منهما يقطع بأن المراد بالفاظ هذه النصوص في حق الله ، تبارك
وتعالى ، غير ظواهرها ، التي وضعت لها هذه الالفاظ في حق المخلوقات ،
وذلك مترتب على اتفاقهما على نفس التشبيه .

ثالثاً : كلٌّ من الفريقين يعلم ، أن الالفاظ ، توضع للتعبير عما يجول في
النفوس ، أو يقع تحت الحواس ، مما يتعلق بأصحاب اللغة وواضعيها ، وأن
اللغات ، مهما اتسعت ، لا تحيط بما ليس لأهلها بحقائقه علم ، وحقائق ما
يتعلق بذات الله ، تبارك وتعالى ، من هذا القبيل ، فاللغة أقصر من أن تواتينا
بالالفاظ ، التي تدل على هذه الحقائق ، فالتحكم في تحديد المعاني بهذه الالفاظ
تغير .

وإذا تقرر هذا ، فقد اتفق السلف والخلف على أصل التأويل ، وانحصر الخلاف بينهما في أن الخلف زادوا تحديد المعنى المراد ، حينما ألجأهم ضرورة التنزيه إلى ذلك ، حفظاً لعقائد النعوم من شبهة التشبيه ، وهو خلاف لا يستحق ضجة ولا إعانة .

ترجيح مذهب السلف :

ونحن نعتقد أن رأى السلف من السكوت وتفويض علم هذه المعاني إلى الله ، تبارك وتعالى ، أسلم وأولى بالاتباع ، حسماً لمادة التأويل والتعطيل ، فإن كنت ممن أسعده الله ، بطمأنينة الإيمان ، وأثلج صدره ببرد اليقين ، فلا تعدل به بديلاً ؛ ونعتقد إلى جانب هذا ، أن تأويلات الخلف ، لا توجب الحكم عليهم بكفر ولا فسوق ، ولا تستدعي هذا النزاع الطويل بينهم ، وبين غيرهم قديماً وحديثاً ، وصدر الإسلام توسع من هذا كله . وقد لجأ أشد الناس تحسكاً برأى السلف ، رضوان الله عليهم ، إلى التأويل في عدة مواضع ، وهو الإمام أحمد بن حنبل ؛ رضى الله عنه ؛ من ذلك تأويله لحديث : « الحجر الأسود يمين الله في أرضه »^(١) وقوله ﷺ : « قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن »^(٢) ، وقوله ﷺ : « إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمين »^(٣) .

وقد رأيت للإمام النووي رضى الله عنه ، ما يفيد قرب مسافة الخلاف بين الرأيين ، مما لا بدع مجالاً للنزاع والجدال ، ولا سيما وقد قيد الخلف أنفسهم في التأويل بجوازه عقلاً وشرعاً ، بحيث لا يصطدم بأصل من أصول الدين .

قال الرازي في كتابه « أساس التفديس » : « ثم إن جوزنا التأويل ، اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل ، وإن لم نجر التأويل فوضنا

(١) قال العراقي : رواء الحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمر .

(٢) رواء مسلم من حديث عبد الله بن عمرو .

(٣) قال العراقي : رواء أحمد من حديث أبي هريرة في حديث قال فيه : « وأجد نفس ربكم من قبل اليمين » ورجاله ثقات .

العلم بها إلى الله تعالى ، فهذا هو القانون الكلى ، المرجوع إليه فى جميع
المنشآت ، وبالله التوفيق .

وخلاصة هذا البحث :

أن السلف والخلف قد اتفقا على أن المراد ، غير الظاهر المتعارف بين الخلق ،
وهو تأويل فى الجملة .

واتفقا كذلك على أن كل تأويل يصطدم بالأصول الشرعية غير جائز .

فانحصر فى تأويل الألفاظ ، بما يجوز فى الشرع ، وهو هين كما ترى ،
وأمر لجأ إليه بعض السلف أنفسهم .

وأهم ما يجب أن نتوجه إليه همم المسلمين الآن : توحيد الصفوف ، وجمع
الكلمة ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ، والله حسبنا ونعم الوكيل .^(١)

ولعل فى تلك الخلاصة المباركة الطيبة ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع
وهو شهيد .

* * *

فصلنا بطريق

الاجتهاد على التمسك بحرم عبادة الرافضة أو التجار لأنهم الذين هم
مذاهب بآله الباطنية والباطنية كذا كذا

لجاءه كالمسألة بعد ذلك والله اعلم بالصواب

الأصل الحادي عشر

« وكل بدعة في دين الله لا أصل لها - استحسناها
الناس بأهوائهم ، سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه -
ضلالة تجب محاربتها ، والقضاء عليها بأفضل الوسائل
التي لا تؤدي إلى ما هو شر منها » .

في هذا الأصل يؤكد الإمام الشهيد على ضرورة الالتزام بكتاب الله وسنة
رسوله ، والوقوف عند حدود الله بلا زيادة ولا نقصان .

وبناءً عليه ينبغي على المسلم أن يجتنب كل بدعة في الدين بل ويحاربها بأفضل
الوسائل .

ولقد راجت البدع الضالة في زمن الإمام الشهيد فأضعفت الأمة وأنهكتها
بشدة ، وقاوم بعض الناس البدع لكن بالتي هي أحسن وبغير الأسلوب الأمثل
فازداد الأمر حدة ، والفرقة شدة : فهض الإمام الشهيد يدعو الناس إلى المشيع
الصافي كتاب الله وسنة رسوله ، ويحذرهم من البدع ، وينكرها بالتي هي
أحسن ، والأسلوب الأمثل ، فرفع الله به ما شاء .

ويحسن بنا بعد هذا أن نعرف ما هي البدعة ؟ وما موقف الإسلام منها ؟
ليوضح لنا هذا الأصل والمنابع التي استقى منها الإمام الشهيد فهمه .

تعريف البدعة :

- البدعة لغة : الاختراع على غير مثال سابق .
- وشرعاً : « طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها
المبالغة في التعبد لله سبحانه » (١) .

(١) راجع المصنف - المجلد الثاني - ص ٢٨٧

(١) الاعتصام : ٢٨/١

ولقد استفاض الإمام الشاطبي في كتابه الاعتصام في بيان ذلك ، واكتفينا بذلك مراعاة للمقام .

ذم البدع : بالمعجمة

لقد تكاثرت الأدلة القرآنية والنبوية وأقوال العلماء في ذم البدع ^(١) ، قال تعالى :

﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ﴾ ^(٢) ، فسرّها العلماء بأنهم أهل البدع .

وقال عليه السلام :

« من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » ^(٣) .

« من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » ^(٤) .

وكان عليه السلام يقول في خطبته :

« أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة » ^(٥) .

وقال ابن الماجشون : سمعت مالكا يقول : من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً عليه السلام خان الرسالة ، لأن الله يقول : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ فما لم يكن يومئذ ديناً ، فلا يكون اليوم ديناً ، ^(٦) .

الابتداع بالزيادة والنقصان :

إن الابتداع في الدين مذموم سواء كان بالزيادة أو النقصان لأن في الزيادة اتهام

(١) انظر للتفصيل : الاعتصام : ٣٥-٣٠٣ .

(٢) سورة الانعام : الآية ١٥٩ .

(٣) ، (٤) رواهما مسلم : ١٣٤٣/٣ رقم ١٧١٨ .

(٦) الاعتصام : ٣٧ .

(٥) رواه مسلم : ٥٩٢/٢ رقم ٨٦٧ .

الشارع والشريعة بالمعجز والنقص ، وفي النقصان كفر ببعض الشريعة يودي
بإتياعه إلى اليوار والدمار .

فمن أمثلة الزيادة :

إقامة الموالد ، وبناء الأضرحة ، والطواف حولها . . . والرهبة . . .

ومن أمثلة النقصان :

تعطيل الجهاد ، وتعطيل الحكم بما أنزل الله . . .

إنكار البدعة الدينية لا الدنيوية :

لقد كان الإمام الشهيد دقيقاً في إنكار البدعة والدعوة إلى محاربتها . . .
عندما قيلها بأمرين :

● أن تكون في الدين .

● والأ يكون لها أصل في الشرع .

● وذلك لأن المسلمين مطالبون بالاختراع والابتكار في أمور الدنيا في شتى
المجالات « صناعية ، زراعية ، طبية . . . » لسد حاجاتهم ، وتقوية أنفسهم ،
والقدرة على القيام بواجب الخلافة في الأرض ، وعمارتها . وفي هذا يقول
الرسول ﷺ :

« أنتم أعلم بأمر دنياكم » (١) .

ولقد كان الإمام الشهيد يبحث إخوانه على أخذ الحديد النافع في أمور الدنيا
كما في الإشارة الواردة في الأصل الثامن عشر .

فليت المسلمين وقفوا عند حدود الله ، ووجهوا فكرهم وطاقاتهم للابتكار في
أمور الدنيا ، لعزوا وسادوا كما عز وساد أسلافهم .

(١) رواه مسلم : ١٨٣٦ / ٤ رقم ٢٣٦٣

● أما البدعة التي لها أصل في الشرع فأمرها أهون ودرجتها أقل ، فهي خلاف فقهي .

مصاربة البدع بالحكمة :

إن واجبتنا نحو البدع أمران :
أولهما : إنكارها ومحاربتها والقضاء عليها .
ثانيهما : اتخاذ أفضل الوسائل التي لا تؤدي إلى شر منها .
فإن الذي أمرنا بالإنكار هو الذي أمرنا بإحسان الوسائل ولا يصح شرعاً أن نحارب بدعة بجلب شر أكبر منها .
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

« إذا تعارضت المصالح والمفاسد ، والحسنات والسيئات ، وتزاحمت فإنه يجب ترجيح الراجح منها فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد وتعارضت المصالح والمفاسد . فإن الأمر والنهي وإن كان متضمناً لتحقيق مصلحة ، ودفع مفسدة ، فينظر في المعارض له : فإن كان الذي يقوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر ، لم يكن مأموراً به ، بل يكون محرماً إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته^(١) .

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله :

« إنكار المنكر أربع درجات :

الأولى : أن يزول ويخلفه ضده .

الثانية : أن يقل وإن لم يزول بجملته .

الثالثة : أن يخلقه ما هو مثله .

الرابعة : أن يخلقه ما هو شر منه .

(١) الفتاوى : ١٢٩/٢٨

فالدراجتان الأوليان مشروعتان : ١ - قتل الكافر المسلم ٢ - قتل الكافر النصارى

والثالثة : موضع اجتهاد .

والرابعة : محرمة ...

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه وغور ضريحه - يقول :
مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار يقوم منهم يشربون الخمر ، فأنكر عليهم
من كان معي . فأنكرت عليه ، وقلت له : إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن
ذكر الله وعن الصلاة ، وهؤلاء تصد عنهم الخمر عن قتل النفوس ، وسمى القرية ،
وأخذ الأموال ، فدعهم (١) .

والله اعلم بالصواب .

والله اعلم بالصواب .

والله اعلم بالصواب .

والله اعلم بالصواب .

الأصل الثاني عشر

« والبدعة الإضافية والتركية والالتزام في العبادات المطلقة خلاف فقهي، لكل فيه رأي، ولا بأس بتمحيص الحقيقة بالدليل والبرهان » .

إن البدع أنواع ودرجات ، وقد تحدث الإمام الشهيد في الأصل السابق عن أخطر أنواعها ، وأخط درجاتها ، وفي هذا الأصل نتحدث عن أنواع أخرى مبنية حجمها فكثيراً ما أدى التباس هذه الأمور إلى أضرار وشور ، وتناحر وتفرق . . . ، فاحتاج الأمر ، إلى حسن تمييز ، وحسن تقدير فكانت هذه الأصول التي وضعها الإمام الشهيد .

أقسام البدع :

قسم العلماء البدع إلى أقسام يحسن بنا أن نعرفها :
١ - البدعة الحقيقية :

هي التي لم يدل عليها دليل شرعي لا من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا استدلال معتبر عند أهل العلم لا في الجملة ولا في التفصيل . وهذا النوع هو ما تحدثنا عنه في الأصل السابق .

٢ - البدعة الإضافية :

هي التي لها جانبان :
إحدهما : لها من الأدلة متعلق فلا تكون من تلك الجهة بدعة .
والأخرى : ليس له متعلق .

فلما كان العمل الذي له جانبان لم يتخلص لأحد الطرفين وضعنا له هذه التسمية وهي « البدعة الإضافية » أي أنها بالنسبة إلى إحدى الجهتين سنة لأنها

مستندة إلى دليل . وبالنسبة إلى الجهة الأخرى بدعة لأنها مستندة إلى شبهة لا إلى دليل ، أو غير مستندة إلى شيء .

والبدعة الإضافية على ضربين :

أحدهما : يقرب من الحقيقة حتى تكاد البدعة تعد حقيقة .

والآخر : يبعد منها حتى تكاد تعد سمة محضة (١)

ويمكن أن نقول :

إن البدعة الإضافية هي ما كان لها أصل في الشرع أو كانت سنة أو مستحبة في الأصل ، ثم عرض له وصف أو هيئة أخرجتها عما حدده الشارع .

• البدعة التركيبية :

هي أن يترك المرء شيئاً أحله الشرع تدبياً . كأن يحرم شيئاً جلالاً ، أو يقصد تركه قصداً وينبغي أن يعلم أن الترك أنواع ودرجات (٢) .

تفاوت درجات البدع :

ومن الجدير بالذكر هاهنا أن البدع ليست على درجة واحدة فقد قرر العلماء أن البدع تتفاوت أحكامها ورتبها فمنها ما هو كفر ، ومنها ما هو معصية ليست بكفر أو يختلف فيها ، ومنها ما هو معصية ويتفق على أنها ليست بكفر ، ومنها ما هو مكروه ، ومنها ما هو من الكبائر ، ومنها ما هو من الصغائر ، (٣) .

الالتزام في العبادات المطلقة :

ورد تدب إلى كثير من العبادات كالصيام ، وتوافل الصلاة والقيام ، والتذكر ، وتلاوة القرآن . . .

فما حكم من قرر على نفسه قلداً معيناً في زمان معين على جهة الالتزام ؟

(٢) الاعتصام : ٢٤٠ / ١ - ٢٤٣

(١) الاعتصام : ٢١٠ / ١ - ٢١١

(٣) الاعتصام : ٢٩٦ / ١ - ٢٩٨

موقف الإمام الشهيد الحكيم : : في المذاهب والأقوال

نظر الإمام الشهيد في أقوال العلماء الراسخين فوجد تصنيفهم لهذه الأنواع
البدعة الإضافية والتركيبية والالتزام في العبادات المطلقة ، في دائرة المسائل
الاجتهادية ، الراجحة والمرجوحة التي يتناصح فيها بلا إغلاظ ولا جفاء ولا هجر
ولا تخاصم ولا تناحر

وإنما مناقشة تحت ظلال الأخوة والمحبة في الله . لأنه ليس هناك خصم وقطع .

● فقرر الإمام الشهيد أن هذه الأنواع خلاف فقهي وبذلك تتألف القلوب ،
وتتوحد الصفوف ، وتلتقي على الوسطية والاعتدال بإعطاء الأمور حجمها
بالعادل والميزان بلا زيادة ولا نقصان .

ومع هذا فقد بين أنه لا مانع من مناقشة المسائل التي تندرج تحت هذه الأنواع
بالدليل والبرهان تحت ظلال المحبة والإخاء .

● أما موقفه العملي فقد حرص رحمه الله على الثابت الواضح الصافي من
السنة ، والبعد عما فيه خلاف . وقد تجلّى ذلك فيما وضعه من المأثورات .
وهي رسالة مشهورة .

أمثلة للبدع الإضافية :

الجهر بالصلاة والسلام على الرسول ﷺ بعد الأذان .

الجهر بقراءة سورة الكهف يوم الجمعة قبل الصلاة في جمع كأنها من شعائر
الصلاة .

أداء الأذكار بعد الصلاة بصورة جماعية .

أمثلة للبدع التركيبية :

ترك الزواج بحجة التقرب إلى الله بإكثار العبادة . . .

ترك أكل لحم الحمام تعظيماً له .

أمثلة للالتزام في المطلق :

مصحفنا عيشتنا بالعلم واليقين

الالتزام قراءة ٥ قل هو الله أحد ١ في الصباح مائة مرة .

الالتزام قراءة ٩ الفاتحة ١ عشر مرات بعد كل صلاة .

الالتزام قراءة ١٠ الفاتحة ١ عشر مرات بعد كل صلاة .

الالتزام قراءة ١٠ الفاتحة ١ عشر مرات بعد كل صلاة .

الالتزام قراءة ١٠ الفاتحة ١ عشر مرات بعد كل صلاة .

الالتزام قراءة ١٠ الفاتحة ١ عشر مرات بعد كل صلاة .

الالتزام قراءة ١٠ الفاتحة ١ عشر مرات بعد كل صلاة .

الالتزام قراءة ١٠ الفاتحة ١ عشر مرات بعد كل صلاة .

الالتزام قراءة ١٠ الفاتحة ١ عشر مرات بعد كل صلاة .

الالتزام قراءة ١٠ الفاتحة ١ عشر مرات بعد كل صلاة .

الالتزام قراءة ١٠ الفاتحة ١ عشر مرات بعد كل صلاة .

الالتزام قراءة ١٠ الفاتحة ١ عشر مرات بعد كل صلاة .

الالتزام قراءة ١٠ الفاتحة ١ عشر مرات بعد كل صلاة .

الالتزام قراءة ١٠ الفاتحة ١ عشر مرات بعد كل صلاة .

الالتزام قراءة ١٠ الفاتحة ١ عشر مرات بعد كل صلاة .

الالتزام قراءة ١٠ الفاتحة ١ عشر مرات بعد كل صلاة .

الالتزام قراءة ١٠ الفاتحة ١ عشر مرات بعد كل صلاة .

الالتزام قراءة ١٠ الفاتحة ١ عشر مرات بعد كل صلاة .

الالتزام قراءة ١٠ الفاتحة ١ عشر مرات بعد كل صلاة .

الالتزام قراءة ١٠ الفاتحة ١ عشر مرات بعد كل صلاة .

الالتزام قراءة ١٠ الفاتحة ١ عشر مرات بعد كل صلاة .

الالتزام قراءة ١٠ الفاتحة ١ عشر مرات بعد كل صلاة .

الأصل الثالث عشر

« ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما
عرف من طيب أعمالهم قربة إلى الله تبارك وتعالى .
والأولياء هم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ
آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ .

والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية .

مع اعتقاد أنهم رضوان الله عليهم لا يملكون
لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً في حياتهم أو بعد مماتهم ، فضلاً
عن أن يهبوا شيئاً من ذلك لغيرهم » .

في هذا الأصل يوضح الإمام الشهيد الموقف السديد المعتدل من الصالحين
والأولياء وكراماتهم بلا إفراط ولا تفريط في عصر قد غالى فيه كثير من الناس
وقصروا وترتب على ذلك من الأخطار والفرقة الشيء الكثير . (١)

محبة الصالحين قربة :

لقد حث الإسلام على حب أهل الخير ، وذكرهم بالجميل وعد ذلك من
القربات والأعمال الفاضلة .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
رَاكِعُونَ . وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (١) .

وأتى تبارك وتعالى على الأنصار خبرهم إخوانهم المهاجرين فقال : ﴿ وَالَّذِينَ
تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ

(١) سورة المائدة : الآيتان ٥٥ - ٥٦ .

حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴿١﴾

وقال ﷺ :

● المرء مع من أحب ، (٢)

● ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان :

أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ،

وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ،

وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في

النار، (٣)

والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ، فواجب المسلم أن يحب الصالحين ويقدرهم حباً واعياً مترناً فلا جفاء ولا غلو ، فإن عداة الصالحين وبغضهم جرم خطير ، ويكفي أن الله تعالى قال في الحديث القدسي : « من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب » (٤)

من هم الأولياء ؟

لقد وقع كثير من الناس أسرى للجهل والخرافة والغفلة ، فأخذوا بقاعدون قواعد عجيبة فضيقوا مملوداً ، ووسعوا محدوداً ، ومن ذلك قولهم في الأولياء : فالأولياء عندهم هم أصحاب القباب ، والذين يأتون بعجائب الأمور ، وغرائب الأحوال ، وأصحاب الخوارق دون غيرهم ، فجاء الإمام الشهيد وعرف الأولياء بخير تعريف ، إنه تعريف القرآن ، وقد قال تعالى :

(١) سورة الحشر : الآية ٩

(٢) فتح الباري : ١٠ / ٥٧٣ رقم ٦١٦٨

(٣) فتح الباري : ١ / ٧٧ رقم ١٦

(٤) فتح الباري : ١١ / ٣٤٨ رقم ٦٥٠٢

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا يَحْزَنُونَ - الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾^(١)
فالولي : هو كل مؤمن تقى . سواء بنيت له قبة أم لا ، جرت له كرامة أو لم تجر .
وقد عرف القرآن الأولياء بهذا التعريف في العديد من الآيات منها قوله تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٢)

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٣)

ثبوت الكرامات للأولياء :

« للناس في الكرامات والخوارق مذاهب ثلاثة : طرفان ووسط .
فريق يكذب بوجود ذلك لغير الأنبياء .
وفريق لا يفرق بين الكرامة الإيمانية ، والخوارق الشيطانية فالجميع عندهم أولياء .

والثالث وهو الصواب يثبت الكرامة لأولياء الله ، ويميز بينها وبين الخوارق الشيطانية لأهل الفجور ،^(٤)
وإثبات الكرامة لأولياء الله من أصول أهل السنة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

« ومن أصول أهل السنة والجماعة : التصديق بكرامات الأولياء ، وما يجرى الله على أيديهم من خوارق العادات ، في أنواع العلوم والمكاشفات ، وأنواع القدرة والتأثيرات ، كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها . وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومئات قرون الأمة .

(١) سورة يونس : الآيتان ٦٢ - ٦٣

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٥٧

(٣) سورة محمد : الآية ١٦

(٤) انظر الفتاوى : ٢٩٤/١١ - ٢٩٥

وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة ، (١)

الشروط الشرعية للكرامة :

قد تحدث أمور خارقة للعادة .

فهل كل خارق للعادة يعد كرامة ، ويعد صاحبه ولياً ؟

الإجابة : لا .

فالخارق للعادة إذا كان صاحبه مؤمناً تقياً ، متبعاً لرسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً ، فهذا الخارق يعد كرامة ، ويعد صاحبه ولياً . أما إذا جرى الخارق للعادة على يد من يأتى المنكرات ويرتكب المحرمات ، ويضيع الواجبات ، فهذا الخارق من الأحوال الشيطانية وصاحبه من أعداء الله .

فالمخالصة : أن شرط الكرامة وسببها الإيمان والتقوى ومتابعة المصطفى ﷺ .

ونأخذ هنا بعض أقوال العلماء التى تؤكد هذا .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

« يبين كرامات الأولياء ، وما يشبهها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة :

منها أن كرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوى والأحوال الشيطانية سببها ما نهى الله عنه ورسوله » (٢)

« قد اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار فى الهواء أو مشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعتة لرسول الله ﷺ وموافقته لأمره ونهيه » (٣)

بعد أن عرض الإمام الشافعى للروى والإلتهام بين منى تراعى وتعتبر فقال (٤) :
« إن هذه الأمور لا يصح أن تراعى وتعتبر ، إلا بشرط أن لا تحرم حكماً شرعياً
ليس بحق فى نفسه ، بل هو إما خيال أو وهم ، وإما من إلقاء الشيطان » وقد

(٢) الفتاوى : ٢٨٧/١١ ، ٣٠٢

(٤) انظر الموافقات : ٢٦٦-٢٧٦

(١) الفتاوى : ١٥٦/٣

(٣) الفتاوى : ٢١٤/١١

بخالطه ما هو حق ، وقد لا يخالطه ، وجميع ذلك لا يصح اعتباره ، من جهة معارضته لما هو ثابت مشروع ، وذلك أن التشريع الذي أتى به رسول الله ﷺ عام لا خاص .

ومن أمثلة ذلك ، مسألة سئل عنها ابن رشد ، في حاكم شهد عنده عدلان مشهوران بالعدالة في أمر ، فرأى الحاكم في منامه أن النبي ﷺ قال له : لا تحكم بهذه الشهادة فإنها باطل .

فمثل هذا من الرؤيا لا يعتبر بها في أمر ولا نهى ، ولا بشارة ولا نذارة لأنها تخرم قاعدة من قواعد الشريعة . قال بعض شيوخنا : لا يجوز أن يفتى في شيء من هذه الأمور . ولو جاز ذلك جاز نقض الأحكام بها ، وإن ترقبت في الظاهر موجباتها ، وهذا غير صحيح بحال .

وقد جاء في الصحيح : إنكم تختصمون إلي ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأحكم له على نحو ما أسمع منه (١) . ففيد الحكم بمقتضى ما يسمع ، وترك ما وراء ذلك ، وقد كان كثير من الأحكام التي تجري على يديه يطلع على أصلها ، وما فيها من حق وباطل ، ولكن عليه الصلاة والسلام لم يحكم إلا على وفق ما سمع لا وفق ما علم ، وهو أصل في منع الحاكم أن يحكم بعلمه .

وقد ذهب مالك في القول المشهور عنه أن الحاكم إذا شهدت عنده العدول بأمر يعلم خلافه وجب عليه الحكم بشهادتهم ، إذا لم يعلم منهم تعدد الكذب ، لأنه إذا لم يحكم بشهادتهم كان حاكماً بعلمه ، هذا مع كون علم الحاكم مستفاداً من العادات التي لا ريب فيها ، لا من الخوارق التي تداخلها أمور .

وفي موضع آخر يقول :

أما العمل بتلك الخوارق مع الموافقة فليس بمنفى .
بأن تكون الرؤيا في أمر مباح كأن يرى الكاشف أن فلاناً يقصده في الوقت

(١) أخرجه الشيخان .

الفلانى ، أو يعرف ما قصد إليه فى إتيانه من موافقة أو مخالفة ، أو يطلع على ما فى قلبه من حديث أو اعتقاد حق أو باطل وما أشبه ذلك ، فيعمل على التهيئة له حسبما قصد إليه ، أو يتحفظ من مجيئة إن كان قصده شر ، فهذا من الجائز له ؛ كما لو رأى رؤيا تقتضى ذلك ، لكن لا يعامله إلا بما هو مشروع .

وإن مخالفة الخوارق للشرعية دليل على بطلانها فى نفسها ، وذلك أنها قد تكون فى ظواهرها كالكرامات ، وليست كذلك ، بل أعمالاً من أعمال الشيطان ؛ كما حكى عياض عن الفقيه أبى مسرة المالكى أنه كان ليلة بمحاربه يصلى ويدعو ويتضرع ، وقد وجد رقة ، فإذا المحراب قد انشق وخرج منه نور عظيم ، ثم بدا له وجه كالقمر ، وقال له : « تملأ من وجهى يا أبا مسرة ! فانا ربك الأعلى » فبصق فيه وقال له : « اذهب يالعين عليك لعنة الله » .

وكما يحكى عن عبد القادر الكيلانى ، أنه عطش عطشاً شديداً ، فإذا سحابة قد أقبلت وأمطرت عليه شبه الرذاذ حتى شرب ، ثم نودى من سحابة : يا فلان أنا ربك ، وقد أحللت لك المحرمات ؛ قال له : اذهب يا لعين فاضمحلت السحابة .

وقيل له : بما عرفت أنه إبليس ؟ قال : بقوله « قد أحللت لك المحرمات » . هذا وأشباهه لو لم يكن الشرع حكماً فيها لما عرف أنها شيطانية .

الأولياء لا يملكون نفعا ولا ضرا :

إن المرء مهما بلغ من إيمان وصلاح وتقوى فهو عبد الله ، وقد خلط بعض الناس بين توقيير الأولياء وبين صفات الأنوهمية ، وهذا خلط باطل آثاره خطيرة ، وعواقبه وخيمة .

وقد ذكر الإمام الشهيد بحقائق القرآن ، التى تحفظ للعبد الإيمان ، وتعطى كل ذى حق حقه بالعدل والميزان .

فبين رحمه الله أن الأولياء لهم الاحترام والثناء ، ولا يجوز أن يعتقد فيهم شئ

من صفات الألوهية كالضر والنفع ، لأنهم عبيد لله رب العالمين . فالضر النافع هو الله لا أحد سواه . ولا يملك أحد أن يجلب لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا أن يدفع عن نفسه ولا غيره ضرراً . هذا ما نطق به القرآن في وضوح وجلالة .
قال تعالى :

﴿ وَإِنْ يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله ﴾ (١)

وأمر الله نبيه أن يقول :

﴿ قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ﴾ (٢)

﴿ قل إني لا أملك لكم ضرراً ولا رشداً ﴾ (٣)

وبهذا يكون الإمام الشهيد قد أرشد إلى الفهم السديد الذي يحفظ صاحبه من الإفراط والتفريط ، وهذا منهج القرآن .



(٢) سورة الأعراف : الآية ١٨٨

(١) سورة بؤس : الآية ١٠٧

(٣) سورة الجن : الآية ٢١

الأصل الرابع عشر

« وزيارة القبور أياً كانت سنة مشروعة بالكيفية
الماثورة ولكن الاستعانة بالمقبورين أياً كانوا ونداءهم
لذلك وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد
والنذر لهم وتشديد القبور وسترها وإضاءتها والتمسح
بها والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المتدعات
كبائر نجس محاربتها ولا تناول لهذه الأعمال سداً
للذريعة » .

علاقة الأصل بسابقه :

في الأصل السابق تحدث الإمام الشهيد عن الأولياء وصفاتهم وما يجب علينا
نحوهم . . . وهنا بين أموراً أخرى نجب علينا نحوهم ، وأموراً أخرى لا يجوز
صرفها إليهم .

فهو في هذا الأصل يركز بشدة على حفظ العقيدة صافية نقية خالية من البدع
والشوائب ، ويطلق الباب أمام الذرائع المكدرة لصفوها .
وهذا هو منهج القرآن والسنة في صيانة العقيدة .

زيارة القبور سنة :

من الأمور التي ترقق القلب ، وترعى النفس زيارة القبور لأنها تذكر بالآخرة ،
وزوال الدنيا الفانية ، فينتج عن ذلك المسارعة إلى الخيرات ، والبعد عن الموبقات
والمنكرات من أجل هذا سن رسول الله ﷺ زيارة القبور فقال : « كنت نهيتكم
عن زيارة القبور ، فزوروها ، فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة » (١) .

(١) رواه ابن ماجه : ٥٠١/١ رقم ١٥٧١

ولما كان المقصود من الزيارة التذكير والاعتاظ بجازت زيارة القبور أياً كانت :
قبور أولياء صالحين أو عصاة مقصوين ، أو أعداء كافرين ظالمين ... فإن
كانوا ظالمين استحسب البكاء وإظهار الافتقار إلى الله عند المرور بقبورهم
وتمسارعتهم .

لما روى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال
لأصحابه لما وصلوا ديار ثمود :

« لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا
تدخلوا عليهم لا يصيبكم ما أصابهم » (١)

صفة زيارة القبور :

● وهذه الزيارة المشروعة لها مواصفات وردت فى سنة المصطفى حيث يسلم
الزائر على الميت ويدعو له فعن بريدة رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ
يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم : « السلام عليكم أهل الديار من
المؤمنين والمسلمين وإن شاء الله بكى للاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية » (٢) .
أما ما يفعله من لا علم له من التمسح بالأضرحة وتقبيلها والطواف حولها ،
والسجود على أعتابها ، ونداء الأموات ... فهو زيارة بدعية محرمة .

حرمة الاستعانة بالأصوات :

لقد حرص الإسلام على تربية أبنائه على الإيمان الحى النقى ، وإخلاص
الوجهة لله ، فأغلق أبواب الغلو إغلاقاً محكماً ، ولم يترك منفذاً للنيل من
العقيدة إلا وسده بكل قوة وصراحة .

ولكن كثيراً من الناس طال عليهم العهد فقسى قلوبهم ونسوا ، وعمل فيهم
كيد الشيطان ، وبث الاستعمار وأذناؤه بذور الجهل فأنت حصاداً مرّاً خبيثاً .

(٢) رواه مسلم : ٦٧١ / ٢ رقم ٩٧٥

(١) فتح البارى : ٦٣١ / ١ رقم ٤٣٣

فاحتاج الناس إلى تذكير بين الحين والحين ، فكان الإمام الشهيد من أولئك المذكرين ، فدعا الناس إلى العقيدة الحية النقية الصافية الخالية من البدع والمنكرات عقيدة القرآن والسنة .

فذكر بعض الأمور المحرمة ليبدل بها على غيرها واستقى رحمه الله ذلك من الكتاب والسنة اللذين هما مرجع كل مسلم في تعرف أحكام الإسلام . وسنذكر بعض هذه الأمور بأدلتها .

● فالاستعانة لا تكون إلا بالله لا أحد سواه .

قال تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (١)

﴿ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ﴾ (٢)

● وكذلك الدعاء والاستعانة لا تكون إلا بالله :

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣)

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دَعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ (٤)

● وكذلك حرم الإسلام تشييد القبور وسترها . . . :

فالتنذر عبادة وقد أثنى الله على الموفين بالنذر رفعا لشأن هذه العبادة ، وما كان كذلك فلا يجوز صرفه لغير الله .

قال تعالى مادحا الأبرار :

﴿ يَوْمُوفُونَ بِالنَّذْرِ ﴾ (٥)

وقال : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾ (٦)

(١) سورة الفاتحة : الآية ٥

(٢) سورة يونس : الآية ٦٠

(٣) سورة الإنسان : الآية ٧

(٤) رواه الطبراني : كثر العمال ج ١

(٥) سورة الأحقاف : الآية ٥

(٦) سورة البقرة : الآية ٢٧١

● وكذلك تشييد القبور وسترها . . . : **باب تشييد القبور وسترها**

عن أبي الهياج الأسدي قال : قال لي علي رضي الله عنه : ألا أبغثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ : « ألا تدع مثالا إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويه » (١) .

وقال ﷺ : « لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » (٢) .

وقد اتفقت كلمة العلماء على حرمة تشييد المقابر وسترها وإضاءتها والتنصيح بها .

وقال ابن حجر : **باب تشييد القبور وسترها**

« وتحجب المبادرة إلى هدم المساجد والقباب التي على القبور إذ هي أضرب من مسجد الضرار ، لأنها أسست على معصية رسول الله ﷺ ، لأنه نهى عن ذلك وأمر بهدم القبور المشرفة ، وتحجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر ، ولا يصح وقفه ونذره » (٣) .

● وهذه الأمور المنكرة حرمت لأنها تضليل للعوام ، وتبذير للأموال ، وإعادة للجاهلية الجاهلاء .

باب تشييد القبور وسترها

لقد حرص الإسلام كل الحرص على حماية عقيدة التوحيد من أي شائبة ، لذلك سد كل الذرائع المكدرة لصفوه .

من أجل هذا أنكر الإمام الشهيد أن يتأول لهذه المبتدعات المنكرة بأي تأويل يسوغها ، فإن الله غنى عنها شكلاً ومضموناً ، لأنها لا تخلو من الضرر الشنيع

(١) رواه مسلم : ٦٦٦/٢ رقم ٩٦٩

(٢) رواه الترمذي : ١٣٦/٢ رقم ٣٢٠

(٣) انظر كثيراً من النقول . فقه السنة : ٥٤٨/١ - ٥٥٢

مهما حسن قصد صاحبها ، وأى خير فى عمل يأتى بالضرر ويخلو من النفع
والله غنى عنه ؟

تساؤل :

قد يتساءل البعض : لماذا لم يصف الإمام الشهيد هذه الأعمال المذكورة بالشرك ؟

نقول : إن هذا من حكمته رحمه الله ، ورفقه وتلطفه فى دعوة الآخرين .

فهو رحمه الله لم يقصر فى بيان عظم هذا الجرم ولكن برفق وتلطف .

فوصف الأعمال بأنها « كبائر » .

ثم أتبعها بـ « نجس محاربتها » .

ثم أذكر أن يتأول لها حداً للذريعة . فهل تحقق المقصود بهذا الأسلوب أو لا ؟

اللهم نعم .

* * *

والله اعلم بالصواب .

والله اعلم بالصواب .

والله اعلم بالصواب .

والله اعلم بالصواب .

والله اعلم بالصواب .

والله اعلم بالصواب .

والله اعلم بالصواب .

والله اعلم بالصواب .

والله اعلم بالصواب .

والله اعلم بالصواب .

والله اعلم بالصواب .

الأصل الخامس عشر

« والدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه
خلاف فرعى في كيفية الدعاء وليس من مسائل
العقيدة » .

في هذا الأصل يبين الإمام الشهيد حكم قضية قد طأ في النزاع في المساجد
وعلى صفحات المجلات وأجرائد ... وتفرقت بسببها القلوب وتبادلوا التراضق
بالعيوب ، وتقاذفوا بالتجهيل والتكفير ... والاستعمار ينتقص الأوطان ، ويخرب
الديار .

فجاء الإمام الشهيد ووضح حقيقة المسألة ، مسألة التوسل ، فحدد صورتها ،
ثم بين حجمها ومكانها في مسائل الدين .

فكان بيانه هذا وحكمه ومنطقاً معتدلاً انفتحت عليه قلوب كثيرة واجتمعت بعد
فرقة وتنافر .

صورة المسألة :

المسألة التي يعنها الإمام الشهيد في التوسل هي : قول المرء : اللهم إني
أسألك بجاه فلان أو حقه أو نحو ذلك .

أي أن يكون التوجه إلى الله لا سواء ومع هذا التوجه توسل إليه تبارك وتعالى
بقلان ...

حكم هذه الصورة :

بين الإمام الشهيد أن هذه الصورة من المسائل الاجتهادية أي في دائرة الراجح
والمرجوح التي يدلى فيها كل فريق بحجته .

وهذا معنى قوله : « خلاف فرعى » .

ولا يترتب على اختيار أى رأى فيها فساد اعتقاد أو زيغ وضلال .

وهذا معنى قوله : « وليس من مسائل العقيدة » .

وما ذهب إليه الإمام الشهيد هو ما يتفق عليه أئمة العلماء .

فأين تسمية رحمه الله بين أن هذه الصورة من المسائل الخلافية النزاعية التى يسوغ فيها الاجتهاد ، ولا يجوز فيها الإلزام . فقال رحمه الله عن الخلاف فيها :

« بل غاية أن يكون ذلك مما يسوغ فيه الاجتهاد وما تنازعت فيه الأمة فيجب رده إلى الله والرسول » (١) .

وبين أيضاً أن الخلاف فى هذه الصورة لا يجوز أن يترتب عليه هجر ولا خصام فضلاً عن العقوبة .

فقال رحمه الله :

« وأما القسم الثالث مما يسمى « توسلاً » وهو الإقسام على الله عز وجل بالأنبياء والصالحين أو السؤال بأنفسهم ، فإنه لا يقدر أحد أن يتقل عن النبي ﷺ شيئاً ثابتاً ، لا فى الإقسام أو السؤال به ، ولا فى الإقسام أو السؤال بغيره من المخلوقين .

وإن كان فى العلماء من سوغه ، فقد ثبت عن غير واحد من العلماء أنه نهى عنه ، فتكون مسألة نزاعية كما تقدم بيانه ، فيرد ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله ويبدى كل واحد حجته كما فى سائر مسائل النزاع .

وليس هذا من مسائل العقوبات بإجماع المسلمين بل المعاقب على ذلك معتد جاهل ظالم . فإن القائل بهذا قد قال ما قالت العلماء ، والمنكر عليه ليس معه نقل يجب اتباعه ، لا عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة » (٢) .

هذا هو حجم المسألة ومكانتها من مسائل الدين . « مسألة اجتهادية نزاعية خلاف قرعى » .

(١) الفتاوى : ١/ ١٧٩

(٢) الفتاوى : ١/ ٢٨٥ - ٢٨٦

الأصل السادس عشر

« والعرف الخاطئ لا يغير حقائق الألفاظ الشرعية .

بل يجب التأكد من حدود المعاني المقصود بها
والوقوف عندها . كما يجب الاحتراز من الخداع
اللفظي في كل نواحي الدنيا والدين .

فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء . »

في هذا الأصل يقرر الإمام الشهيد هيمنة الشرع على السلوك ، وأنه هو الحكم
لا أعراف وعادات الناس ، ويدعو الإمام الشهيد إلى معرفة المراد من الألفاظ
والمصطلحات الشرعية حقيقة ومضموناً . ويحذر من المضللين المزيفين الذين
يرفعون رايات مزورة في ظاهرها الخير وفي حقيقتها الشر . فكثيراً ما سقط الناس
أسرى في شباك العرف الخاطئ ، وضحايا لشعارات المضللين الخادعين .

تعريف العرف :

هو ما ألفه المجتمع واعتاده وسار عليه في حياته من قول أو فعل .

والعرف والعادة بمعنى واحد عند الفقهاء (١) .

مثال العرف العملي :

تقسيم المهر إلى معجل ومؤجل ، والبيع بالتعاطي . .

مثال العرف القولي :

إطلاق اسم اللحم على غير السمك ، ولفظ الولد على الذكر دون الأنثى .

(١) التوجيه في أصول الفقه ، د. عبد الكريم زيدان ص ٢٥٢

العرف الصحيح والفاقد :

العرف الصحيح : ما لا يخالف نصاً من نصوص الشريعة ، ولا يفوت مصلحة معتبرة ، ولا يجلب مفسدة راجحة .

مثل : تعارف الناس على أن ما يقدمه الخاطب إلى مخطوبته يعتبر هدية ولا يدخل في المهر .

أما العرف الفاسد : فهو ما كان مخالفاً لنص الشارع ، أو يجلب ضرراً ، أو يدفع مصلحة .

مثل : استعمال العقود الباطلة كالاستقراض بالربا من البنوك ، أو الأفراد .

موقفنا من العرف الخاطئ :

واجب المسلم أن يطوع كل سلوكه الظاهر والباطن لمنهج ربه ومقاصد الشريعة ، فيحل ما أحل الله ، ويحرم ما حرم الله ، وهو وقاف عند حدود الله لا يتجاوزها مهما كان ، وهو يزن كل الأمور بميزان الشرع ، فما وافقه أمضاه وأقره ، وما خالفه طرده وأنكره ؛ لأن الشرع يعلو ولا يعلى عليه . وللناس أعراف وعادات مستقرة في حياتهم منها ما يحتاج إلى الإقراط ومنها ما يجنب إلى التفريط .

فواجب المسلم تجاه هذه الأعراف ألا يجنب معها بل يلزم وسطية الشرع ، وحقيقته الثابتة .

وأوضح ذلك بالمثل :

١- تعارف بعض الناس على أن يخلو المرء بمخطوبته ويخرج معها للتزويج ... بلا ضوابط .

وتعارف بعض آخر على أن المرء ليس له أن يرى مخطوبته . بل يكفي الإخبار .

والموقف الشرعي السديد هو : إباحة النظر إلى المخطوبة ، والتعرف عليها ، ومحدثتها بلا تبذل ولا ليونة ، بل بالأدب العف ، في النور بلا خلوة مريبة .

٢- وكذلك في إعلان النكاح نجد أناساً اعتادوا أن يعلنوه بالصخب والضجيج ، والسهرات الفاجرة بالحضور والرقص والغناء الفاحش ، والاختلاط الدميم .

ونجد أناساً آخرين يكادون يحصرونه في أضيق دائرة كأنه سر أو كتمان محرماً من مشابهة الفاسقين في الإعلان .

وكلا طرفي الأمور ذميم .

● فالشرع جاء بالإعلان والحث عليه ، وضرب الدفوف والغناء المباح شرعاً في هذه المناسبة ، والحث على مشاركة الرجال والنساء للعروسين ، لكن بالأدب والعفاف والكلام الطيب ، وبلا اختلاط .

فواجب المسلم أن يعرف جيداً ما المراد بالألفاظ الشرعية وما حدودها ، مثل : النظر إلى المخطوبة ، وإعلان النكاح ، ويلزمه الوقوف عندها ، والدوران معها غير ملتفت إلى أعراف المزايدين المتجاوزين ، ولا المقصرين الواهمين .

الحذر من الخداع اللفظي :

يلجأ بعض المزورين المضللين إلى خداع الجماهير بإطلاق ألفاظ وعناوين براقة فتكون النتيجة أن يقعوا في الرذيلة وينفروهم من الفضيلة .

فواجب المسلم أن يكون واعياً حذراً من هذا الخداع ، لا تستهويه العناوين قبل المضامين ، ولا الأسماء دون المسميات ، خصوصاً وقد أنبأنا رسول الله ﷺ عن صنف من المزورين المضللين يستحلون المحارم ويسمون بها بغير اسمها . فقد قال ﷺ :

١- لتستحلن طائفة من أمنى الخمر باسم يسمونها إياه (١) . وفي العصر كثر
حملة التضليل هذه فلزم التنبيه ببعض الأمثلة الخداع المزورين المضللين .

- تسمية الحجاب العفيف : تخلف وتأخر وكفن .
- وتسمية السفور والتبرج : رقى وتقدم وحضارة .
- تسمية الدين الصحيح : تطرف وتشدد وتزمت .
- رفع راية الذكر فوق أعمال الدراويش من الرقص والهوس .
- رفع راية تكريم الأولياء فوق بناء القباب ، والسجود على الأعتاب
والتذائح والندود لغير الله .
- تسمية التعامل الربوي زوراً باسم المضاربة أو الوديعة المستثمرة . تسمية
الربا بالفائدة .

- وقد صارت أساليب الخداع اللفظي من الأمور المحترفة لدى المزورين
المضللين مما أضر الناس في الدنيا والدين فلزم الحذر والانتباه حتى لا نستدرج ،
ولا نؤيد باطلاً ونخدل حقاً ، فالعمرة بالمسميات لا بالأسماء وهذا هو منهج
العلماء الفضلاء الأذكياء .

فقد علمونا أن الاسم القبيح لا يضر الحق الصحيح والاسم الجميل لا يبيح
الباطل السفيم .

وفي هذا أنشد الإمام الشافعي قوله :
إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضى
كما لا يرفع من شأن المستنقع الآسن الثفن أن يسمى حمام سباحة من الدرجة
الأولى .

ولا يبيح الخمر أن تسمى عسلاً .

ولا يضركم غسل أن يسمى بطلاً . . .

● وما تحذر الإشارة إليه هنا أن كثيراً من المؤسسات المزورة المضللة ترفع رايات حسناء (أخوة ، مساواة ، عدالة ، حرية ، علم ، إيمان ، تقدم ، ...) وهي فساد للإنسانية وشفاء ، مثل :

المؤسسات العلمانية اللادينية ، وأندية الماسونية والروتاري فينبغي الحذر من هذه
الشعارات الزائفة الجوفاء ، وانتظر في سلوك أهلها وبرامجهم الحقيقية للوقوف
على حقيقتهم .

مجلس الشورى في ١٤٢٢ هـ

✻ ✻ ✻

الأصل السابع عشر

« والعقيدة أساس العمل .

وعمل القلب أهم من عمل الجارحة .

وتحصيل الكمال في كليهما مطلوب شرعاً

وإن اختلفت مرتبتا الطلب . »

في هذا الأصل يقرر الإمام الشهيد عدة حقائق أشار إليها القرآن الكريم ،
ونبه على أهميتها رسول الله ﷺ ، وهي حقائق لها آثارها العظيمة في سلوك
المؤمن وتربيته .

العقيدة أساس العمل :

إن الإيمان بالله ، وسلامة الاعتقاد هو أساس كل شيء ويدونه لا قيمة للعمل
مهما بدا جميلاً وكثيراً ، لأنه قائم على فراغ ، وينتهي إلى ضلال .

قال تعالى عن الكافرين وأعمالهم :

﴿ وقدما إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ﴾ (١)

﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم
يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاء حسابه والله سريع الحساب ﴾ (٢)

وعلى قدر قوة العقيدة ، وعمق الإيمان ، وصدق اليقين تكون ثمار العمل
ونضجها . فواجب كل مسلم عامة والمربين خاصة أن يهتموا بتعميق جذور الإيمان
الصافي ، والعقيدة السليمة في النفوس لتأتي الأعمال صحيحة مقبولة .

(١) سورة الفرقان : الآية ٢٣

(٢) سورة النور : الآية ٣٩

ولقد كان هذا هو هدى المصطفى ﷺ في تربية أصحابه رضي الله عنهم .

عمل القلب وعمل الجارحة :

إن القلب هو أشرف الأعضاء ، فهو محل أصل الإيمان ، ويتوقف عليه صلاح بقية الأعضاء أو فسادها ، وفي هذا يقول رسول الله ﷺ : « ألا وإن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت ، فسد الجسد كله ألا وهي القلب » (١) ، لذلك كانت التربية النبوية موجهة ابتداءً إلى القلب لأنه مفتاح التحويل ، وبإستقامته تستقيم الجوارح .

قال تعالى :

﴿ إِنْ أَنْتَ إِلَّا بَعْدَ مَا يَنْصَرِفُونَ ﴾ (٢) .

لذلك كانت أعمال القلوب أفضل من أعمال الجوارح ، فالتوكل على الله ، واليقين في الله ، والخوف من الله . . . أفضل من الذكر ، والإنفاق ، وإمالة الأذى عن الطريق وفي كل خير .

والنفاق ، والكبر ، والحقد ، والبخل أخضر من الشتم والسرقه والضرب . . . وكلاهما مر وضر .

كلاهما مطلوب :

إن واجب المسلم أن يسعى للتخلق بشعب الإيمان ، التي جمعت كل الأعمال ، أعمال القلوب وأعمال الجوارح ، ولا يجوز له الاكتفاء بأحدهما . فאלله تبارك وتعالى أمر بالتوكل عليه ، والاستعانة به والخوف منه ، والرجاء فيه . . . وأمر كذلك بالصلاة والزكاة والصوم والذكر . . . فيجب أن يطاع تبارك وتعالى في كل ذلك ، والمؤمنون الكاملون أدركوا ذلك فعملوا به .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ

(٢) سورة الرعد : الآية ١١

(١) فتح الباري : ١/ ١٥٣ رقم ٥٢

آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ﴿ (١) 》

فمهمة المسلم أن يجد ويسعى للكمال في كل الأعمال مركزاً على أعمال القلوب ، بادن بها ، غير مهمل ولا مستهين بأعمال الجوارح ، لكن مراعيًا للترتيب والأولويات ، مقدماً الأعلى على الأدنى .

فقد قال رسول الله ﷺ : « الإيمان بضع وسبعون ، أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها : قول لا إله إلا الله ، وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق . والحياء شعبة من الإيمان » (٢) .

وفي هذا المقام كلام لنفس الشيخ الإسلام ابن تيمية حيث يقول :

« الدين القائم بالقلب من الإيمان علماً وحالاً هو الأصل والأعمال الظاهرة هي الفروع ، وهي كمال الإيمان . فالدين أول ما يبنى من أصوله ويكمل بفروعه : كما أنزل الله بمكة أصوله من التوحيد والأمثال . . . والقصص والنوعد والوعيد ، ثم أنزل بالمدينة - لما صار له قوة - وفروعه الظاهرة من الجمعة والجماعة ، والأذان والإقامة والجهاد والصيام وتحريم الخمر والزنا والنيسر وغير ذلك من واجباته ومحرماته ، فأصوله ثم فروعها وثبته وفروعه تكمل أصولها وتحفظها » (٣) .

* * *

(٢) رواه مسلم : ٦٣ / ١ رقم ٣٥

(١) سورة الأنفال : الآية ٢-٤

(٣) الفتاوى : ٣٥٥ / ١٠ - ٣٥٦

الأصل الثامن عشر

« والإسلام يحرر العقل
ويبحث على النظر في الكون
ويرفع قدر العلم والعلماء

ويرحب بالصالح النافع من كل شيء

والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها ».

في هذا الأصل يقرر الإمام الشهيد موقف الإسلام من العقل والعلم في وقت
قد أسر فيه العقل ، وحصر فيه العلم ، واحتاج الناس إلى التبصر بالموقف
السديد ، فكانت كلمات الإمام الشهيد :

الإسلام يحرر العقل :

إن العقل من أعظم نعم الله على الإنسان فيه يدرك ويميز ، ويفهم ويستنبط ،
ويشكر ويخترع ، ويبني ويعمر . . .

وقد حرص الإسلام على تحرير العقول من كل سلطان يكبلها ويعيقها عن أداء
دورها في الحياة .

فحرر الإسلام العقل من قيود الأوهام والخرافات والكهنة فحرم الإسلام
إتيان العرافين والكهنة ونصديقهم والاعتقاد في التمام والرقى الشيطانية والودع
. . . وما كان من هذا الباب .

وحرر الإسلام العقل من معتقلات التقليد والهوى لإغراقها لصاحبها في
الضلال .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغْيِرَ هَدًى مِنْ اللَّهِ ﴾ (٢)

الإسلام يبحث على النظر في الكون :

لقد حرر الإسلام العقل من قيوده ، ولم يكتف بهذا ، بل رغب في النظر في الكون ، وحث على التدبر والتفكير في المخلوقات ، وذلك للتعرف على عظيم قدرة الله تبارك وتعالى وحكمته ، فيزداد بذلك الإيمان فيكون ما يكون من العبودية الحقة .

وأمر آخر يحققه النظر ، وهو القيام بواجب الخلافة في الأرض وعمارتها ، وذلك بالاستفادة مما سخره الله لنا من طاقات ومخلوقات ... ، ولا يكون ذلك إلا بالنظر والبحث والتجريب والاستقصاء والاستنباط لا الكسل والخمول والعشوائية .

والنصوص التي نحث على النظر وتنشئ على الناظرين كثيرة منها :

قال تعالى : ﴿ قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٣)

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ، وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ . تَبْصِرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ . وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ . وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ . رِزْقاً لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ (٤)

(١) سورة البقرة : الآية ١٧٠

(٢) سورة القصص : الآية ٥٠

(٣) سورة يونس : الآية ١٠١

(٤) سورة ق : الآيات ٦ - ١١

﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى
الآلآب ﴾ (١)

﴿ وفي الأرض آيات للموقنين ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ (٢)

﴿ فلي نظر الإنسان إلى طعامه ... ﴾ (٣)

الإسلام يرفع قدر العلم والعلماء :

لقد كرم الإسلام العلم ، ورفع قدره ، أى علم نافع يحقق القيام بواجب
الخلافة فى الأرض وعمارتها ، ويكون مصدر قوة وتمكين وخير للمسلمين
والإنسانية . وقد أثنى الإسلام على العلماء فى شتى المجالات ورفعهم درجات .

وقد ورد فى هذا المعنى آيات وأحاديث كثيرة منها :

قوله تعالى : ﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ (٤)

﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ (٥)

﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن
الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب
والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ (٦)

وقال ﷺ :

« من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة » (٧)

« العلماء ورثة الأنبياء » (٨)

(٢) سورة الذاريات : الآيات ٢٠ - ٢١

(١) سورة آل عمران : الآية - ١٩

(٤) سورة الزمر : الآية ٩

(٣) سورة عبس : الآية ٢٤

(٦) سورة فاطر : الآيات ٢٧ ، ٢٨

(٥) سورة المجادلة : الآية ١١

(٧) رواه مسلم : ٢٠٧٤/٤ رقم ٢٦٩٩

(٨) رواه أبو داود : ٣١٦/٣ رقم ٣٦٤١ ، والترمذى ٤٧/٥ رقم ٢٦٨٢

فتكريم الإسلام للعلم والعلماء يشمل العلوم الشرعية والكونية وغيرها كما يدل عليه سياق الآيات وتعميم الحديث .

الإسلام يرحب بالصالح :

إن الإسلام جاء ليحقق للناس كل مصلحة ، ويبعد عنهم كل مفسدة في الدين والدنيا لذا : فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهي عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، وحكمة كلها ، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور ، وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث ، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل (١) .

هذا أصل عظيم قد أدى الجهل به إلى جلب الحرج والمشقة على الناس ، وحرمانهم من خير كثير وتشويه صورة الإسلام .

ولقد كان رسول الهدى ﷺ يرحب بالصالح النافع من كل شيء ، فها هو ذا يرحب بفكرة الخندق عندما عرضت عليه ، وهي فكرة فارسية لم تكن معهودة لدى العرب يومئذ في حروبهم . فأخذ بها رسول الله ﷺ لنفعها وخيرها .

لذلك فإن الإمام الشهيد يلفت أقدام بني الإسلام إلى هذه القاعدة العظيمة ، التي تسهم في رفيتهم مع محافظتهم على أصالتهم .

فكل خير في أي مجال ، في الطب والفلك ، في الإدارة والعمارة والصناعة والزراعة ... وغيرها فالمسلم أولى به كيف لا ؟ ورسول الله ﷺ يرسى قاعدة عظيمة فيقول : « الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها » (٢) .

* * *

(١) إعلام التوفيق : ٣٨ ص ٣

(٢) رواه الترمذي : ٤٩/٥ رقم ٢٦٨٧

الأصل التاسع عشر

« وقد يتناول كل من النظر الشرعي والنظر العقلي ما لا يدخل في دائرة الآخر .

ولكنهما لن يختلفا في القطعي :

فلن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة .

ويؤول الظني منهما ليتفق مع القطعي .

فإن كانا ظنيين فالنظر الشرعي أولى بالاتباع حتى يثبت العقلي أو ينهار » .

علاقة الأصل بسابقه :

بعد أن بين الإمام الشهيد موقف الإسلام من العقل والعلم وتكرمه للعقل وحثه على العلم التافع وتقديره لأهله ، بين هنا أن للعقل دائرة بحث ونظر وكذلك الشرع وأن حقائق الشرع لا تتصادم مع حقائق العلم . . .

المراد بالنظر الشرعي :

يراد بالنظر الشرعي ما تتضمنه نصوص القرآن والسنة من أحكام الحلال والحرام في كل مجال سواء كانت العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات . . . وما تضمنته من مسائل الكون والحياة والعلوم المختلفة كالطب والفلك والزراعة .

المراد بالنظر العقلي :

يراد بالنظر العقلي ما يتوصل إليه عن طريق البحث والملاحظة والتجربة والاستقراء والاستنباط والتحليل في مسائل الكون والحياة والعلوم المختلفة . . . وغيرها من المسائل الدينية والدنيوية .

للشريع دوائر خاصة :

هناك مجالات اختص بها الشرع دون العقل كالغيبيات (الجنة والنار ، والملائكة والجن . . .) والتحليل والتجريم . . . فهذه مجالات لا يفتى فيها العقل ويؤسسها إنما يفهمها ويفسرهما .

للعقل دوائر خاصة :

كذلك هنالك دوائر خاصة للعقل لم يتدخل فيها النظر الشرعي مثل كثير من أمور الدنيا والكون والحياة التي تخضع للملاحظة والتجربة والاستقراء فيستنبط منها قوانين علمية في الكيمياء والفيزياء والنبات ، تساعد على كثير من الاكتشافات العلمية والمخترعات .

دوائر للشريع والعقل :

هناك مجالات يشترك فيها كل من الشرع والعقل وهي مجالات قطعية لا مجال فيها للتأويل والتردد إنما هي جلية جلاء الشمس في وضوح النهار مثل : الإيمان بالله تعالى وتوحيده وكماله .

والإيمان باليوم الآخر والرسول

وقضل شرع الله على كل ما سواه .

فهذه مسائل قد تحدث عنها كتاب الله وسنة رسوله ، وشهد بها العقل بالملاحظة والمشاهدة والأدلة السليمة .

مواقفنا من القضايا العلمية :

بادئ ذي بدء نقول : إن القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد ونظام حياة للسمو بإنسانية الإنسان . قال تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ (١) .

﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ﴾ (٢)

(١) سورة الإسراء : الآية ٩

(٢) سورة طه : الآيات ١٢٣ - ١٢٤

وإنما أشار في طياته إلى بعض المسائل العلمية فيما يتعلق بالكون والحياة وذلك لتثنيته على عظيم قدرة الله وتثبيت الإيمان في قلوب المؤمنين . . .

بعد هذا نأتى إلى السؤال :

ما موقفنا من القضايا العلمية ؟

نقول : لقد أرشد الإمام الشهيد إلى رأى شديد وسط صراع من الآراء :

● بعضها وقف من العقل وما توصل إليه من مسائل علمية سواء حقائق أو نظريات موقف الرفض والمنكر لربطها بالشرع وإن كانت الإشارة إليها صريحة وذلك لمبررات ليس هنا مقامها .

● وبعضها وقف من العقل واكتشافاته موقف المتبهر المتلمس لكل اكتشاف حقيقة كان أو نظرية ، قطعياً كان أو ظنياً ، دليلاً من الشرع ، ويلوى في سبيل ذلك الربط أعناق الآيات والأحاديث لياً ، ويتكلف في تفسيرها . . .

وفي كلا الرأيين ما فيه من خطورة ومآخذ ، وكلاهما فيه إفراط وتفریط .

وجاء الإمام الشهيد بالرأى الوسط الحكيم .

فنظر في النصوص الشرعية من القرآن فوجد فيها القطعي الدلالة وظنيها .

وفي السنة القطعي والظني الدلالة والاثبات .

ونظر في المسائل العلمية فوجد فيها الحقائق القطعية والفروض والنظريات الظنية .

ومن المعلوم أن الله هو الذي أوحى القرآن والسنة وهو الذي خلق العقل والكون وعلم الإنسان . فما دام الأمر كذلك ، فقد قرر الإمام الشهيد بالنسبة لموقفنا من القضايا العلمية ما يلي :

١- لا مانع من ربط الحقائق العلمية الصحيحة بالحقائق الشرعية الصريحة ، فهذا سبيل من سبيل زيادة الإيمان .

٢- يزول الظني من القضايا العلمية ليوافق القطعي من النصوص الشرعية .

ويزول الظني من النصوص الشرعية ليوافق القطعي من القضايا العلمية .

٣- إن كانت النصوص الشرعية ظنية والقضايا العلمية ظنية وقفنا في صنف النصوص الشرعية لأنها تنزّل العزيز الحميد حتى تستقر القضايا العلمية على حال : إما الثبوت أو الإنهيار .

أمثلة ونماذج :

١- حقيقة شرعية وحقيقة علمية

مراحل خلق الإنسان في بطن أمه .

٢- حقيقة شرعية ونظرية علمية

خلق آدم ونظرية دارون .

٣- حقيقة علمية وشرعية ظني

كروية الأرض .

٤- ظني شرعي وظني علمي

نماذج :

١- حقيقة شرعية وحقيقة علمية :

تحدث القرآن عن أطوار الجنين فقال تعالى :

﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ (١) .

ونفس الحقائق القرآنية هي ما توصل إليه علماء الأجنة .

(١) سورة المؤمنون : الآيات : ١٢ - ١٤

٢- حقيقة شرعية ونظرية علمية :

تحدث القرآن عن خلق الإنسان وبدايته ، فالإنسان الأول هو آدم عليه السلام ، خلقه الله من تراب قال تعالى :

﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون . والجان خلقناه من قبل من نار السموم . وإذا قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمإ مسنون . فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ (١)

وهناك بعض النظريات السقيمة الزائفة في خلق الإنسان تزعم أن الإنسان متطور عن سلالة من الحيوانات . وهذه النظرية تتعارض مع الحقيقة الشرعية ، فواجب المسلم أن يأخذ بالحقيقة الشرعية ويضرب بالنظرية العلمية الظنية عرض الحائط .

٣- حقيقة علمية وظنى شرعى :

كروية الأرض .

● فقد أثبت التجارب والاكتشافات العلمية بالبراهين القاطعة أن الأرض كروية .

● وقد أشار القرآن الكريم إلى أن الأرض محدودة متبسطة وإلى أنها كروية .

فقال تعالى : ﴿ والأرض مددناها ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿ والأرض بعد ذلك دحائها ﴾ (٣)

وفى مثل هذه الحالة نحمل الظنى الشرعى على الحقيقة العلمية . ويجدر بالذكر أن نشير إلى أن انبساط الأرض وامتدادها لا يتعارض مع كرويتها وذلك لأن التعبير يوضح حالتها وصورتها التى يراها الناس وهى لاشك ترى مبسوطة محدودة .

أما شكلها العام فهى كالدحية (كروية بيضاوية) .

(١) سورة الحجر : الآيات : ٢٦ - ٢٩

(٢) سورة ق : الآية ٧ (٣) سورة النازعات : الآية ٣٠ (٤)

الأصل العشرون

« لا تكفر مسلماً أقر بالشهادتين ، وعمل بمقتضاها
وأدى الفرائض - برأى أو معصية - إلا إن :
أقر بكلمة الكفر .

أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة .

أو كذب صريح القرآن .

أو فسرّه على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية
بحال .

أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلًا غير الكفر .

في هذا الأصل يتحدث الإمام الشهيد عن قضية من أخطر القضايا ، إنها
قضية « التكفير » .

فقد غلا فيها أقوام ، وقصر آخرون ، وكلاهما ذميم ، وانتشرت هذه الآفة في
عصر الإمام الشهيد لأسباب هيئة ونراشق الناس بها على التآمر ، وصفحات
المجلات ، والدروس والمحاضرات . فتمزق شمل الأمة الممزق .

وتساهل آخرون ، فقد رأوا الكفر البواح ، والمزوق الصراح ، وصفقوا لأهله
كأن لم يكن شيئ .

فجاء الإمام الشهيد بالرأى الوسيط ، فلا تهويل ولا تهوين ، فوضع الضوابط
الشرعية لهذه القضية ليحفظ بها فهم الأخ المسلم من المنعطفات الخطيرة
والتقصيرات المشينة .

وقبل تناول هذا الأصل أشير إلى أمرين هامين :

وقول الإمام الشهيد :

« لا تكفر مسلماً أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاها وأدى الفرائض ... » ليس المراد منه أن من لم يعمل بمقتضاها ولم يؤد الفرائض كافر وليس بمسلم .

وإنما هذا من باب « لا أهين المسلم السخي القوام والنصوام ... » فإن الإهانة لا تجوز لقليل الإنفاق والقيام والصيام أيضاً .

وإنما قصد الإمام الشهيد أن ينكر على الغلاة في التكفير تكفيرهم لمن وحدوا الله ، وآمنوا برسوله ، ورضوا بالإسلام ديناً ، وأدوا فرائض الله ... ومع ذلك حكم عليهم بالكفر لأسباب أهون من أن تخرج صاحبها من الإسلام كالخطأ في رأى اجتهادى ، أو معصية دون الكفر الأكبر .

بعد هذا نشع في بيان عناصر هذا الأصل .

لا تكفير برأى أو معصية :

بين القرآن الكريم أن المرء لا يكفر بالمعصية ما دامت دون الشرك الأكبر ، بل إن رحمة الله ومغفرته تشمل تلك المعاصي بمشيئته تبارك وتعالى .

قال عز وجل :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (١)

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

كذلك لا يكفر مسلم بسبب رأى خطأ في مسألة اجتهادية تحتل وجهات نظر سواء كانت عقيدة أو فقه .

قال رسول الله ﷺ :

« إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » (٢) .

ويعلق على هذا شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول :

(٢) رواه ابن ماجه : ٦٥٩/١ رقم ٢٠٤٥

(١) سورة النساء : الآية ٤٧

« وذلك بعدم الخطأ في المسائل الخيرية الفوتية والمسائل العملية وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل ، ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر ولا بفسق ولا بمعصية » (١)

حتى يكفر المسلم ؟

بين الإمام الشهيد جملة أسباب من أتى شيئاً منها كان مستحقاً للتكفير . . .

١- الإقرار بكلمة الكفر :

كأن يقول : إنه يكفر بالله ، ولا يقر برسالة محمد ﷺ ، فمثل هذا قد حكم على نفسه ، فلاحظ له في الإسلام .

٢- إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة :

هناك أمور متواترة قطعية مشهورة معلومة للأمة والعالم بلا بحث ولا اجتهاد ، وذلك كوجوب الصلاة ووجوب الزكاة ، وحرمة الزنا . . .

فمن أنكر ذلك فقد خرج من دائرة الإسلام .

٣- تكذيب صريح القرآن :

القرآن هو أصل الأصول في الأحكام لكل مسلم فمن كذب شيئاً دل عليه القرآن بكل صراحة ووضوح لا لبس فيه ولا احتمال . . . كأن ينكر أن هناك نبياً اسمه إبراهيم أو إسماعيل . . . أو صالح أو هود . . . أو أن هناك مخلوقات من الجن والشياطين . . . فهو كافر .

٤- التفسير الباطل بكل حال :

القرآن الكريم نزل بلغة العرب ، فهو بهذه اللغة يفهم لا يستأجرها ، فمن أعرض عن تفسير القرآن بالقرآن وبسنة رسول الله ﷺ ، وأقوال الصحابة الكرام ، ولغة العرب ، وأخذ يفسره بهواه فليشبرأ مفعده من النار ، ومن اتخذ

(١) الفتاوى : ٢/ ٢٢٩

هذا الأسلوب ذريعة لينكر الثابت ، ويثبت المنفى ، ويحلل الحرام ، ويحرم
الخلال فهو كافر متبع لهواه لا عابد لله .

وذلك كأن يفسر نعيم الجنة وعذاب النار بأنها أمثال وخیال ومعنويات وروحیات
وليست حقائق ثابتات .

وكان يفسر خاتم النبیین بغير آخر النبیین . . . وهذه التفسيرات الواهمة الواهية
الباطلة نجد كثيراً منها عند المارقین من أتباع المذاهب صنيعة الاستعمار كالفاديانية
والبهائية والعلمانية . . . وغيرها .

٥- إثبات عمل لا يحتمل إلا الكفر :

وذلك كمن يفر إلى الكفار ويعاوتهم ضد الإسلام والمسلمين ﴿ ومن ينولهم
منكم فإنه منهم ﴾ (١) .

وكان يستهزئ بالله وآياته ورسوله والإسلام .

ومن الجدير بالذكر هاهنا أن الجماعة قد تعرضت لابتلاء خطير كاد يعصف بها
لولا أن ثبتها الله ، وهيا لها رجالاً ربانيين لا تؤثر المحن مهما عظمت على
رويتهم للأمور ببصيرة نافذة ﴿ إن تقوا الله يجعل لكم فرقانا ﴾ (٢) فلم يوقعهم
الرضا في الباطل ، ولم يخرجهم الغضب عن الحق فحفظهم الله على أيدي
المُرشد الأستاذ / حسن الهضيبي - رحمه الله - من فتنة التكفير في أعقاب محنة
١٩٦٥م فحافظ على الجماعة من الانزلاق في المنعطفات بفضل تربية الإمام
الشهيد وما أصَّله للجماعة . ودرس القضية دراسة دقيقة عميقة مبصرة في كتاب
«دعاة لا قضاة» ووضع لها ضوابطها الشرعية الكلية .

وحسبنا ما ذكرنا في هذا المقام عن هذه القضية .

* * *

(٢) سورة الأنفال : الآية ٢٩

(١) سورة المائدة : الآية ٥١

بشرط الإتمام رضي الله عنه

الفصل الثاني

قد تقدم شرح ركن الفهم ونشطلع بنظراتنا
مع الأركان التسعة الباقية

منازل اخوة

الكتاب من تأليف المؤلفين ومجلدات من تأليف المؤلفين

مجلدات من تأليف المؤلفين

الركن الثاني

الإخلاص

يقول الإمام رضى الله عنه :

(وأريد بالإخلاص : أن يقصد الأخ المسلم بقوله وعمله وجهاده كله وجه الله وابتغاء مرضاته وحسن مثوبته ، من غير نظر إلى مغنم أو جاه أو لقب أو تقدم أو تأخر ، وبذلك يكون جندي فكرة وعقيدة لا جندي غرض ومنفعة . ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت ﴾ وبذلك يفهم الأخ المسلم معنى هتافه الدائم : « الله غايتنا » و « الله أكبر ولله الحمد » .)

معنى الإخلاص :

الإخلاص هو إرادة وجه الله تعالى بالعمل ، وتصفيته من كل شوب دنيوى فلا يمارج عمله ما يشوبه من الرغبات العاجلة للنفس ، من إرادة مغنم ، أو منصب أو مال ، أو شهرة أو منزلة فى قلوب الخلق ، أو طلب مدحهم ، والهروب من ذمهم أو اتباع هوى خفى أو غير ذلك من العلل والشوائب التى يجمعها إرادة ما سوى الله بعمله كائناً من كان .

والإخلاص بهذا المعنى ثمرة من ثمار التوحيد الكامل الذى هو إفراد الله بالعبادة . ولهذا عند الرباء - وهو ضد الإخلاص - من الشرك ، قال شهاب بن أوس : كنا نعد على عهد رسول الله ﷺ أن الرباء الشرك الأصغر (١) .

(١) مجمع الزوائد : ٢٢٥/١٠ كتاب الزهد باب ما جاءه الرباء .

للعمل المقبول ركنان :

إن لكل عمل صالح ركنين لا يقبل عند الله إلا بهما :

أولهما : الإخلاص ونصح النية .

وثانيهما : موافقة السنة والشرع .

وبالركن الأول تتحقق صحة الباطن ، وبالثاني صحة الظاهر ، وقد جاء في

الركن الأول قوله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات » (١) فهذا هو ميزان الباطن .

وجاء في الركن الثاني قوله ﷺ : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو

رد » (٢) أي مردود على صاحبه وهذا ميزان الظاهر .

وقد جمع الله الركنين في أكثر من آية في كتابه ، فقال تعالى : ﴿ ومن يسلم

وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ (٣) .

فإسلام الوجه لله : إخلاص القصد والعمل له . . . والإحسان فيه . . . ومتابعة

رسول الله ﷺ وسنته .

وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالى : ﴿ ليلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ (٤)

أحسن العمل أخلصه وأصوله . . . قيل له يا أبا علي ، ما أخلصه وما أصوبه ؟

قال : إن العمل إذا كان خائصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً ولم

يكن خالصاً لم يقبل ، حتى يكون خالصاً صواباً - والخالص أن يكون لله ،

والصواب أن يكون على السنة ، ثم قرأ الفضيل قوله تعالى : ﴿ فمن كان يرجو

لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ (٥) .

(٢) رواه مسلم : ١٣٤٣ / ٣ رقم ١٧١٨

(٤) سورة المائدة : الآية ٢

(١) فتح الباري : ١٥ / ١ رقم ١

(٣) سورة لقمان : الآية ٢٢

(٥) سورة الكهف : الآية ١١٠

نعلم بما تقدم أن إخلاص النية لا يكفي وحده لقبول العمل ، ما لم يكن موافقاً لما جاء به الشرع وصحت به السنة . كما أن ورود الشرع بالعمل لا يرقى به إلى درجة القبول ما لم يتحقق فيه الإخلاص وتجرّد النية لله عز وجل .

من دلائل الإخلاص :

للإخلاص دلائل وعلامات كثيرة تظهر في حياة المخلص وسلوكه ، ونظراته إلى نفسه وإلى الناس . منها :

١- أن يخاف من الشهرة وانتشار الصيت على نفسه ودينه وخصوصاً إذا كان من أصحاب المواهب ، وأن يوقن أن القبول عند الله بالسرائر لا بالظواهر ، وأن إنساناً لو طبقت شهرته الآفاق وهو مدخول النية لم يغن عنه الناس من الله شيئاً .

وهذا ما جعل كثيراً من علماء السلف وصالحهم يخافون على قلوبهم من فتنة الشهرة وسحر الجاه والصيت ، ويحذرون من ذلك تلاميذهم . وقد روى الإمام الغزالي من ذلك أشياء كثيرة . قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله : ما صدق الله من أحب الشهرة .

وقال سليم بن حنظلة . . . بينما نحن حول أبي بن كعب ثمثى خلقه ، إذ رآه عمر فعلاه بالدرة فقال . . . انظر يا أمير المؤمنين ما تصنع . فقال عمر إن هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبع .

وهي لفتنة عمرية نفيسة إلى ما قد تحدثه هذه المظاهر البسيطة في بدايتها من عواقب وآثار بعيدة الغور في نفسية الجماهير التابعة ، والقادة المتبعين .

وعن الحسن قال : خرج ابن مسعود يوماً من منزله فاتبعه ناس ، فانتفت إليهم فقال : علام تبعونني ؟ فوالله لو تعلمون ما أغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان .

وقال الحسن : إن خفق النعال حول الرجال قلما تثبت عليه قلوب الحمقى . وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال : هل لكم من حاجة ؟ وإلا فما عسى أن يبغى هذا من قلب المؤمن ؟

وخرج أيوب السخيتاني في سفر فشبعه ناس كثيرون فقال : لولا أني أعلم أن الله يعلم من قلبي أتى لهذا كاره لحشيت المقت من الله عز وجل .

وقال ابن مسعود : كونوا ينابيع العلم ، مصابيع الهدى ، أحلاس البيوت ، سرج الليل جدد القلوب ، خلجان الثياب ، تعرفون في أهل السماء وتحفون في أهل الأرض .

وقال الفضيل بن عياض : إن قدرت على ألا تعرف فافعل ، وما عليك ألا تعرف ؟ وما عليك أن يثنى عليك ؟ وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت محموداً عند الله تعالى ؟

لا يفهم من هذه الآثار الدعوة إلى الانطوائية والعزلة ، فإن الذين روي عنهم إنما هم أئمة دعاء مصلحون ، كان لهم آثار طيبة في دعوة المجتمع وتوجيهه .

لكن الذي يفهم من مجموعها اليقظة لشهوات النفس الخفية ، والخذر من الكوى والمنافذ التي يسيل منها الشيطان إلى قلب الإنسان .

والشهرة في ذاتها ليست مذمومة ، فليس هناك أشهر من الأنبياء وأحفادهم الراشدين فأما وجودها من غير هذا التكلف والحرص فلا شيء فيه إن كان فيه ، وكما قال الغزالي : فتنة على الضعفاء دون الأقوياء .

٢- إن المخلص يتهم نفسه دائماً بالتفريط في جنب الله ، والتقصير في أداء الواجبات ، ولا يسيطر على قلبه الغرور بالعمل والإعجاب بالنفس ، بل هو دائماً يخشى من سيئاته ألا تغفر ويخاف على حسناته ألا تقبل وقد بكى بعض الصالحين في مرضه بكاءً شديداً ، فقال بعض عواده . . . كيف نبكى ؟ وأنت الذي صمت وقمت ، وجاهدت ونصدت ، وحججت واعتمرت ، وعلمت وذكرت ؟ فقال : وما يدريني أن شيئاً منها في ميزاني وأنها مقبولة عند ربي ؟ والله تعالى يقول : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١)

(١) سورة المائدة : الآية ٢٧

روى الترمذى أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ يُوْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ ﴾ (١) قالت عائشة : هم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال : لا يابنت الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ، وهم يخافون أن لا يُقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات ، (٢) .

٣- أن يكون العمل الصامت أحب إليه من العمل الذي يحفه ضجيج الإعلان وطين الشهرة .

إنه يؤثر أن يكون من الجماعة كالخدع من الشجرة - بالخدع قوامها وحياتها ، ولكنه مستور في باطن الأرض لا تراه العيون .

عن عمر بن الخطاب : أنه خرج يوماً إلى مسجد رسول الله ﷺ ، فوجد معاذ بن جبل قاعداً عند قبر النبي ﷺ يبكي . فقال : ما يبكيك ؟ قال : يبكي شئ سمعته من رسول الله ﷺ ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن يسير الرياء شرك ، وإن من عادى الله ولياً ، فقد بارز الله بالمحاربة . إن الله يحب الأبرار الاتقياء الاخفياء ، الذين إذا غابوا ، لم يفتقدوا ، وإن حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا ، قلوبهم مصاييح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة » (٣) .

٤- أن يستوى عنده العمل قائداً والعمل جندياً ما دام في كلا الأمرين خدمة دعوته فلا يستولى على قلبه حب الظهور ، وتصدر الصفوف ، والرغبة في الزعامة واعتلاء المراكز القيادية ، بل ربما أثر الجندية خشية التفريط في واجبات القيادة وتبعاتها وهو على كل حال لا يحرص عليها ولا يطلبها لنفسه ولكن إذا حُمِّلها حملها واستعان بالله على القيام بحققها . وقد وصف الرسول ﷺ هذا الصنف من الناس فقال طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه ،

(٢) رواه الترمذى : ٣٠٦/٥ رقم ٣٧١٥

(١) سورة المؤمنون : الآية ٦٠

(٣) رواه ابن ماجه : ١٣٢٠ / ٢ رقم ٣٩٨٩

مغيرة قدماء ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقية كان في الساقية ... (١)

ورضى الله عن خالد بن الوليد الذي عزل عن إمارة الجيش وهو القائد المظفر ، فعمل تحت قيادة أبي عبيدة دون تململ ولا تذمر .

٥- ألا يبالي برضاء الناس إذا كان من ورائه سخط الله عز وجل ، فإن الناس يختلفون أشد الاختلاف في أمرجتهم وتفكيرهم وميولهم وأهدافهم ، ومحاولة إرضائهم غاية لا تدرك ومطلب لا ينال ، والمخلص قد أراح نفسه من عناء هذا كله ، وكان شعاره مع الله :

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر وبينى وبين العالمين خراب

إذا صبح منك الود فالكل حين وكل الذي فوق التراب تراب

٦- أن يكون حبه وبغضه ، وعطاؤه ومنعه ، ورضاه وغضبه لله ولدينه ، لا لنفسه ومنافعه ، فلا يكون كأولئك النفعيين من المنافقين الذين ذمهم الله في كتابه ، وقال فيهم : ﴿ ومنهم من يلزمك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون ﴾ (٢)

لقد ترى بعض العاملين في ميدان الدعوة إذا مسه أحد إخوانه بكلمة تؤذيه أو جرح شعوره يتصرف بسوء في نفسه أو أحد من خاصته وذويه سرعان ما يغضب ويترحم ، ويدع العمل والحركة ، ويعتزل ميدان الجهاد .

والإخلاص للقاية يقتضيه أن يصبر على دعوته ، ويثبت على اتجاهه مهما أخطأ فيه المخطئون ، وقصر المقصرون أو أسرف المسرفون ، لأنه يعمل لله لا لنفسه ولا لذويه ، ولا لفلان أو علان من الناس .

(١) سورة التوبة : الآية ٥٨

(٢) سورة التوبة : الآية ٥٨

(١) فتح الباري : ٩٥/٦ رقم ٢٨٨٧

ودعوة الله ليست حكراً على أحد أو ملكاً له . إنها دعوة المجتمع . فلا يجوز أن يتخلى عنها مؤمن بها من أجل موقف هذا أو تصرف ذاك .

٧- أن لا يحملة طول الطريق واستبطاء الثمرة ، وتأخر النجاح ومتاعب العمل مع الناس المختلفين في أذواقهم وميولهم ، على الكسل والتراخي أو التفتت ، إنه لا يعمل للنجاح فحسب أو للنصر فقط ، بل لرضا الله وامتنال أمره ، قبل كل شيء ، وبعد كل شيء .

إن الله لا يسأل الناس في الآخرة لِمَ لَمْ ينتصروا ولكن يسألهم - لِمَ لَمْ يجاهدوا . ولا يسألهم - لِمَ لَمْ ينجحوا ، بل يسألهم لِمَ لَمْ يعملوا .

٨- الفرح بكل ذي كفاية يبرز في صف العاملين ليحمل الراية أو يسهم في العمل وإتاحة الفرصة لكل ذي موهبة أن يأخذ مكانه ، دون تعويق له أو ضيق به ، أو غمط له أو ضجر منه بل ترى المخلص إذا وجد من هو خير منه في تحمل تبعته تنحى له راضياً ، وقدمه على نفسه طائعاً ، وسعد بأن يأخذ خطوة إلى الخلف .

ضرورة الإخلاص لحملة الدعوة :

إن العمل لسيادة الإسلام وعودته لقيادة الحياة بعقيدته وشريعته وأخلاقه وحضارته إنما هو عبادة وقربة إلى الله عز وجل ، وتجريد النية لله في هذه العبادة أمر أساسي لقبول العمل ولتجاحه معا ، فالنية المدخولة تفسد العمل ، وتلوث النفس ، وتضعف النصف ، وتحبط الأجر .

ولهذا السر بدأ الإمام البخاري كتابه « الجامع الصحيح » بهذا الحديث الذي عده بعض العلماء ربع الإسلام أو ثلثه « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله . ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه (١) .

(١) فتح الباري : ١٥/١ رقم ١

وقد روى في سبب ورود هذا الحديث أن رجلاً هاجر إلى المدينة من أجل امرأة يحبها تسمى أم قيس فنسب إليها وقيل له « مهاجر أم قيس » (١).

إن على الأخ المسلم أن يفتش في زوايا قلبه عن حقيقة ثوابه وجواحه ، فإن كان فيها حظ للدنيا أو للشيطان ، جاهد أن ينقى قلبه من دخله ، وأن يجرد نية لله . وأن يخلص نفسه محرراً لربه كما قالت امرأة عمران : ﴿ رب إني ظننت لك ما في بطنى محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم ﴾ (٢) . وهذه الكلمة من أم مريم ﴿ محرراً ﴾ توحى بأن سنة الله ألا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً من كل شراكة ، محرراً من كل عبودية لغيره .

إن الحياة لا يسود فيها الحق وينتشر الخير وتعلو كلمة العدل وتخفق أعلام الفضيلة بتجار المبادئ الذين لا يعملون إلا ليغنموا ويستفيدوا في الدنيا ولا بالمبادئ الذين لا يعملون إلا ليراهم الناس ويسمعوا بهم ويتحدثوا عنهم ويشيروا إليهم بالبيان ، بل يتصر الحق والخير والفضيلة بالملخصين الذين يعتقون المبادئ مؤثرين لا متأثرين ، مضحين لا مستفيدين ، معطين لا آخذين .

إن أمراض القلوب التي تشوب الإخلاص وتفسد النية أفنت بأصحابها من أمراض الأجسام ، فهي تحبط الأجر وتبعد بصاحبها عن طريق الدعوة الصحيح ، وهي موجودة فينا ولكننا نقاومها بالإيمان وبالتقوى ، والأمر يحتاج منا إلى يقظة وانتباه ودوام مراجعة للنية وخلوصها من أي شائبة من أمراض القلوب .



(١) انظر جامع العلوم والحكم ص ١١

(٢) سورة آل عمران : الآية ٣٥

الركن الثالث

العمل

قال الله تعالى : ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا قَسِيرَى اللّٰهِ عَمَلَكُمْ
وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١).

العمل الصالح ملازم للإيمان ، ومصداق له ، وهما معاً من
أسباب النصر والتمكين فى الدنيا ، والسعادة والتعيم فى
الآخرة.

والعمل فى مجال الدعوة إلى الله ، من أجل التمكين
لدين الله ، وإقامة دولة الإسلام ، من أفضل مجالات العمل
الصالح وأشرفها .

مدخل :

الإمام الشهيد حرص من أول يوم على أن يكون أفراد الإخوان المسلمين رجالاً
عاملين لا نظريين ولا جدليين ، فحثهم على العمل الجاد ، العمل الشاق ،
العمل فى كل مجال ، فاستنهض اليهم ، واستنهض العزائم ، فقد انتهى عهد
النوم ، وأصبح لزاماً على الأخ المسلم أن يعمل عملاً دعوياً بلا كلل ولا ملل ،
فلا مكان فى صفوف الإخوان المتجاهدين للكسالى الخاملين .

وقد بين الإمام الشهيد قيمة العمل حيث جعله ثمرة العلم والإخلاص فاعلم
الصحيح سيقطن ناقصاً عقيماً ما لم يدفع صاحبه إلى العمل الإيجابي البناء .

والنية الطيبة لا تكفى لبلوغ المرام ما لم يصحبها سعى جاد ، وعمل جاد
لتحقيق المرام .

(١) سورة التوبة : الآية ٥ - ١

والعلم والإخلاص بلا عمل كالشجر بلا ثمر .

فالعمل أيها الإخوان ليكمل البيان شكلاً ومضموناً ، قلباً وقالباً وانتظروا
حيتث الأجر العظيم ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون
وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ (١) .
واحذروا أن تشبهوا بأصحاب الشعارات البراقة ، والدعوى الجوفاء ، الذين
رضوا بالأماني .

لا تكن عبد المني فامنى رهوس أموال المقاليس

هذا التفصيل البديع الذي ذكره الإمام الشهيد في صفات الأخ الصادق يضع
أمام المريين والأفراد دليلاً للعمل يجب تنفيذه والاهتمام به .

وهذه الصفات تبين لنا مزايا مدرسة الإخوان المسلمين التربوية حيث إنها لم
تغادر جانباً من الجوانب الهامة إلا وركزت عليه ولم يكن هذا الاهتمام مجرد
أماني ، وإنما اتخذت الجماعة من الوسائل والمناهج ما يحقق مرادها من إيجاد
الفرد المسلم على النحو الذي بينه الإمام الشهيد ، وقد شهد الواقع وما زال
يشهد وسيظل بإذن الله بشهد بذلك .

● هذه الصفات العشر في الأخ المسلم المقصود منها مجرد الجمع لا ترتيب
الأهمية والمكانة ، وإن كان ترتيب الذكر لا يخلو من فائدة أحياناً .

فالبدء بـ (قوى الجسم) تنبيه إلى أمر هام يغفل عنه كثير من العاملين للإسلام
كيف ذلك والحق لا بد له من قوة تحميه ١٤ والمؤمن القوى خير وأحب إلى الله
من المؤمن الضعيف وفي كل خير ١ (٢) .

- وقد رسم الإمام الشهيد للأخ المسلم طريق العمل المطلوب منه ، وبين
خطواته ومراتبه . ولنا هاهنا عدة ملاحظات منها :

(٢) رواه مسلم : ٥٢ / ٤ - ٢ رقم ٢٦٦٤

(١) سورة التوبة : الآية ١٠٥

● هذا الترتيب الدقيق من البدء إلى المنتهى .

فالأعمال المطلوبة من أمة الإسلام جليلة عظيمة ، والأمانة ثقيلة ولكن تؤدي الأمانة ، وتحقق الآمال ، وتنفذ الأعمال لا بد من الفرد المسلم الصادق الذي تربي تربية سوية متكاملة متوازنة نقية إيجابية ربانية .

● التركيز على الفرد المسلم ، بتفصيل صفاته التي يجب التحلى بها ليكون لبنة قوية في صرح الإسلام المشيد .

وهاهنا وقفة متأنية ذات أهمية لا بد منها عند المرتبة الأولى : « إصلاح نفسه . . . » فالمسلم المنشود صاحب طاقة ذاتية تدفعه إلى الحركة الدءوبية ، والبحث الدائم ، والترقى في سلم المعالي . . . فهو يصلح نفسه ذاتياً ، وليس واقفاً منتظراً لدفع غيره له حتى يتحرك ويصلح من شأنه .

وهذه مسألة هامة لا بد أن يهتم بها المربون مسألة غرس ذاتية الانطلاق في نفس الأفراد ليصبحوا معطاءين بعد أن كانوا آخذين ، ليصبحوا أعواناً حاملين بعد أن كانوا أفراداً محمولين .

مكانة العمل :

لقد اهتم الإمام الشهيد بقضية العمل أعظم اهتمام ، فجعلها ركناً من الأركان العشرة للبيعة ، وحين تحدث عن وسائلنا العامة قال : هي الإيمان العميق ، والتكوين الدقيق ، والعمل المتواصل (١) .

ولقد ذكر في مقام آخر من خصائص دعوة الإخوان : إثار الناحية العملية على الدعاية والإعلانات ، مخافة أن تشوب هذه الأعمال شوائب الرياء فيسرع إليها التلذذ والفساد ، ولتوضيح قدر العمل ومكانته قال : « يسهل على كثيرين أن يتخيلوا ، ولكن ليس كل خيال يدور بالبال يستطيع تصويره أقوالاً باللسان ، وإن كثيرين يستطيعون أن يقولوا ولكن قليلاً منهم يقدر على حمل أعباء الجهاد والعمل

(١) رسالة بين الأسس والبروم ص ١٠٨ من مجموعة الرسائل .

المضنى ، وهؤلاء المجاهدون وهم الصفوة القلائل من الأنصار قد يخطئون الطريق ولا يصيبون الهدف إن لم تتداركهم عناية الله ، وفي قصة طائوت بيان لما أقول ، فأعدوا أنفسكم ، وأقبلوا عليها بالتزينة الصحيحة والاختيار الدقيق ، وامتنعوا بها بالعمل ، العمل القوي النقيض لديها ، الشاق عليها ، وافطموها عن شهواتها ومالوفاتها وعاداتها ، (١) .

كلام واضح وقوي وجاد ودقيق ، يتناسب مع الهدف العظيم الذي تتصدى له أكبر جماعة لتحقيقه ، والذي تتسع ساحة العمل له ، وتتعدد مجالات العمل فيه ، ويحتاج إلى زمن طويل ونفس طويل ، وجهد كبير ، وصبر جميل وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون ﴾ (٢) . ويوضح الإمام مراده من ركن العمل فيقول :

« وأريد بالعمل : ثمرة العلم والإخلاص ﴾ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » (١) ثم يقول موضحاً مراتب العمل المطلوبة من الأخ الصادق :

المرتبة الأولى : إصلاح نفسه حتى يكون :

- قوى الجسم ، متين الخلق .
 - متقف الفكر ، قادراً على الكسب .
 - سليم العقيدة ، صحيح العبادة .
 - مجاهداً لنفسه ، حريصاً على وقته .
 - منظماً في شؤنه ، نافعاً لغيره .
 - وذلك واجب كل أخ على حدة .
- وهذا هو الفرد المسلم الذي نريده ، وملامحه واضحة فاجتهد حتى تستكمل جوانب النقص ، وابذل كل ما تستطيع .

(١) رسالة التوهم الخامس من ١٢٨ من مجموعة الرسائل .

(٢) سورة التوبة : الآية ١٠٥

(٣) سورة الروم : الآية ٦٠

فقه التكوين الفردي

إن إخراج المسلم من دائرة الضياع التي يعيش فيها إلى ميدان العمل ودائرة الحياة الهادفة ، والغاية المحددة ، واليقظة الكاملة ، وإدراك دوره في الحياة ومهمته في الوجود ، ونقله إلى هذا كله يحتاج إلى مجاهدة كما يحتاج إلى جهد منظم ؛ الأصل أن تتعاون فيه مؤسسات كثيرة ، ورجال أكفاء وقدرات متنوعة ، تعمل ليل نهار ؛ لأن إصلاح الإنسان وتربيته وإعداده هو أعظم شيء في الوجود . فبإصلاحه يصلح الوجود .

ولقد نصح الإخوان والحمد لله في إيجاد هذا النوع الذي لا يغتر بالدنيا ، ولا ينظر إلى المغايم ولا يحرص على المظاهر ، ولا يتطلع إلى الجاه أو المناصب . ولا يحرص إلا على مرضاة الله .

فهو فقط رجل فكرة وعقيدة ، يعمل دائماً لرفق أمته وسعادتها ورقعة شأنها وعلو قدرها ، ويهتم بهذا كما يهتم بالعمل لأخوته ولدينه وإسلامه ، ورفع لواء دعوة الحق ، والانتصار لتفضيلة .

وفي هذا الجانب تحدث الإمام البنا رحمه الله عن مواصفات وعلامات هذا الجندي ، وحدد له الشروط المطلوبة في ركن العمل وهي :

[إصلاح نفسه حتى يكون :

قوى الجسم ، متين الخلق .

متقف الفكر ، قادراً على الكسب .

سليم العقيدة ، صحيح العبادة .

مجاهداً لنفسه ، حريصاً على وقته .

منظماً في شئونه ، نافعاً لغيره .

ثم قال : وذلك واجب كل أخ على حدة (١) .

وهذه بعض مراتب العمل المطلوبة من المسلم الصادق الغيور على دينه ، وقد تم شرحها ، وبيان وسائلها العملية في التطبيق والتنفيذ .

والواجبات التي أشرنا إليها في الشرح والبيان هي واجبات الأخ العامل وهي مأخوذة من رسالة التعاليم نفسها . وأيضاً الوسائل والتطبيقات . كلها من فقه الإمام رضى الله عنه في هذا الموضوع الدقيق والحيوي الهام وهذه الصفات لازمة وضرورية وواجب تحصيلها ، والمجاهدة الدائمة حتى نصل إليها ، وهي شرف لكل أخ مسلم يعمل لدين الله - وهذه هي الصفات :

الصفة الأولى : أن يكون الأخ المسلم العامل للإسلام قوى الجسم

وقد وضع الإمام الوسائل الكفيلة للوصول لهذا الأمر . والمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . جاء في التوجيهات ما يلي :

الواجب الثالث : أن تبادر بالكشف الصحي العام ، وأن تأخذ في علاج ما يكون فيك من أمراض ، وتهتم بأسباب القوة والوقاية الجسمانية ، وتبتعد عن أسباب الضعف الصحي العام .

الواجب الرابع : أن تبتعد عن الإسراف في قهقهة البين والشاي ونحوها من المشروبات المنبهة ، فلا تشربها إلا لضرورة ، وأن تمتنع بتاتا عن التدخين .

الواجب الخامس : أن تعنى بالنظافة في كل شيء في المسكن والملبس والمطعم ومحل العمل ، فقد بنى الدين على النظافة .

الواجب السابع والعشرون : أن تحسن الطهارة ، وأن تظل على وضوء في غالب الأحيان .

الواجب الثالث والثلاثون : أن تتجنب الخمر والمسكر والمفتر ، وكل ما هو من هذا القبيل كل الاجتناب .

(١) رسالة التعاليم ص ٨٠

الواجب الخامس والثلاثون : أن تحارب أماكن اللهو فضلاً عن أن تقربها ، وأن
تبتعد عن مظاهر الترف والترخاوة جميعاً .
الوسائل العملية والتطبيق :

١- الوقاية من الأمراض :

- أ- الكشف العام لمعرفة الحالة الصحية ، وعمل بطاقة صحية للفرد ، ثم عمل
كشف دوري سنوي لمن هم دون الخمسين ، وكل ستة أشهر لمن فوق الخمسين .
- ب- المسارعة بعرض نفسه على الطبيب إذا مرض والالتزام بالعلاج .
- ج- أخذ التطعيمات اللازمة وكذا إعطاؤها للأولاد .
- د- الأخذ بأسباب الوقاية من الأمراض المختلفة كالتهارسيا والأمراض المعدية
وغيرها .

- هـ- عدم الإسراف في استعمال الدواء إلا للضرورة .
- ز- التعرف على الإسعافات الأولية لنفسك ولتعليم غيرك .

٢- اتباع النصائح الإسلامية في الطعام والشراب :

- أ- عدم الإسراف في الطعام بصفة عامة .
- ب- عدم الأكل قبل الجوع أو بين الوجبات ، مع عدم الشبع وعلء المعدة .
- ج- قراءة آداب الطعام والشراب في الكتب التي تحتوي على السنة مثل (زاد
المعاد - وإحياء علوم الدين) ثم الالتزام بها .
- د- الإفطار قبل الخروج ، والعشاء مبكراً .
- هـ- وضع جدول من أطباء الأمراض الباطنية بالماكولات الممنوعة ، والماكولات
المحظورة .
- و- التعود على صيام النافذة .

٣- اتباع النصائح الإسلامية عموماً في الصحة :

أ- عدم الإسراف في القهوة والشاي : بحيث يتم الإقلال من عدد مرات الشرب كل مرة .

ب- استعمال السواك وفرشاة الأسنان ، « لولا أن تشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » .

ج- الحرص على نظافة البدن والياب والملز باستمرار .

د- العودة على ترتيب مكان النوم ونظافة المكان .

هـ- اتباع سنن الفطرة العشرة .

و- تنظيم شهوة الفرج ، الأعزب : يكثر من الصيام .

المتزوج : تراجع كتب السنة في هذا الأمر .

ز- المحافظة على عدم وقوع جوارحه في المعاصي حتى يحفظها الله عليه في كبره .

ح- عدم السهر بعد العشاء إلا لضرورة .

ط- الاستيقاظ مبكراً .

ي- المحافظة على الوضوء في كل حال والنوم على وضوء .

ك- تعود القيلولة ساعة في نهار الصيف .

ل- اتباع الأساليب الصحيحة في الوقاية من الأمراض المختلفة مثل :

(١) تنظيم محاضرات ثقافية صحية لتوعية الطالب صحياً .

(٢) معرفة الطالب بالأمراض المعدية لمحاولة تجنبها أخذاً بالأسباب .

م- عدم الإسراف في النوم .

٤- ممارسة الرياضة البدنية : وهي تختلف باختلاف المستوى .

أ- يجب على الطالب أن تكون له رياضة يجيدها وأقلها المشي أو الجري لمن هم في سن الشباب ولو نصف ساعة أسبوعياً .

ب- الورد الرياضى اليومى ٤ السويدي ١ .

ج- تعلم السباحة وركوب الدراجات العادية ، والدراجات البخارية ، وقيادة السيارات .

د- عدم استخدام السيارة يوم فى الأسبوع لأصحاب السيارات .

هـ- الاشتراك فى الأندية الرياضية وممارسة الرياضة بها .

و- الالتزام بحضور اليوم الرياضى الأسبوعى كله مع الالتزام بموعده على أن يشتمل على تمارين رياضية جيدة وخاصة التمرينات الثابتة منها .

ز- اتباع القواعد الصحية فى الحركة والسكون ١ اعتدال القامة عند المشي والوقوف والجلوس - عدم القراءة والكتابة فى الظلام ٤ .

الصفة الثانية : أن يكون متين الخلق :

والأخلاق الحسنة هى رأس مال المسلم بقول الإمام فى هذا الأمر الخطير فى حياة المسلم كلاماً كله شفاء للنفس وراحة للقلب ، ورفعاً لشأن المؤمن حين يتجلى به :

الواجب السادس : أن تكون صادق الكلمة فلا تكذب أبداً .

الواجب السابع : أن تكون وفياً بالعهد والكلمة والوعد ، فلا تخلف مهما كانت الظروف .

الواجب الثامن : أن تكون شجاعاً عظيم الاحتمال ، وأفضل الشجاعة الصراحة فى الحق وكتمان السر والاعتراف بالخطأ والإنصاف من النفس وملئها عند الغضب .

الواجب التاسع : أن تكون وقوراً تؤثر أجد دائماً ولا تمنعك الوقار من المزاح الصادق والضحك فى تبسم .

الواجب العاشر : أن تكون شديد الحياء دقيق الشعور ، عظيم التأثير بالحسن والقيح : تسر للأول وتتألم للثاني وأن تكون متواضعاً في غير ذلة ولا خضوع ولا ملق ، وأن تطلب أقل من مرتبتك لتصل إليها .

الواجب الحادي عشر : أن تكون عادلاً صحيح الحكم في جميع الأحوال ، ولا ينسبك الغضب الحسنات ، ولا تغضي عين الرضا عن السيئات ، ولا تحملك الخصومة على تسيان الجميل ، وتقول الحق وتؤثر كان على نفسك أو أقرب الناس إليك وإن كان مرأ .

الواجب الثالث عشر : أن تكون رحيماً القلب كريماً سمحاً تغفر وتصفح وتلين وتحلم وترفق بالإنسان والحيوان ، جميل المعاملة حسن السلوك مع الناس جميعاً ، محافظاً على الآداب الإسلامية الاجتماعية ، فترحم الصغير وتوقر الكبير وتفسح في المجلس ولا تتجسس ولا تغتاب ولا تصخب وتستأذن في الدخول والانصراف .

الواجب السابع عشر : أن تحرص كل الحرص على أداء مهنتك من حيث الإجابة والإتقان وعدم الغش وضبط الموعد .

الواجب الثامن عشر : أن تكون حسن التقاضي لحقك وأن تؤدي حقوق الناس كاملة غير متفوضة بدون طلب ، ولا تماطل أبداً .

الواجب الثاني والثلاثون : أن تجاهد نفسك جهاداً عنيفاً حتى يسلس قيادها لك ، وأن تغض طرفك وتضبط عاطفتك وتقاوم نوازغ الغريزة في نفسك ، وتسمو بها دائماً إلى الحلال الطيب ، وتحول بينها وبين الحرام من ذلك أياً كان .

الواجب الرابع والثلاثون : أن تبعد عن أقران السوء وأصدقاء الفساد وأماكن المعصية والإثم .

الوصية السابعة (من الوصايا العشر) : لا تكثر الضحك فإن القلب الموصول بالله ساكن وقور .

البند الثاني من هذه السبيلي : أعتقد أن الاستقامة والفضيلة والعلم من أركان الإسلام .

وأتعهد : أن أكون مستقيماً أؤدي العبادات وأبتعد عن المنكرات ، فأضلاً أتخلى
بالأخلاق الحسنة وأتخلى عن الأخلاق السيئة ، وأتحرى العادات الإسلامية ما
استطعت ، وأؤثر المحبة والنود على التحاكم والتقاضى ، فلا أجا إلى القضاء إلا
مضطراً ، واعتز بشعائر الإسلام ولغته ، وأعمل على بث العلوم والمعارف النافعة
في طبقات الأمة .

الوسائل العملية والتطبيق :

هذه الأخلاق السابق ذكرها في الواجبات وغيرها هي أغلب المطلوب ، وعلى
العموم فأخلاق الرسول الكريم ﷺ لابد لنا من التأسي بها والتخلق بها بأقصى
ما نستطيع ، وعلى العموم يجب دراسة أخلاق النبي ﷺ والتخلق بخلق معين منها
كل شهر للوصول إلى المطلوب ، والأخلاق لا تؤخذ على علاتها فقط ولكن
يجب الدخول في تفصيلاتها حتى تكون قد أتممت الخلق على الوجه المطلوب
فمثلاً :

خلق الصدق : وهو من أول الأخلاق الواجب بثها في نفس الأخ وتوطين
النفس عليها .

فمن الصدق ألا يكذب أبداً .

أن يتجنب الفكاهات الكاذبة .

ألا يستخدم التورية مع زملائه أو أستاذه .

أن يتحرى الصدق : مع الأطفال - في المواعيد - في الجلسات واللقاءات -

وعموماً في دقيق الأمور وكبيرها .

الصدق في العمل : وهو إنقائه .

الصدق مع الله في الإيمان به والإخلاص له .

الصدق في التجارة وكافة المهن : ووضع نواتج وآداب لكل مهنة ووضع ميثاق

شرف وأخلاقيات كل مهنة . ابتعد عن أساليب المبالغة ، والحرص على الدقة في

التقل . الصدق بعدم المدح .

خلق الصبر : مثل الصبر على أداء العبادات على أكمل وجه مستطاع ظاهراً وباطناً .

فالصبر في الصلاة مثلاً : دوام المحافظة عليها - والصلاة في جماعة - والصلاة في خشوع ، وعموماً الإحسان في الصلاة ، وهكذا في كل عبادة من العبادات .

الصبر في البعد عن المعاصي والشبهات : وذلك بالإحساس بالتعالى على الذنب وهو أعلاها ، أيضاً بالبعد عن مواطن الشبهات مثل مجالس السوء وأماكن اللهو وأصدقاء السوء وأماكن اللغو التي لا يذكر فيها الله . والمجالس المختلطة .

الصبر عند وقوع المصيبة : فلا يتأفف ولا يضجر - ويتذكر ثواب الصابرين - ويكثر من الذكر .

ومن الأساليب العملية للتدريب على هذا الخلق أيضاً :

- ١- يتم التخلق عن طريق إيجاد المحرض على الالتزام بالخلق المطلوب :
 - أ- بيان أبعاده ومعانيه .
 - ب- الترغيب فيه ببيان فضله .
 - ج- الثناء على فاعله .
 - د- جعله محور الاهتمام لفترة التكليف به والمداومة عليه .
 - هـ- إيجاد مواقف عملية تبرزه وتحثه وجوده وتؤصله والتكليف بأحد هذه التكاليف شهرياً .

٢- الالتزام بالصدق والأمانة في كل صغيرة وكبيرة والدقة في الكلام والتبين .

٣- حفظ اللسان عن الفحش والبذاءة والسب .

٤- الكف عن السخرية والاستهزاء واللمز والغيبة ومحاولة رد غيبة المسلم .

- ٥- الالتزام بالمصافحة ومصافحة القلوب والتبسم في وجه أخيك صدقة .
- ٦- بر الوالدين ومحاولة تقديم هدية لهما أو للوالدة مهما تكن بسيطة ، والتبسم الدائم في وجهيهما وتقبيل الرأس واليد وطلب دعائهما والمشاركة في نظافة البيت العامة مرة شهرياً وتقديم تكليفاتهما على غيرهما .
- ٧- عدم الغضب .
- ٨- الالتزام الدقيق بالوعود والاستفادة بالوقت لأقصى درجة .
- ٩- كره الظلم وعدم السكوت عليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- ١٠- البعد عن المراء والجدل وإن كان محقاً والبعد عن الخصومة وتبرير الخطأ .
- ١١- الكرم .
- ١٢- الصبر : ويتم التدريب عليه برحلة صيد أو الصيام ثم الإفطار على جرعة ماء فقط أو بعض التمرات إن وجدت ثم الأكل بعد العشاء .
- ١٣- مزاولة الآداب الإسلامية (المجالس - الطعام - النوم - النصيحة - الكلام) يختار لكل أسبوع أحد هذه البنود .
- ١٤- المشاركة أول النهار والحاسبة قبل النوم والمجاهدة فيما بينهما .
- ١٥- ذم الفضولية - وادعاء معرفة كل شيء (أبو العريف) وترك الفضول كله وصولاً لمعنى الزهد الصحيح .
- ١٦- التزام الصمت أكبر وقت ممكن والتمزام الوقار وأن يجعل صمته فكراً لا يبدأ أحداً بحديث فقط خلال هذه الفترة التدريبية ومدتها شهر .
- ١٧- الصوم بكثرة - التدريب المستمر على قيام الليل - التدريب على إطالة الصلاة . . . إلخ .

الصفة الثالثة : أن تكون مثقف الفكر :

ودعوتنا دعوة علم وعمل ، فلا بد من محور أمية القلب والعقل ولا بد من الحرص الشديد على ذلك يقول الإمام في توجيهنا لهذا الجانب الأساسي في حياتنا ما يجعلنا نفتح هذه النوافذ ، نواقد العلم والقراءة والثقافة .

الواجب الرابع عشر : أن نجيد القراءة والكتابة ، وأن نكثر من المطالعة في رسائل الإخوان وجرائدهم ومجلاتهم ونحوها ، وأن تكون لنفسك مكتبة خاصة مهما كانت صغيرة ، وأن تصبح في علمك ومهنتك إن كنت من أهل الاختصاص ، وأن تلم بالشئون الإسلامية العامة إماماً يمكنك من تصورها والحكم عليها حكماً يتفق مع مقتضيات الفكرة .

الوسائل العملية والتطبيق :

١- الثقافة الشرعية العامة :

- أ- حسب كل مستوى .
- ب- الاهتمام بالجوانب الثقافية والمحافظة عليها .
- ج- عمل اختبارات في هذا المنهج .
- د- مراجعة المنهج كل فترة زمنية من قبل الأساتذة لمواءمة البرنامج .

٢- الثقافة الشرعية الخاصة :

العمل على إيجاد متخصصين في العلوم الشرعية ، مثال : معاهد الدعوة والمدارس العلمية والاهتمام بالأمر وطالبه .

٣- الثقافة الإخوانية :

- أ- الاهتمام برسائل الإخوان وكتبهم .
- ب- الاهتمام بشرائط الفيديو .
- ج- تكوين مكتبة عامة للمكتب الإسلامية لتثقيف الطلاب .

الحرص على اقتناء مكتبة خاصة لكل فرد من كتب وشرائط ، والتدريب على كيفية معرفة المرجع الصحيح لأي موضوع .

هـ - الاحتكاك بالإخوان القدامى .

٤ - الثقافة العامة :

أ - معرفة أخبار العالم بصفة عامة والإسلامي بصفة خاصة وذلك عن طريق الحرص على سماع نشرات الأخبار وقراءة الجرائد والمجلات .

ب - معرفة معلومات أساسية عن المهن المختلفة ثم التعلم والتخصص بأعلى الدرجات العلمية في مهنته .

ج - عمل أبحاث ذات نوعية مختلفة - معرفة بجغرافية العالم الإسلامي - معرفة بالأحزاب السياسية - معرفة بالمذاهب السياسية - معرفة بالتيارات الفكرية والسياسية الموجودة على الساحة .

د - عمل محاضرات ثقافية ومحاضرات علمية وشرائط فيديو ونشرات متنوعة التثقيف بالمهن المختلفة كالطب والزراعة والهندسة والتجارة والحداثة والشبابة وغيرها .

وبتفصيل أدق :

١ - علمياً :

١ - توضيح أهمية التفوق للطلبة بالنسبة لأهميته للدعوة ، وللمصلحة الشخصية ولحسب البيت .

٢ - تكليف الطالب بالذاكرة لمدة لا تقل عن ٤ ساعات يومياً .

٣ - إنشاء فصول التقوية على مستوى علمي وتنظيمي جيد .

٤ - عمل جدول شهري ومتابعة تنفيذه وإجراء امتحان شهري لقياس المستوى .

٥ - عمل مراجعة شهرية للمتاح من المواد .

٦- عمل مسابقات علمية فى المناهج الدراسية وتوزيع جوائز - مجموعات
تفوية - معسكرات المذاكرة قبل امتحانات نصف العام ، وآخره - حفل المتفوقين .

٧- طلب الاطلاع على الدرجات الشهرية .

٨- إحصاء مدرسين للعناية بالمتفوقين والضعفاء جداً .

ب- سياسياً :

١- قراءة جريدة يومية وسماع نشرة يومية محلية ، بالإضافة إلى نشرة يومية
أجنبية (لندن - صوت أمريكا - إسرائيل) مع عمل تحليل لأهم خبر فيها .

٢- قراءة صحيفة معارضة أسبوعياً بالإضافة إلى مجلة أسبوعية أو شهرية غير
إسلامية ، وتحليل لأحد مقالاتها .

٣- عمل نشرة أخبار للقاء الأسبوعى .

٤- دراسة مقارنة لتناول الصحف لأحد الموضوعات الهامة .

٥- عمل تحليل لمقالة فى أحد الصحف اليومية والرد على كاتبها بعد عرضه
فى الحلقة .

٦- قراءة كتاب : أساليب الغزو الفكرى .

ج- ثقافياً :

١- تحضير كلمة افتتاحية للجلسة .

٢- تحضير أبحاث علمية (ويراعى فيها أوقات الطلاب) .

٣- معرفة الموقع الجغرافى للعالم الإسلامى ، خاصة البلاد الإسلامية .

٤- قراءة كتاب فى عالم النبات ، وعن جسم الإنسان ، وآخر فى الفلك .

٥- التكليف بزيارة الأجنحة التالية فى قصر الثقافة (العلمى - التاريخى -

الجغرافى) واختيار كتاب من كل جناح وتلخيصه .

٦- عمل وقراءة بحوث فى المجالات التالية :

أ- التيارات الفكرية الموجودة بالساحة .

ب- الحرية وحقوق الإنسان في الإسلام وغيره من المذاهب .

ج- الأقليات المسلمة .

د- الشبهات التي تواجه الإسلام والتردد الموضوعية عليها .

٧- التكليف بتنظيم نصف ساعة قراءة حرة يومياً .

٨- القراءة لأحد الأحاديث ثلاث مرات يومياً (الأربعون النووية - رياض

الصالحين) .

٩- التعرض للأصول العشرين لفهم بصورة أو بأخرى .

١٠- الإلمام الجيد بالأفكار المناهضة للإسلام محلياً وعالمياً .

١١- الإلمام الجيد بالهيئات والأحزاب والتجمعات المناهضة للإسلام محلياً

وعالمياً .

١٢- متابعة الإصدارات التي تتصل بالإسلام والدعوة .

الصفة الرابعة : أن تكون قادراً على الكسب :

والإسلام نهانا عن العجز والكسل ، وحرم القعود والتراخي ، وكان الصحابة رضوان الله عليهم إذا نودي للصلاة أسرعوا إلى بيوت الله ، فإذا أدوا الفريضة وقفوا على أبواب المساجد وقالوا : اللهم إنا قد أحبنا دعوتك وأديننا فريضتك وانتشرنا كما أمرتنا فارزقنا وأنت خير الرازقين .

الواجب الخامس عشر : أن تزاوج عملاً اقتصادياً مهما كنت غنياً ، وأن تقدم على العمل الحر مهما كان ضئيلاً ، وأن ترح بنفسك فيه مهما كانت مواهبك العلمية .

الواجب السادس عشر : ألا تفرص على الوظيفة الحكومية وأن تعتبرها أضيق

أبواب الرزق ولا ترفضها إذا أتيتك لك ، ولا تتخل عنها إلا إن تعارضت
تعارضاً تاماً مع واجبات الدعوة .

الواجب السابع عشر : أن تحرص كل الحرص على أداء مهنتك من حيث
الإجادة والإتقان وعدم الغش وضبط الموعد .

الواجب الحادي والعشرون : أن تخدم الثروة الإسلامية العامة بتشجيع
المصنوعات والمنشآت الاقتصادية الإسلامية ، وأن تحرص على القرش فلا يقع في
يد غير إسلامية مهما كانت الأحوال ، ولا تلبس ولا تأكل إلا من صنع وطنك
الإسلامي .

البند الثالث في هذه سبيلي : أعتقد أن المسلم مطالب بالعمل والتكسب ، وأن
في ماله الذي يكسبه حقاً مفروضاً للسائل والمحروم .

وأنعهد : بأن أعمل لكسب عيشي وأقتصد لمستقبلي وأؤدي زكاة مالي
وأخصص جزءاً من إيرادي لأعمال البر والخير وأشجع كل مشروع اقتصادي
إسلامي نافع وأقدم منتجات بلادي وبني وطني ، وألا أتعامل بالربا في شأن من
شأني ولا أتورط في الكماليات فوق طاقتي .

الوسائل العملية والتطبيق : في أربعة زوايا : فصلاً

١- بادئ ذي بدء نذكر أن هذا المقوم يرتبط ارتباطاً وثيقاً مع مقوم قوى الجسم
فالجسم الصحيح القوى هو الجسم الذي يستطيع أن يقدر على الكسب .

٢- أيضاً نذكر أنه لا بد من التوازن بين هذا المقوم وبين العمل الدعوى لله عز
وجل .

٣- نذكر أنه لا بد من التخصص في المهن والحرف المختلفة .

٤- كذلك مطلوب الإتقان في التخصص وهو الصدق وعدم الغش .

٥- مطلوب أيضاً الوصول إلى أعلى المراتب العلمية في التخصصات المختلفة .

٦- يكون لكل طالب حرفة إلى جانب مهنته .

٧- الكسب من حلال والإنفاق في حلال .

٨- أن تخرج بنفسك في العمل الخاص ، وعمل المشروعات الخاصة الصغيرة ولو بطريقة الأسهم بالمشاركة مع الإخوة فقط .

٩- أن تكون حسن التقاضى لحقك ، وأن تؤدي حقوق الناس كاملة غير منقوصة بدون طلب ولا تماطل أبداً .

١٠- خدمة الثروة الإسلامية العامة .

١١- التكثير في خريجي الجامعات لحل مشكلة البطالة لديهم .

١٢- مطلوب أيضاً تربية الطالب على عدم التعالي على العمل .

١٣- عمل دورات في تعلم الحرف المختلفة مثل : (السباكة - الكهرباء - النجارة - الخياكة) على أن يتم تنظيمها في فترة الإجازة .

١٤- التدريب على الأعمال البسيطة مثل تركيب مصباح كهربائي أو لمبة نيون أو تصليح صنبور .

١٥- التدريب على الإسعافات الأولية عند أحد الأطباء أو عن طريق دورات يتم تنظيمها في فترة الإجازة .

الصفة الخامسة : أن تكون سليم العقيدة :

والعقيدة : هي أساس هذا البناء كله ومنها ينبثق كل شيء . فإذا صحت استقامت حياة الأخ المسلم . ولقد وضع الإمام لها أصول الفهم ثم وضح وسائل التطبيق ، ولا بد أن نعتنى :

بفهم الأصول العشرين ونخص منها :

الأصل الأول : الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة ، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة ، وهو ثقافة وقانون أو علم

وقضاء ، وهو مادة وثروة أو كسب وغنى ، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة
كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء .

الأصل الثاني : والقرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعرف
أحكام الإسلام ، ويفهم القرآن طبقاً لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا
تعسف ويرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات .

الأصل الثالث : وثلاثية الإيمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة
يقذفها الله في قلب من يشاء من عباده ، ولكن الإلهام والخواطر والكشف
والروى ليست من أدلة الأحكام الشرعية ولا تعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها
بأحكام الدين ونصوصه

الأصل الرابع : والتمايم والرقى والنودع والرميل والمعرفة والكهانة وإدعاء معرفة
الغيب وكل ما كان من هذا الباب منكر لحج محاربه ، إلا ما كان آية من قرآن أو
رقية مأثورة .

الأصل الخامس : وراى الإمام ونائبه فيما لا نص فيه ، وفيما يحتفل وجوهاً
عدة ، وفي المصالح المرسلة معمول به ما لم يصطدم بقاعدة شرعية ، وقد يتغير
بحسب الظروف والعرف والعادات ، والأصل في العبادات التعميد دون الالتفات
إلى المعانى ، وفي العاديات الالتفات إلى الأسرار والحكم والمقاصد .

الأصل السادس : وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم عليه السلام ، وكل ما
جاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقاً للكتاب والسنة قبلناه ، وإلا فكتاب الله
وسنة رسوله أولى بالاتباع ، ولكننا لا نعرض للأشخاص فيما اختلف فيه بظن
أو تجريح ونكلهم إلى نياتهم وقد افضوا إلى ما قدموا .

الأصل الثامن : واخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سبباً للتفرق في الدين ولا
يؤدى إلى خصومة ولا بغضاء ولكل مجتهد أجره ، ولا مانع من التحقيق العلمى
التزيه في مسائل الخلاف في ظل الحب في الله والتعاون على الوصول إلى الحقيقة
من غير أن يجر ذلك إلى المراء المذموم والتعصب .

الأصل العاشر : معرفة الله تبارك وتعالى وتوحيده وتنزيهه أسس عقائد الإسلام ، وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة وما يتعلق بذلك من التشابه ، يؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل ولا تعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء ويسعنا ما وسع رسول الله وأصحابه عليهم السلام والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴿ ١ ﴾ .

الأصل الحادي عشر : وكل بدعة في دين الله لا أصل لها استحسنها الناس بأهوائهم ، سواء بالزيادة فيه أو بالتقص منه - ضلالة تحجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي إلى ما هو شر منها .

الأصل الثاني عشر : والبدعة الإضافية والتركيبية ، والالتزام في العبادات المطلقة خلاف فقهي لكل فيه رأي ولا بأس بتمحيص الحقيقة بالدليل والبرهان .

الأصل الرابع عشر : وزيارة القبور أي كانت سنة مشروعة بالكيفية الماثورة ولكن الاستعانة بالمقبورين أي كانوا ونداءهم لذلك وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد والنذر لهم وتشديد القبور وسترها وإضاءتها والتمسح بها والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تحجب محاربتها ولا تناول لهذه الأعمال سدا للذرائع .

الأصل الخامس عشر : والدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعى في كيفية الدعاء وليس من مسائل العقيدة .

الأصل السابع عشر : والعقيدة أساس العمل ، وعمل القلب أهم من عمل الجارحة ، وتحصيل الكمال في كليهما مطلوب شرعاً ، وإن اختلفت مرتبتا الطلب .

الأصل العشرون : لا نكفر مسلماً أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاها وادى الفرائض - برأى أو معصية إلا إن أقر بكلمة الكفر أو أنكر معلوماً من الدين

(١) سورة آل عمران : الآية ٧

بالضرورة ، أو كذب صريح القرآن أو فسرهُ على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر .
أعتقد وأنعهد : أعتقد : أن الأمر كله لله ، وأن سيدنا محمد ﷺ خاتم رسوله للناس كافة ، وأن الجزاء حق ، وأن القرآن كتاب الله ، وأن الإسلام قانون شامل لنظام الدنيا والآخرة .

وأنعهد : بأن أرتب على نفسي حزباً من القرآن الكريم ، وأن أتمسك بالسنة المطهرة وأن أدرس السيرة النبوية وتاريخ الصحابة الكرام .

الذهاب إلى ترجيح مذهب السلف كما جاء في رسالة العقائد ، ونحن نعتقد أن رأي السلف من السكوت وتقويض علم هذه المعاني إلى الله تبارك وتعالى أسلم وأولى بالاتباع حسماً مادة التأويل والتعطيل ، فإن كنت ممن أسعده الله بطمأنينة الإيمان وأثلج صدره ببرد اليقين فلا تعدل به بديلاً ، ونعتقد إلى جانب هذا أن تأويلات الخلف لا توجب الحكم عليهم بكفر ولا فسوق ولا تستدعي هذا النزاع الطويل بينهم وبين غيرهم ، قديماً وحديثاً وصدر الإسلام أوسع من هذا كله .

جعل وصف السلفية من خصائص الدعوة في رسالة المؤثر الخامس .

الوسائل العملية والتطبيق :

١- إعادة دراسة العقيدة بصورة أوسع وأوضح .

٢- غرس الإيمان في القلوب .

٣- أن يراجع الأخ نفسه دائماً :

أ- هل الله ورسوله أحب إليّ مما سواهما ؟

ب- هل الله ورسوله أحب إليّ من نفسي ؟

ج- هل يخاف أحداً غير الله ؟

د- هل يرجو أحداً غير الله ؟

- هـ- هل استيقن قلبه أن الرزق والأجل بيد الله وحده .
- و- ألا يحلف بغير الله .
- ز- ولا ينذر بغير الله .
- ٤- أن يراجع نيته في كل الأمور حتى يكون عمله خالصاً لله وحده .
- ٥- أن يكثر من الذكر والدعاء .
- ٦- أن يسأل الله الإخلاص دائماً .
- ٧- أن يدرس كتاباً من كتب العقيدة المبسطة ، وأن يوقن أن العقيدة الحقيقية هي في كتاب الله تعالى وسيرة رسوله ﷺ وصحبه الكرام ، أو يقرأ كتاب العقيدة الإسلامية في المرأة ، أو توحيد الخالق ، أو أحد كتب الإعجاز العلمي في القرآن .
- ٨- أن يراجع دائماً أركان الإيمان الستة .
- ٩- زيارة الحقول أو الجبال أو الأنهار أو البحار والتفكير في عجائب صنع الله وخاصة ساعة الغروب وتلاوة القرآن والتأمل والتدبير .
- ١٠- مشاهدة فيديو فيلم (سر الحياة أو خلق الجنين أو برنامج العلم والإيمان) .
- ١١- سماع شريط هادم المذات أو عذاب القبر أو وفاة النبي ﷺ .
- ١٢- اتباع جنازة حتى الدفن ودخول القبر قبل الميت إن أمكن أو أي قبر آخر مفتوح والعودة في صمت وتفكير .
- ١٣- الالتزام بأدعية المناسبات والأذكار مع التدبر الكامل لمعانيها ويستعان بكتاب فن الذكر والدعاء للشيخ محمد الغزالي ويفضل تقسيمها على أربعة أسابيع .
- ١٤- يجلس الأخ وقت المحاسبة مع نفسه على وضوء ومتوجهاً إلى القبلة .
- ١٥- زيارة المقابر مرة جماعية ومرة فرادي مع التعريف بأدائها والهدف منها .

- ١٦- الرحلات القمرية والتدبر في خلق الله في الليل مع القمر والنجوم وغيرها مع الاستماع للآيات الواردة عنها بإضافة إلى كلمة عن مواقع النجوم .
- ١٧- صلاة الحاجة والتعود عليها في الأمور جميعاً .
- ١٨- صلاة الاستخارة والتعود عليها في الأمور جميعاً أيضاً .
- ١٩- الدعاء بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى واستحضار معناها * مع اختيار خمسة أسماء كل يوم حفظ وتفكر ومعرفة معناها والدعاء بها والذكر بها * .
- ٢٠- ذكر واستحضار مشاهد الجنة والنار من القرآن مع تلاوة الآيات بصوت خاشع .
- ٢١- حصر صفات المؤمنين في القرآن الكريم والسنة المطهرة وعرضها على القلب صفة صفة مع طول الصمت وإعمال الفكر والتخلق بها ثم مداورة حول هذه الصفات في الحلقة التالية مع التواصي بعمل واحد منها لمدة أسبوع .
- ٢٢- حصر صفات من يحبه الله عز وجل في القرآن الكريم والسنة المطهرة وعرضها على القلب صفة صفة مع طول الصمت وإعمال الفكر ومحاولة التحلى بها مع التواصي بعمل واحد منها لمدة أسبوع * التوابين - المتطهرين - المحسنين * .
- ٢٣- المكث ساعة الغروب في مكان خلوى لقراءة القرآن والتأمل ثم قراءة ورد الرابطة والدعاء وأذكار المساء .
- ٢٤- تحضير دعاء في الجلسة لمدة خمس دقائق مع التوجيه بتحري أوقات الإجابة على مدار اليوم .
- ٢٥- تخيله لما بعد الموت ، من الحساب وانقطاع العمل مع قيامه وعزمه على استغلال ما تبقى من عمره في العمل الصالح .
- ٢٦- كتابة وصيته وحفظها تحت الرسادة كل ليلة .
- ٢٧- زيارة أحد أقسام الكسور أو الحروق أو الرمد بإحدى المستشفيات والدعاء لهم .

٢٨- المشاركة في تغسيل أحد الموتى وتكفينه .

٢٩- استشعار معنى التوكل على الله أثناء الخروج من المنزل صباحاً للذهاب

للعمل مع ذكر ودعاء الخروج من المنزل .

الصفة السادسة : صحيح العبادة :

العبادة في الإسلام هي المحطات التي يتزود منها الإنسان ساعة بعد ساعة دون أن ينقطع عن مشاغله إلا بقدر . والكون كله محراب للمؤمن : أينما توجه بأى عمل يقصد به وجه الله فهو عبادة وقد اهتم الإمام بهذا الجانب ووضع الضوابط وطرق التنفيذ فقال :

الواجب الأول : أن يكون لك ورد يومي من كتاب الله لا يقل عن جزء ، واجتهد ألا تختم في أكثر من شهر ولا في أقل من ثلاثة أيام .

الواجب الثاني : أن تحسن تلاوة القرآن والاستماع إليه والتدبر في معانيه ، وأن تدرس السيرة المطهرة وتاريخ السلف بقدر ما يتسع له وقتك وأقل ما يكفى في ذلك كتاب « حماة الإسلام » ، وأن تكثر من القراءة في أحاديث رسول الله ﷺ وأن تحفظ أربعين حديثاً ولتكن الأربعين النووية ، وأن تدرس رسالة في أصول العقائد ورسالة في فروع الفقه .

الواجب السادس والعشرون : أن تدبم مراقبة الله تبارك وتعالى وتذكر الآخرة وتستعد لها ، وتقطع مراحل السلوك إلى رضوان الله بهمة وعزيمة ، وتتقرب إليه سبحانه بنوافل العبادة ومن ذلك صلاة الليل وصيام ثلاثة أيام من كل شهر على الأقل ، والإكثار من الذكر القلبي واللساني وتحري الدعاء المذكور على كل الأحوال .

الواجب السابع والعشرون : أن تحسن الطهارة وأن تظل على وضوء في غالب الأحيان .

الواجب الثامن والعشرون : أن تحسن الصلاة وتواظب على أدائها في أوقاتها وتحرص على الجماعة والمسجد ما أمكن ذلك .

الواجب التاسع والعشرون : أن تصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً وتعمل على ذلك إن لم تكن مستطيعاً الآن .

الواجب الثلاثون : أن تستصحب دائماً نية الجهاد وحج الشهادة ، وأن تستعد لذلك ما وسعك الاستعداد .

الواجب الحادي والثلاثون : أن تجدد التوبة والاستغفار دائماً وأن تتحرر عن صفائر الآثام فضلاً عن كبائرها ، وأن تجعل لنفسك ساعة قبل النوم لحاسبها فيها على ما عملت من خير أو شر ، وأن تحرص على الوقت فهو الحياة فلا تصرف جزءاً منه في غير فائدة ، وأن تتورع عن الشبهات حتى لا تقع في الحرام .

الواجب الثاني والثلاثون : أن تجاهد نفسك جهاداً عنيفاً حتى يسلس قيادها لك ، وأن تغض طرفك وتضبط عاطفتك وتقاوم نوازغ الغريزة في نفسك وتسمو بها دائماً إلى الخلال الطيب ، وتحول بينها وبين الحرام من ذلك أيا كان .

الوصية الأولى من الوصايا العشر : فم إلى الصلاة متى سمعت النداء مهما تكن الظروف .

الأصل الثالث من الأصول العشرين : « ولالإيمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفها الله في قلب من يشاء من عباده » .

من خصائص الدعوة أنها سلفية : لأنها تريد العودة إلى معين الإسلام الصافي من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

وطريقة سنية : لتحرى السنة المطهرة في كل شيء وخاصة في العقائد والعبادات .

الوسائل العملية والتطبيق :

١ - استحضار النية مع كل عمل والتذكير الدائم بهذا الأمر .

- ٢- غرس الإيمان في القلوب بالتطبيق العملي مع التركيز على العبادات الخاصة مثل الحج والزكاة .
- ٣- محاولة إدراك أسرار العبادات والاهتمام بالباطن كالأهتمام بالظاهر .
- ٤- الحرص على أداء السنن في الوضوء والطهارة والصلاة والصيام والصدقة وغير ذلك .
- ٥- دراسة المجند الأول من فقه السنة على الأقل .
- ٦- القراءة في كتب التزكية .
- ٧- تذكر الموت يومياً والعمل لهذا اليوم .
- ٨- ورد الحاسبة يومياً .
- ٩- صلاة جميع الأوقات في أول الوقت .
- ١٠- الالتزام بصلاة الجماعة في المسجد خصوصاً في صلاة الفجر والعشاء .
- ١١- الالتزام بالتسبيح والأذكار الواردة عقب كل صلاة .
- ١٢- الالتزام بالمأثورات صباحاً ومساءً .
- ١٣- الالتزام بالورد القرآني اليومي ٥ جزء .
- ١٤- الالتزام بصلاة النوتر والسنن الرواتب لجميع الصلوات والضحي .
- ١٥- الالتزام بصيام النوافل (الاثنين والخميس) أو على الأقل ثلاثة أيام في الشهر ومحاولة التجمع على الإفطار يومي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر .
- ١٦- استغفار مائة مرة - صلاة على النبي ﷺ مائة مرة - تكبير مائة مرة - الحمد لله مائة مرة .
- ١٧- تحديد ذكر معين أسبوعياً ودوام النطق به مثل " لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين " .

١٨- صلاة الفجر في المسجد والانتظار في ذكر الله تعالى حتى الشروق وصلاة ركعتي الضحى والدعاء بعدهما مرة في الأسبوع .

١٩- تحرى الحلال دائماً واجتناب الحرام : يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة .

٢٠- الإحسان في الصلاة بالخشوع وتدبر كل كلمة واستحضار رؤية الرب تبارك وتعالى واستحضار الجنة والنار .

٢١- الالتزام بجزء من الدخل لصدقة السر بالإضافة إلى جزء شهرياً في صندوق يسمى الجهاد وليكن ٥٪ يرصد لمساعدة المسلمين شهرياً .

٢٢- الالتزام بقيام الليل مرة في الأسبوع قبل الفجر فرادى في يوم يتفق عليه .

٢٣- نظافة دورات المياه بالمسجد والمشاركة في نظافة المسجد الأسبوعية .

٢٤- عمل برنامج مكثف ليوم الجمعة (المكث بعد صلاة الفجر حتى الشروق الوظيفية الكبرى - صلاة الضحى - سورة الكهف - الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ - الغسل والتطيب - التكير للجمعة - تحرى ساعة الإجابة) .

٢٥- من الضروري التعريف بفضائل كل عمل قبل التكليف به .

٢٦- التركيز على أن تكليف الشهر لا يُلغى التكليف التي قبله .

الصفة السابعة : أن يكون مجاهداً لنفسه :

والجهاد في سبيل الله يشمل حياة المؤمن . وأول مراتب الجهاد جهاد النفس ، فمن قدر عليها كان على غيرها أقدر ولذلك حث الإمام على هذه الفريضة

الماضية إلى يوم القيامة فقال : الواجب الثامن : أن تكون شجاعاً عظيم الاحتمال وأفضل الشجاعة الصراحة

في الحق وكنمان السر ، والاعتراف بالخطأ والإنصاف من النفس وملكها عند الغضب .

الواجب الثاني والثلاثون : أن تجاهد نفسك جهاداً عنيفاً حتى يسلس قيادها لك ، وأن تغض طرفك وتضبط عاطفتك وتقاوم نوازغ الغريزة في نفسك وتسمو بها دائماً إلى الحلال الطيب وتحول بينها وبين الحرام من ذلك أياً كان .

الأصل الثالث من الأصول العشرين : « والإيمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفها الله في قلب من يشاء من عباده ، ولكن الإلهام والخواطر والكشف والرؤى ليست من أدلة الأحكام الشرعية ولا تعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه » .

من رسالة إلى أي شيء ندعو الناس - ونحت عنوان (من أين نبدا ؟) .

« إن تكوين الأمم وتربية الشعوب وتحقيق الآمال ومناصرة المبادئ تحتاج من الأمة التي تحاول هذا أو من الفئة التي تدعو إليه على الأقل إلى قوة نفسية عظيمة تتمثل في عدة أمور :

إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف ، ووفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولا غدر ، وتضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل ، ومعرفة بالمبدأ وإيمان به وتقدير له يعصم من الخطأ فيه والانحراف عنه والمساومة عليه والخديعة بغيره .

على هذه الأركان الأولية التي هي من خصوص النفوس وحدها وعلى هذه القوة الروحية الهائلة تبنى المبادئ وتربى الأمم الناهضة وتتكون الشعوب الفتية وتتجدد الحياة فيمن حرموا الحياة زمناً طويلاً .

وكل شعب فقد هذه الصفات الأربع أو على الأقل فقدتها قواده ودعاة الإصلاح فيه فهو شعب عابت مسكين لا يصل إلى خير ولا يحقق أملاً وحسبه أن يعيش في جو من الأحلام والظنون والأوهام : « إن الظن لا يغنى من الحق شيئاً » .

هذا هو قانون الله تبارك وتعالى وستته في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

وهو أيضاً القانون الذي عبر عنه النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أبو داود :

أيوشك أن تدعى الأمم عليكم كما تدعى الأكلة إلى قصعتها : فقال قائل أو من
قلعة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن
الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن ، فقال قائل
وما الوهن يا رسول الله ؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت .

أولست تراه ^{يحيى} قد بين أن سبب ضعف الأمم وذلة الشعوب وهن نفوسها
وضعف قلوبها وخلاء أفئدتها من الأخلاق الفاضلة وصفات الرجولة الصحيحة
وإن كثرت عددها وزادت خيراتها وثمراتها .

وإن الأمة إذا رتعت في التعميم وأنست بالتزلف وغرقت في أعراض المادة
وافتننت بزهرة الحياة الدنيا ونسيت احتمال الشدائد ومقارعة الخطوب والمجاهدة
في سبيل الحق ، فقل على عزتها وآمالها العفاء .
تزكية النفس مفتاح الفلاح :

﴿ قد أفلح من زكاهها وقد خاب من دساها ﴾ .

﴿ قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى ﴾ .

﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾ .

تعاطى مراتب التزكية الأربع :

أ- المشاركة - على الواجبات اليومية في أول النهار .

ب- المراقبة - للتنفيذ أثناء النهار .

ج- المحاسبة - على التقصير آخر النهار .

د- المعاتبة والمعاقبة - من جنس تقصيرها .

يقول الشاعر :

وخالف النفس والشيطان وأعصهما وإن هما محضاك النصيح فاتهم نم وأنت

يقظان وقم وأنت وسنان وكل وأنت شبعان وكف وأنت جوعان .

الوسائل العملية والتطبيق :

- ١- يراجع بحث التربية الجهادية .
 - ٢- استحضار نية الجهاد في كل عمل ، والعمل على تطبيقه وأقله : (ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا) .
 - ٣- الإحسان في كل شيء .
 - ٤- ومنه تأدية الفرائض على أحسن حال : من صلاة وصوم وزكاة ... إلخ .
 - ٥- ومنه الحرص على أداء النوافل :
- الصلاة : قيام الليل - صلاة الضحى - السنن والرواتب .
- الصوم : الاثنين والخميس - وأقلها ثلاثة أيام في الشهر - وصيام النوافل التي حث عليها رسول الله ﷺ .
- الصدقة : بأن تكثر منها .
- ٦- الحرص على التفكير إلى المسجد قبل الأذان والذهاب بنية الاعتكاف .
- ٧- الورد القرآني اليومي والمعايشة مع الآيات ومدارستها .
- ٨- التذكر والدعاء في كل الأحوال .
- ٩- ورد المحامدية يومياً وصلاة ركعتين توبة إلى الله .
- ١٠- الزهد في الدنيا وما عند الناس .
- ١١- عدم التورط في الكماليات من مأكّل ومشروب وملبس ومسكن وغيره .
- ١٢- الصبر على المكاره .

الصفة الثامنة : أن يكون حريصاً على وقته :

والوقت هو الحياة . . . وكل شيء يعوض إلا الوقت . وفي الأثر : ما من يوم ينشق فجره ، إلا وينادي فيه ملك يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد ،

فتزود منى غزنى لا أعود إلى يوم القيامة ، فاستغلاله فى الطاعة والعمل النافع لا مفر منه يقول الإمام :

الواجب الحادى والثلاثون : أن تجدد التوبة والاستغفار دائماً ، وأن تتحرز من صفائر الآثام فضلاً عن كبائرهما ، وأن تجعل لنفسك ساعة قبل النوم تحاسبها فيها على ما عملت من خير أو شر ، وأن تحرص على الوقت فهو الحياة فلا تصرف جزءاً منه فى غير فائدة ، وأن تتورع عن الشبهات حتى لا تقع فى الحرام .

الوصية الثانية من الوصايا العشر : اتل القرآن أو طالع أو استمع أو اذكر الله ولا تصرف جزءاً من وقتك فى غير فائدة .

الوصية العاشرة من الوصايا العشر : الواجبات أكثر من الأوقات فعاون غيرك على الانتفاع بوقته ، وإن كان لك مهمة فأوجز فى قضائها .

وصف حال المشغولين بالإصلاح وحال غيرهم فى رسالة المؤتمر الخامس :

« وكم كنا تعجب إذ نرى أنفسنا فى مثل هذه المشغلة النفسانية العنيفة والخليلون هاجعون بتسكعون بين المقاهى ويترددون على أندية الفساد والإتلاف فإذا سألت أحدهم عما يحمله على هذه الجلسة الفارغة المملة قال لك : أقتل الوقت !! وما درى المسكين أن من يقتل وقته إنما يقتل نفسه فإنما الوقت هو الحياة » .

حديث (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ) . رواه البخارى والترمذى وابن ماجه . الحكمة القائلة « الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك » . حديث (اغتم خمساً قبل خمس : فراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك . وصحتك قبل سقمك . وحياتك قبل موتك . وغناك قبل فقرك . . .) . (رواه أحمد ، والحاكم فى المستدرک) .

الوسائل العملية والتطبيق :

١- الحرص على وقت إخوانه : الاستشعار دائماً بأن تأخيرهم عن المواعيد هى عدم حرص على وقت إخوانه .

٢- الانضباط فى المواعيد من الحرص على وقته هو أيضاً .

٣- وضع برنامج شخصي : شهري - أسبوعي - يومي .

٤- عمل الجدول اليومي بالساعات .

٥- ترتيب الأعمال حسب الأولويات .

٦- ضبط المواعيد حتى لا تتداخل الأوقات في بعضها .

٧- استغلال الوقت الواحد في أكثر من نية .

٨- استغلال الوقت في أكثر من عمل مثل : تلاوة القرآن في السفر - أو

حفظه .

٩- المحافظة على الوقت وعدم القيام بأعمال مضيعة له .

١٠- عمل ورد محاسبية قبل النوم .

١١- دعوة الناس أثناء العمل .

١٢- الحرص على الصلوات في أوقاتها وتنظيم الوقت عليها .

١٣- الدعاء واستمطار بركات الله عز وجل للمباركة في الوقت .

١٤- استغلال الأوقات المباركة فيما يفيد مثل الدعاء في الثلث الأخير من

الليل .

١٥- تخصيص وقت للأهل يوميا .

١٦- تحديد الوقت المناسب لكل عمل .

١٧- معرفة أهمية الوقت وأنه هو الحياة .

١٨- اليقين بأن الأجل قريب وأنه محاسب على وقته .

الصفة التاسعة : أن يكون منظما في شئونه :

والنظام والدقة سمة من سمات المؤمن : علامة مميزة من علاماته . ولذلك

وضع الإمام لنا الوسائل التي تعيننا على هذا الأمر فقال :

الواجب الخامس : أن تعنى بالنظافة فى كل شئ فى المسكن والملبس والمطعم والبدن ومحل العمل فقد بنى الدين على النظافة .

الواجب الرابع والعشرون : أن تعمل ما استطعت على إحياء العادات الإسلامية وإماتة العادات الأعجمية فى كل مظاهر الحياة ومن ذلك التحية واللغة والتاريخ والزى والآثا ، ومواعيد العمل والراحة ، والطعام والشراب والقنوم والانصراف والحزن والسرور . . . إلخ وأن تتحرى السنة المطهرة فى كل ذلك .

الواجب الثالث والعشرون : الادخار للطوارئ مهما قل دخلك ، وعدم التورط فى الكماليات .

الوسائل العملية والتطبيق :

- ١- توزيع الواجبات على الأوقات مع مراعاة واجب الوقت .
- ٢- ترتيب الأولويات فى العمل : وذلك بتكليف الأخ بأمر ثم إلى جانبه أمرين آخرين أحدهما أولى من الآخر ويتابع فى التنفيذ .
- ٣- تنظيم الوقت بين العمل الدعوى والعمل المهنى « الدنيوى » .
- ٤- ترتيب وتنظيم مكان عمله وأدوات شغله ، مكان نومه ، أكله وكل ما حوله .
- ٥- تقسيم اليوم والأسبوع والشهر .
- ٦- الالتزام بمواعيد الحضور والانصراف فى كل عمل وعدم الخروج عنها .
- ٧- عدم الاستغراق فى عمل يطفى على بقية الأعمال .
- ٨- الإعداد للقاءات قبل الذهاب إليها .
- ٩- إعداد البديل لغيابه .
- ١٠- تنظيم مكان اللقاء قبل الانصراف ووضع كل شئ مكانه .
- ١١- تحديد ساعات محددة للأهل والأولاد .

١٢- تحديد مواهب كل فرد لاستغلالها الاستغلال الأمثل وفي المكان المناسب .

١٣- لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد .

١٤- إذا تراكت عليك الأعمال فابدأ بأيسرها عليك وأحبها إليك .

الصفة العاشرة : ان يكون نافعا لغيره :

وهذه أيضاً معلوم من معالم المسلم . تقديم العون وبذل النصع ، والعطاء الذي لا ينقطع لجميع خلق الله ، فما استحق أن يولد من عايش لنفسه فقط ، ويكذب بيوم الدين من لا يفعل الخير ولا يبحث ويحضر عليه . يقول الإمام في هذه الصفة :

الواجب الثاني عشر : أن تكون عظيم النشاط مذبياً على الخدمات العامة تشعر بالسعادة والسرور بأنك تقدم خدمة لغيرك من الناس فتعود المريض وتساعد المحتاج وتحمل الضعيف وتواسي المنكوب ولو بالكلمة الطيبة ، وتبادر إلى الخيرات .

الواجب السادس والثلاثون : أن تعرف زملائك فرداً فرداً معرفة تامة وتعرفهم بنفسك معرفة تامة كذلك وتؤدي حقوق أخوتهم كاملة من الحب والتقدير والمساعدة والإيثار وأن تحضر اجتماعاتهم فلا تتخلف عنها إلا بعذر قاهر وتؤثرهم دائماً .

في رسالة إلى أي شيء ندعو الناس ؟ : تحت عنوان : مهمة المسلم في الحياة :

« إن مهمة المسلم الحق لخصها الله تبارك وتعالى في آية واحدة من كتابه وردها القرآن الكريم بعد ذلك في عدة آيات فأما تلك الآية التي اشتملت على مهمة المسلمين في الحياة فهي قول الله تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » . وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو

سماكم المسلمون من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴿١﴾ .

هذا كلام بين لا لبس فيه ولا غموض ، وبوالله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمواضح كالصبح ، ظاهر كالنور ، يملأ الأذان ويدخل على القلوب بغير استئذان ، أفلم يسمعه المسلمون قبل الآن ؟ أم سمعوه ولكن على قلوبهم أقبالا فلا تعى ولا تتدبر ؟ يأمر الله المسلمين أن يركعوا ويسجدوا وأن يقيموا الصلاة التي هي لب العبادة وعمود الإسلام وأظهر مظاهره ، وأن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً وأن يفعلوا الخير ما استطاعوا وهو حين يأمرهم بفعل الخيرات ينهاهم بذلك عن الشر وأن من أولى الخير أن تترك الشر ، فما أوجز وما أبلغ ! ورثب لهم على ذلك النجاح والفلاح والفوز وتلك هي المهمة الفردية لكل مسلم التي يجب عليه أن يقوم بها بنفسه في خلوة أو جماعة .

وما جاء في السيرة والسنة من توجيهات بدلنا على ذلك وهذا قول السيدة خديجة رضي الله عنها للنبي ﷺ : « والله لا يخزيك الله أبداً . إنك لتصل الرحم وتكسب المعدوم وتحمل الكل وتعين على نوائب الحق » .

وحديث « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا . ومن يسر على معسر . . . والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه . . . » .

ولقد قطع سيدنا ابن عباس (رضي الله عنه) اعتكافه لكي يقضى حاجة أخيه في الله فلما تعجب أخوه قال له سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من مشى في حاجة أخيه ، قضيت أم لم تقض كان خيراً من اعتكاف شهر بمسجدي هذا) .
الوسائل العملية والتطبيق :

١ - المشاركة في عمل مشروعات خدمية عامة مثل :

محو الأمية - فصول التقوية للطلاب - عمل المستوصفات والمستشفيات والقوافل الطبية - عمل المدارس والحضانات الإسلامية - عمل رحلات الحج .

٢- المشاركة في عمل مشروعات اقتصادية لخدمة الناس مثل :

الأدوات المكتبية والكراريس وغيرها .

مشروع البوتاجاز .

مشروع أحواض السمك في النيل وأحواض التربية وبيعه للناس بأسعار

أرخص .

مشروعات أمن غذائي أو بيع للناس بأسعار رخيصة .

٣- عمل مشروعات الخير والإحسان مثل :

كفالة اليتيم .

جمع الزكاة والصدقات وتوزيعها على من يستحقون .

استغلال شهر رمضان لصالح الفقراء والجمع من الأغنياء .

حرم الأضحية وتوزيعها على الفقراء .

٤- التكليف بالآتي أسبوعياً (عيادة مريض - مساعدة محتاج - تقديم خدمة

لفرد من الأفراد) .

٥- التدريب لطالب من الطلبة يتقن مثل شيع الحارة في كل حي من

الأحياء .

٦- قضاء مصالح الناس من خلال العمل الحكومي ومن خلال الحي .

٧- المشاركة في النوادي الرياضية والهيئات والجمعيات المختلفة وتقديم

الخدمات للناس من خلالها .

ويعد :

فلقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم .

ومنحه الحياة تطول أو تقصر ، وفقاً لمشيئته سبحانه وإرادته ، والذبيب العاقل الذي نور الله قلبه بالإيمان ، وعقله بالعلم النافع هو من يتنفع بمثل هذه التوجيهات ويتحلى بهذه الصفات ، لتوجد الشخصية الإسلامية المتوازنة التي تعرف وجهتها وتقدر دورها ، وتمضي في طريقها ، وتسلك النهج السليم السوي الصحيح ، بحيث تكون حياتنا عملاً نافعاً دائماً والقرآن الكريم والسنة المطهرة وعمل السلف الصالح يفيضون بالأوامر والتوجيهات التي تعيننا على طريق الفوز ، ولقد أحسن الإمام وأجاد في صياغة هذه التوجيهات رضى الله عنه .



المرتبة الثانية : تكوين بيت مسلم

بأن يحمل أهله على احترام فكره والمحافظة على آداب الإسلام في كل مظاهر الحياة المنزلية ، وحسن اختيار الزوجة وتوثيقها على حقها وواجبها . وحسن تربية الأولاد . والخدم وتنشئتهم على مبادئ الإسلام . وذلك واجب كل أخ على حدة ، فاحرص على أن يصل بيتك إلى هذه المرتبة ، وكل من في البيت يعرف ما له من حقوق وما عليه من واجبات ، بمقاييس الإسلام .



المرتبة الثالثة : وإرشاد المجتمع

بشتر دعوة الخير فيه ، ومعاربة الرذائل والمنكرات وتشجيع الفضائل ، والامر بالمعروف ، والمبادرة إلى فعل الخير ، وكسب الرأي العام إلى جانب الفكرة الإسلامية ، وصيغ مظاهر الحياة العامة بها دائماً . وذلك واجب كل فرد على حدة ، وواجب الجماعة كهيئة عاملة ^(١) والشعب المسلم الذي نريده هو الذي انقاد لله وأسلم وجهه إليه ، واستجاب لدعوة الخير ، وحارب الرذيلة والمنكر ، وصيغ حياته بالإسلام .

(١) انظر رسالة التعاليم - مجموعة رسائل الإمام الشهيد - طبعة دار الدعوة من ٣٩٤

تعليق :

واضح من كلام الإمام في هذا المراتب أنه لا يصلح لتحمل هذه الأعباء والقيام بها ، إلا الذين ربطوا مصيرهم ومستقبلهم بهذه الدعوة ، ورصدوا حياتهم لها ، وروضوا أنفسهم على تحمل مشاق الطريق ، يسارعون في التغييرات وهم لها سابقون ، يؤثرون ما أتوا وقلوبهم وجلة ، أنهم إلى ربهم راجعون ، فهم دائماً يتقنون عملهم رجاء القبول ، يتغنون وجه الله ولا يراؤون .

لا يقوم بالعمل على أكمل وجه إلا تلك النوعية من العاملين ، ولا يصلح لها مثل أو مستأجر أو طالب مغنم مهما اغدقت عليهم من الدنيا فالناتجة الشكلي ليست كالناتجة المستأجرة كما يقولون .

لكن الأخ العامل يسخر كل ما يملك من وقت وجهد ومال وعلم ونفس ، في سبيل هذه الدعوة ، ولا يخل بشئ من ذلك وفاء لعهد مع الله وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ (١)

ويقول جل شأنه :

﴿ قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترنتموها ونجارة نخشون كسادها ومسكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترى بصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ (٢)

(١) سورة التوبة : الآية ١١١ (٢) سورة التوبة : الآية ٢٤

يواصل الإمام الحديث عن مراتب العمل المطلوب فيقول :

المرتبة الرابعة : تحرير الوطن

بتخليصه من كل سلطان أجنبي - غير إسلامي - سياسي أو اقتصادي أو
روحي .

* * *

المرتبة الخامسة : إصلاح الحكومة حتى تكون إسلامية بحق

وبذلك تؤدي مهمتها ، كخادم للأمة وأنجز عندها (١) وعامل على مصلحتها ،
والحكومة إسلامية ما كان أعضاؤها مسلمين مؤدين لفرائض الإسلام ، غير
متجاهرين بعصيان ، وكانت منفذة لأحكام الإسلام وتعاليمه .

ولا بأس بأن تستعين بغير المسلمين عند الضرورة في غير مناصب الولاية
العامة ، ولا عبرة بالشكل الذي تتخذه ولا بالنوع ما دام موافقاً للمقواعد العامة في
نظام الحكم الإسلامي .

ومن صفاتها : الشعور بالتبعة ، والشفقة على الرعية والعدالة بين الناس ،
والعفة عن المال العام والاقتصاد فيه .

(١) هذا الأمر هو تحديد مهمة الحاكم في الإسلام جاء في رسالة السياسة الشرعية للإمام
ابن تيمية رحمه الله ص ١٤ - طبعة دار زهور الفكر هذا النص : دخل أبو مسلم الخولاني
على معاوية بن أبي سفيان فقال : السلام عليك أيها الأمير فقالوا : قل أيها الأمير ، فقال
معاوية : دعوا أبا مسلم فإنه أعلم بما يقول : فقال : إنما أنت أجير استأجرك رب هذه
النفس لرعايتها فإن أنت هنت جرباها - أي عابجت المريض منها - وداويت مرضاها
وحسنت أولأها على آخرها ، وفكك سبكك أترك ، وإن أنت لم نهنا جرباها ، ولم تدبر
مرضاها ، ونم تحبس أولأها على آخرها عاقبك سيدها .

وهذا الموقف واضح فإن الخلق عباد الله ، والولاية أمناء الله على عباده .

ومن واجباتها : صيانة الأمن ، وإنقاذ القانون ، ونشر التعليم ، وإعداد القوة ، وحفظ الصحة ، ورعاية المنافع العامة ، وتنمية الثروة ، وحراسة المال ، وتقوية الأخلاق ، ونشر الدعوة .

ومن حقها : متى أدت واجبتها ، الولاء والطاعة ، والمساعدة بالنفس والأموال . فإذا قصرت ، فالنصح والإرشاد ، ثم الخلع والإبعاد ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .



المرتبة السادسة :

ويقول عن المرتبة السادسة في العمل المطلوب :
 وإعادة الكيان الدولي للأمة الإسلامية بتحرير أوطانها وإحياء مجدها ، وتقريب ثقافتها وجمع كلمتها ، حتى يؤدي ذلك كله إلى إعادة الخلافة المفقودة والوحدة المنشودة .



المرتبة السابعة :

وأستاذية العالم بنشر دعوة الإسلام في ربوعه ﴿ حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله الله ﴾ ^(١) ﴿ ويأبى الله إلا أن يتم نوره ﴾ ^(٢) .
 ثم يختم الإمام حديثه عن ركن العمل فيقول :

وهذا المراتب الأربعة الأخيرة تحب على الجماعة متحدة ، وعلى كل أخ

(١) سورة الأنفال : الآية ٣٩

(٢) سورة التوبة : الآية ٣٢

باعتباره عضواً في الجماعة ، وما أثقلها تبعات ، وما أعظمها مهمات ، يراها الناس خيالا ، ويراهها الأخ المسلم حقيقة ولن نياس أبداً ، ولنا في الله أعظم الأمل ﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (١) .

تعليق :

نعرض لبعض الحالات العامة التي يتفاوت فيها الأفراد في قدر العمل الذي يقدمون لدعوتهم ، وهذا يؤدي أحياناً إلى عدم التوازن :

١- يجب أن يتم التوازن دائماً بين العمل للإسلام ، والعمل للكسب المعيشي وقضايا الأهل والبيت .

٢- المسلم مطلوب منه أن يعمل في مجال الدعوة .

٣- في نفس الوقت منوط به بعض الأعمال الدنيوية الأخرى ، كوظيفته التي يكتسب منها أو تجارتها .

٤- الإسلام يحضه على دوام العمل ثلاثين مع مراعاة ترتيب الأولويات ، بأن يقدم الاهتمام بالدعوة ثم يليه مباشرة الاهتمام بوضعه المعيشي في الحياة .

٥- الإسلام يجعل العمل للدنيا إذا صدقت النية عبادة وليست العبادة فقط في العمل للدعوة .

٦- الأخ المسلم يجعل عمله وحياته وسائر أموره مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بدعوته ولصالحها .

٧- تؤكد أن الإسلام يحض على السعي على الرزق الحلال ولا يقبل أن يكون المسلم عالة على غيره .

٨- لذلك نرى الإمام يذكر ضمن مقومات الفرد المسلم المطلوب : أن يكون

(١) سورة يوسف : الآية (٢١) .

قادراً على الكسب ، وكان يزهد في الوظيفة ، ويعتبرها أضيق أبواب الرزق ، ويرغب في العمل الحر الإنتاجي .

٩- حرص على إقامة المؤسسات الاقتصادية ضمن النشاط الإخواني ، لدعم الحركة الإسلامية وبناء المجتمع اقتصادياً ، بعيداً عن جرائيم الربا وكل المعاملات المحرمة .

١٠- إذا وجد المؤمن الفاهم لدينه وجدت معه بلا شك وسائل النجاح جميعاً ويصبح أمراً طبعياً تسخير كل الجهد وكل العلم وكل المال وكل الوقت ، في العمل النافع لدينه ودعوته ودينه ، وما تاريخ الأسلاف منا ببعيداً ويلاحظ أن الإمام الشهيد ، قسم العمل لتحقيق الهدف الكبير إلى مراحل هي : الفرد ، والبيت ، والمجتمع ، ثم الحكومة بعد تحرير الوطن ، والدولة ، والخلافة ، واستاذية العالم .

وقال إنه طريق طويل وشاق ولكن ليس هناك طريق غيره ، وقد اقتبسه رضوان الله عليه من سيرة رسول الله ﷺ .

ويلاحظ أن الفرد المسلم ، هو العنصر الأساسي في باقي المراحل من البيت والمجتمع والحكومة والدولة ، لذلك كان الاهتمام في الجماعة ببناء الفرد المسلم القدوة . وذكر تلك المقومات العشرة المذكورة . وكان الدرس والأسرة والكتيبة والرحلة والعسكر والنادي الرياضي وغير ذلك ، كلها وسائل لإعداد الفرد المسلم المطلوب .

ويحاول البعض أن يشككوا في هذا الطريق ، وفي إمكان تحقيقه للمهدف ، ولا يجوز أن نتأثر بهذا التشكيك ، وأن يقيم الأساس المتين لبناء من الفرد والبيت والمجتمع ، ليقيم عليه البناء ويستقر ويستمر بعون الله ، فالبناء يبدأ من الأساس ، ولا يأتي من أعلى بطريق الانقلابات العسكرية على قاعدة غير معدة ولا مهيأة .

فالمجتمع المسلم : لم يقصد الإمام أن نحول المجتمع كله إلى إخوان مسلمين عاملين ولكن نكون رأياً عاماً إسلامياً مقتنعاً بضرورة الحكم بما أنزل الله ويلزم كل فرد نفسه بما يطلبه منه الإسلام من عبادات وأخلاق وغير ذلك .

العمل في مجال الدعوات (١)

ولا يقوم بهذه الأعباء . ويؤدي هذه الأعمال الهامة إلا هذه التوعية من الإخوة العاملين .

ولا يصلح أن يستأجر لها أناس من غير هذه التوعية مهما أغدقت عليهم من مال أو جاه .

ولكن الأخ العامل الذي عقد الصفقة الرابعة مع الله طمعاً في جنة الله يسخر كل ما يملك من وقت وجهد ومال وعلم ونفس في ميدان العمل للدعوة والجهاد في سبيل الله ، ولا يبخل بشيء من ذلك وفاءً لبيعته في ركن التضحية الذي يقول عنه الإمام الشهيد : وأريد بالتضحية بذل النفس والمال والوقت والحياة وكل شيء في سبيل الغاية . وليس في الدنيا جهاد لا تضحية معه ، ولا تضيع في سبيل فكرتنا تضحية ، وإنما هو الأجر الجزيل والثواب الجميل ، ومن قعد عن التضحية معنا فهو آثم ﴿ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم ... ﴾ الآية . ﴿ وذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ﴾ الآية .

قضايا عامة

وقيل أن نعرض إلى بعض الحالات التي يتفاوت فيها الأفراد في قدر العمل الذي يقدمونه للدعوة ، وما قد يحدث من عدم الموازنة بين العمل للدعوة والعمل للكسب المعيشي وقضايا البيت والأهل ، وطفليان جانب على جانب ، سنذكر قبل التعرض لهذه الحالات بعض القضايا العامة لتثير لنا الطريق :

● الفرد المسلم مطلوب منه أن يعمل في مجال الدعوة ، ومتوط به أعمال أخرى كعمله الذي يتكسب منه ومهام أسرته وبيته ، ولو نظرنا نظرة دقيقة فإن كل هذه الأعمال تعتبر كلها عبادة لله وليس فقط العمل في مجال الدعوة ، فالعمل

(١) راجع مجلة الدعوة العدد الثاني عشر بعد المائة ، جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ .

للتكسب عبادة ، والأكل والشرب عبادة مادامت النية هي التقوى على طاعة الله ،
والدراسة عبادة بنية إفادة الإسلام والمسلمين ، والزواج عبادة بنية العفة وإقامة
البيت المسلم ونشئته الذرية الصالحة ، والرياضة عبادة بنية التقوى لتحمل أعباء
الجهاد ، وهكذا بالنية الصحيحة وتحرى الحلال في هذه الأعمال تصير عبادة بنال
صاحبها عليها الأجر والثواب من الله وتكون حياة المسلم كلها عبادة ، ويحقق
قول الله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ .

● ويتبع هذا المعنى معنى آخر هام وهو أن يجعل الأخ هذه الأمور المتصلة
بعمله المعيشي وزواجه ومكان عمله وأسفاره وغير ذلك تخضع إلى حد كبير
لمصلحة الدعوة ، وحسن أدائه لما أنيط به من عمل للدعوة .

● الإسلام يحض على السعى على الرزق الحلال ، ولا يرضى أن يكون
المسلم عالة على غيره . لذلك نرى الإمام البنا يذكر ضمن مقومات انفراد المسلم
المطلوب أن يكون قادراً على الكسب . وكان يزهد في الوظيفة الحكومية ويرغب
في العمل الحر الإنتاجي . وقد حرص على إقامة مؤسسات اقتصادية ضمن نشاط
الجماعة لممارسة النهج الإسلامي في المعاملات الاقتصادية بعيدة عن الربا وغيره
من المحرمات ، ولدعم الحركة الإسلامية ولإسهام في بناء المجتمع اقتصادياً .

● الأصل أن يبذل الأخ من ماله لدعم العمل الإسلامي ولو كان من
ضرورياته ، ولا يكتفى بالفضل ، ونرى الإمام البنا يتناول هذا المعنى وهو يرد
على تساؤل من أين المال ؟ فيقول : (يتساءل هؤلاء الإخوان المحبوبين الذين
يرمقون الإخوان المسلمين على بعد ويرقبونهم عن كثب قائلين من أين يتفقون وإنى
لهم المال اللازم لدعوة المحمّد وازدهرت كدعوتهم والوقت عصيب والنفوس
شحيحة ؟ وإنى أجيب هؤلاء بأن الدعوات الدينية عمادها الإيمان قبل المال .
والعقيدة قبل الأعراض الزائلة ، وإذا وجد المؤمن الصحيح وجدت معه وسائل
النجاح جميعاً ، وأن مال الإخوان المسلمين القليل الذي يقطعونه من نفقاتهم ،
ويقتصدونه من ضرورياتهم ومطالب بيوتهم وأولادهم ، ويجودون به طيبة
نفوسهم سخية به قلوبهم ، يود أحدهم لو كان أضعاف أضعاف فينتفقه في سبيل

الله ، فإذا لم يجد بعضهم شيئاً قولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً إلا يجدوا ما ينفقون . في هذا المال القليل والإيمان الكبير والله الحمد والعزة بلاغ لقوم عابدين ، ولجراح للعاملين الصادقين ، وإن الله الذي بيده كل شيء ليبارك في القرش الواحد من قروش الإخوان : ﴿ يمحى الله الربا ويربي الصدقات ﴾ (١) .

● إن النعم التي أنعم الله بها على كل واحد منا من صحة ومال ووقت وجهد وعقل وعلم ومعرفة ونفس تعتبر رصيذاً أو رأس مال قابلاً للاستثمار ، وأرباح تجارة لاستثمار تلك النعم هي التجارة التي يعرضها الله علينا بهذا الأسلوب المشوق ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم .. ﴾ (٢) .

ولتساءل معاً : ماذا نقول عن إنسان عنده رأس مال ومعرض عليه مشروع لاستثماره وعائده كبير جداً ومضمون جداً ، وإذا بهذا الإنسان يدل أن يسارع لتقديم ماله لهذا المشروع إذا به يلقي ببعضه يومياً في البحر ويفقده ، ولا يقدم لهذا المشروع الربح شيئاً أو يقدم الثمن اليسير ؟ ربما كانت الإجابة على هذا التساؤل أن هذا الإنسان غير سوى وربما قد أصيب بلوثة في عقله .

هل نعلم أن هذا المثال ينطبق على كل من لا يسخر نعم الله السابق ذكرها في مجال العمل للدعوة وفي سبيل الله ، خاصة وأن الوقت الذي يمر دون استغلاله لن يعود مرة ثانية ، تماماً كالمال الذي يلقى في البحر ، وكان من الممكن في ذلك الوقت تسخير جهده وعلمه وماله في عمل نافع لدعوة الله ولكنه عطّلها وأضاع فرصة الاستفادة بها .

تفاوت وتصحيح

بعدما ذكرنا هذه المعاني العامة نعرض إلى تناول بعض الحالات التي يتفاوت فيها الأفراد في مقدار ما يقومون به في مجال العمل للدعوة ، ومدى مساهمتهم أو تباطئهم ، وتصحيح أي خطأ أو انحراف في هذا الجانب ، وتوضيح التوازن

(١) سورة البقرة : الآية ٢٧٦

(٢) سورة الصف : الآية ١٠

المطلوب بين أعمال الدعوة وما عداها . فقد نرى أنما استحوذ عليه العمل
للدعوة بدرجة كبيرة ووجد في ذلك سعادته ومتعته ، وقد يكون ذلك على حساب
عمله المعيشي أو على حساب أهله وبيته وأولاده أو على حساب صحته وأعصابه .
وفي الجهة المقابلة قد نجد من استحوذ عليه عمله المعيشي ومشاغل الأسرة
والأولاد وكان ذلك على حساب عمله في مجال الدعوة بل على حساب آخرته إن
لم تداركه رحمة الله .

وبين هاتين الصورتين صور متعددة وبدرجات متفاوتة . والصورة السليمة
الأمثل أقرب إلى الحالة الأولى ولكن بعد تعديل فيها بأن يؤدي عمله المعيشي
على وجه صحيح فهو عبادة وعليه أن يتقنه ليكون دخله حلالاً طيباً ، ويعطى أهله
وبيته حقهم من الرعاية والعاطفة والمودة فهو راع لهم ومسئول عن رعيته ، وأن
يعطى بدنه حقه ولا تعرض للعلل والأسقام نتيجة الإرهاق ويكون ذلك سبباً في
عجزه عن القيام بأعباء الدعوة ، ثم إن الإرهاق وتعب الأعصاب لهما نتائج
سلبية على العمل والإنتاج ، وعلى العلاقة مع غيره من إخوانه .

وسواء كانت كثرة العمل في مجال الدعوة بسبب الرغبة الذاتية الشديدة ، أو
بسبب تراكم الأعمال والتكاليف لسوء التخطيط أو عدم إعداد معاونين ، فلا بد
أن تعالج هذه الحالة ولا تترك هكذا وتصحيح بما يحقق الاعتدال والتوازن .

هذا وإن الاهتمام بالأهل والأولاد عبادة وقرين إلى الله واتباعاً لهدى رسول
الله ﷺ ، فالمطلوب إقامة البيت المسلم النموذج كدعامة في البناء ولتنشئة الأجيال
تنشئة صالحة ، وبذلك يكون أفراد البيت كلهم عوناً له على أداء واجبه في الدعوة
ولا يكونون مشغولين أو مصدر فتنة وإغصات ، بعكس ما إذا انشغل عنهم حتى
بأعمال الدعوة فإن هذا الإهمال ينتج متاعب وسلبات وربما انحرافات ويكونون
معوقين له ومشغولين ومصدر فتنة له . وقد لمسنا ذلك عملياً خاصة أثناء الحزن ،
فالأسر التي اهتمت بها عائلتها قبل المحنة كانت مصدر راحة له وتشجيع والأسر
التي انشغل عنها عائلتها قبل المحنة كانت مصدر إغصات له وتثبيط .

أما الحالة التي يشغل العمل المعيشي ومشاغل الأسرة الجانب الأكبر من وقتها

الأخ وجهده فإن ذلك يكون على حساب عمله للدعوة ، وما يعود عليه هو نفسه من الرزق الروحي والاستقامة على أمر الله .

وقد يحدث ذلك إما لطبيعة العمل الذي يتكسب منه بأن يكون من النوع الذي يشغل صاحبه من الصباح إلى وقت متأخر من الليل كبعض الأعمال الحرة . أو يحدث ذلك بأن يعمل الأخ عملاً إضافياً بجانب عمله الأصلي لزيادة الدخل ، أو يكون شديد التعلق بالأولاد والأسرة أو غير ذلك من الأسباب .

وهذه الصورة ولا شك خاطئة وآثارها ضارة وخطيرة خاصة إذا تصورنا حدوثها من عدد غير قليل ، فيعرض عمل الدعوة وإنجازاتها إلى التعطيل أو القصور ، فيلزم علاج مثل هذه الحالات قبل أن ينضب زاد أصحابها الروحي ، وتحتويها دوامة هذه الأعمال والمشاكل ويصعب انتزاع أصحابها منها . ثم أنه يخشى أن يزداد حب أحدهم للمال ويقع في فتنته ، كما يخشى أن يقع في فتنة الزوجة والأولاد أيضاً .

فبالنسبة للعمل الحر الذي يستلزم الوقت الكثير يلزم عمل الترتيب لتنظيم العمل وتوزيع المهام بحيث يتوفر للأخ وقتاً مناسباً لعمله للدعوة . هذا ويفضل أن تكون الأعمال الحرة في مجالات تخدم الدعوة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، فيعتبر العمل فيه ضمناً عملاً للدعوة أيضاً .

أما الذين يسعون للارتباط بعمل معيشي إضافي لزيادة الدخل ، فالأمر يحتاج معهم إلى مراجعة . فهناك قلة منهم أعبأهم العائلية ثقيلة وتضطربهم لذلك فنلتصم لهم بعض العذر ، وربما يمكن معالجة هذه الحالات بما لا يحرم الدعوة من طاقاتهم وجهودهم . أما الذين يعملون وقتاً إضافياً لزيادة الدخل في حين أن عملهم الأصلي مجزئ ، فالأولى بهم أن يقدموا أوقاتهم وجهودهم للقيام بأعباء الدعوة التي لا يمكن أن يقوم بها غيرهم ، ولنا في حاجة إلى التذكير بأن ثواب الله لا يعدله أي مال في الدنيا ، ولا يجوز أن يكون الدافع للعمل الإضافي المحافظة على مستوى معيشي جيد مجاراة للناس الذين تنافسوا الدنيا وجروا وراء

متاعها الزائل ، ولنذكر قدوتنا ﷺ وصحابته الأكرمين ومستوى معيشتهم في طعامهم ولباسهم وأثاث بيوتهم وغير ذلك .

والذي يكتفى بعمله الأصلي ويقدم باقي وقته وجهده للدعوة ببارك الله له في ماله وصحته وزوجته وأولاده ، أما الذي ينظر نظرة مادية بحثة ويفضل العمل الإضافي على عمل الدعوة قد يتلى في شيء من ذلك ويتفق أضعاف ما حصل عليه من عمله الإضافي .

وقد تقتضي ظروف العمل للدعوة قيام أخ بمهام تضطره إلى تركه عمله المعيشي الأصلي ويتم تفرغه وتعويضه ، فلا ينبغي أن يشعر بالخرج في أخذه مقابل عمله للدعوة ، ثم يعتذر عن التفرغ ، فهذا أيضاً خطأ ويعطل إنجاز مهام الدعوة التي لا يصلح لها إلا أمثال هؤلاء . وفي سيرة سلفنا الصالح من كانوا يقومون بأعمال ويعطون من بيت المال .

وعلى الذين يسقط الله لهم الرزق في عملهم المعيشي متحررين الخلال ومتحررين من الحرام أن يؤدوا حق الله في هذا المال ، وأن يقدموا للدعوة ما تحتاجه للقيام بأعبائها فتلك هي التجارة الرابعة : ﴿ مثل الذين يتفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله بضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ (١) . وكنا يعلم كيف كان سيدنا عثمان بن عفان وسيدنا عبد الرحمن بن عوف يساهمون في تجهيز جيوش المسلمين بأموالهم سخية بها نفوسهم .

وفي الختام نقول إننا أردنا بهذه الجولة في أعماق النفوس أن نوضح قضية العمل في مجال الدعوة وأهميتها ، وأن نصصح المقاييس والموازين لتكون ربانية وليست مادية دنيوية ، ولتسحب جميعاً لهذا النداء ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ (٢)

(١) سورة البقرة : الآية ٢٦١

(٢) سورة الصف : الآية ١٧

الركن الرابع

الجهاد

ويقول الإمام : [وأريد بالجهاد : الفريضة الماضية إلى يوم القيامة ، والمقصود بقول رسول الله ﷺ : « من مات ولم يغز ولم ينو الغزو مات ميتة جاهلية » .

وأول مراتبه إنكار القلب ، وأعلها القتال في سبيل الله ، وبين ذلك : جهاد اللسان والقلم واليد ، وكلمة الحق عند السلطان الجائر ، ولا تحيا الدعوة إلا بالجهاد ، ويقدر سمو الدعوة وسعة أفقها تكون عظمة الجهاد في سبيلها ، وضخامة الثمن الذي يطلب لتأييدها ، وجزالة الثواب الجزيل للعاملين : « وجاهدوا في الله حق جهاده » وبذلك تعرف معنى هتافك الدائم « الجهاد سبيلا » .

أ - الجهاد بمعناه الخاص والعام :

يقول ابن عباس رضي الله عنهما : « هو استفراغ الطاقة فيه ، وأن لا يخاف في الله لومة لائم » (١) .

ويقول مقاتل : معناه : «

« اعملوا لله حق عمله ، واعبدوه حق عبادته » (٢)

ويقول ابن المبارك : « هو مجاهدة النفس والهوى » (٣)

(١)، (٢)، (٣) راجع زاد المعاد لابن القيم .

ويقول د/ سعيد البوطي :

« الجهاد : هو بذل الجهد في سبيل إعلاء كلمة الله ، وإقامة المجتمع المسلم ، وبذل الجهد بالقتال نوع منه ، وأما غايته فهي إقامة المجتمع الإسلامي ، وتكوين الدولة الإسلامية الصحيحة » (١) .

ويقول الأستاذ المرفودي رحمه الله عن معنى الجهاد : « معناه : أن تكون فيك الحمية الإسلامية والغيرة على الإيمان وحب الدين ، والنصح الصادق لإخوانك المسلمين ، ومن شُعب هذه الحمية الجهاد في سبيل الله بمعناه الخاص ، وهي الحرب التي يقوم بها المسلمون في وجه أعداء الإسلام ، لا لسبب غير ابتغاء وجه ربهم ، متجردين عن كل غرض من أغراضهم الدنيوية » (٢) .

وبهذا أوضح أن الجهاد بمعناه الخاص هو القتال في سبيل الله ، أما بمعناه العام ، فهو أن حياتنا من أولها إلى آخرها جهاد ، وهي مراحل وحلقات كل حلقة فيها تؤهل للأخرى ، والإمام ابن القيم حين تحدث عن هذه المراحل بدأها بجهاد النفس على تعلم الحق ، ثم جهادها على العمل به ، ثم جهادها على الصبر على تكاليفه وكل هذا يعتبر جهاداً ، وأي تحليل في هذه المراحل ، أو عجلة قد لا يؤدي إلى العمل المطلوب .

إن الطريق طويل ، ومزالقه كثيرة ولا بد لمن يريد أن يعبره أن يعد نفسه بالتربية والصبر والاحتمال ، وفي نفس الوقت يسعى بكل إمكاناته لدعوة الآخرين لهذا الطريق المستقيم .

٢- حرب على الجهاد :

أين هذا الذي ذكرناه في معنى الجهاد وأهدافه مما يشيعه الظالمون من أعداء الإسلام من أن الإسلام انتشر بالسيف ، وأنه شريعة العدوان ، ثم تفتنوا في رسم صورة للمجاهد المسلم كلها رعب وقرع ، فهو إنسان متوحش مثل سيفه

(١) فقه السيرة للبوطي . (٢) مبادئ الإسلام ص ١١٨-١١٩ يتصرف .

وتطايير الشرر من عينيه ، وانحصر كل تفكيره فى القتل والنهب ، فبمجرد أن يرى كافراً ، ينقض عليه ، ويمسك بخناقه ، فإما أن يقول : لا إله إلا الله ، فينجو وإما أن يضرب عنقه . يقول « كرومر » وهو المبشر والمستنصر ، والحاقد على الإسلام :

« أما الجهاد فهو فكرة العدوان وحدها ، أعطاهها الإسلام صبغة شرعية ، كى يدفع بها المسلم لمهاجمة غير المسلم ، فى وقت آمن على نفسه ، وماله وعرضه ، إنها فكرة الغدر وتشجيع العدوان » .

إن هؤلاء المتحاملين على الجهاد وما أكثرهم ، لم يتطوع أحدهم ليذكر لنا حادثة واحدة فى التاريخ تثبت دعواهم وتؤيد مزاعمهم ، وكما يقولون « رمتنى بدائها وانسلت » .

إن الذى أثبت التاريخ إلى اليوم أن المسلمين كانوا فى كل مكان هم ضحايا الغدر والضغط والتعذيب والإرهاب .

لكن توجيه هذه الحرب من أعداء الإسلام وكبل التهم للجهاد والمجاهدين ، كان أمراً مبيتاً من هؤلاء الخيلاء ، جاء نتيجة اعتقد أنها كانت مقصودة من وراء هذه الحملات ، وهى تخلى الكثير من المسلمين عن الجهاد ، حتى قال بعضهم إن الجهاد للدفاع فقط ، وقال آخرون ما لنا وللجهاد ؟ نحن دعاة مبشرون ندعو بالحكمة ، ونجادل بالحسنى ، والبعض أسقطه تماماً من حسابه ، وهذا ما أراده أعداء الإسلام : إبعاد المسلمين عن هذه الفريضة المحكمة الماضية إلى يوم القيامة لكن الحمد لله الحركة الإسلامية أعادت هذا الركن إلى مكانه .

٣- منزلة هذا الركن :

ورد فى الصحيح أن معاذاً - رضى الله عنه - كان يسير مع رسول الله ﷺ فقال له : « إن شئت يا معاذ حدثك برأس هذا الأمر وذروة السنام منه ، رأس هذا الأمر لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن قوام هذا الأمر : إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وأما ذروة السنام منه الجهاد فى

سبيل الله ، أمرت أن أقاتل الناس حتى يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، ويشهدوا
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، فإذا فعلوا ذلك
فقد اعتصموا وعصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل ،
والذي نفس محمد بيده ، ما شحب وجه ولا عجز قدم في عمل يقتضي فيه
درجات الجنة بعد الصلاة المفروضة ، كجهاد في سبيل الله ، ولا ثقل ميزان عبد ،
كثابة تنفق - أي تموت - في سبيل الله ، أو يحمل عليها في سبيل الله (١)

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن في
الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين
السماء والأرض » (٢)

وقد قرر القرآن هذا الفضل لهذا الركن العظيم فقال : ﴿ لا يستوي القاعدون
من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله
المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضل الله
المجاهدين على القاعدین أجراً عظيماً . درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله
غفوراً رحيماً ﴾ (٣)

عن شرحبيل بن السمط قال لكعب بن مرة ، يا كعب حدثنا عن رسول الله
ﷺ واحذر ، قال : سمعته يقول من شاب شيبة في الإسلام في سبيل الله كانت
له نوراً يوم القيامة ، قال له : حدثنا عن رسول الله ﷺ واحذر ، قال : سمعته
يقول : ارموا ، من بلغ العدو بسهم رفعه الله به درجة ، قال ابن النحاس يا
رسول الله ، وما الدرجة ؟ قال : « أما أنها ليست بعتبة أمك ولكن ما بين
الدرجتين مائة عام » (٤)

(٢) فتح الباري : ١٤/٦ رقم ٢٧٩٠

(١) روه أحمد : ٢٤٥/٥

(٣) سورة النساء : الآيتان ٩٥ ، ٩٦

(٤) روه النسائي : ٢٧/٦ كتاب الجهاد باب ثواب من رمى بسهم في سبيل الله

هذه جوانب من منزلة هذا الركن الذي لا مفر منه ، وهذه قيمة الجهاد بالأموال والأنفس في ميزان الله واعتبارات هذا الدين ، وأصلالة ركن الجهاد في الإسلام .

٤ - الجهاد عزنا (١)

تحت هذا العنوان كتب الإمام الشهيد ما يحدد معنى الجهاد تحديداً دقيقاً ، يوضح فيه أصالة الفهم والإحاطة بالموضوع فقال :

« وإن الإخوان المسلمين لا يحملون الناس على غير الإسلام ومبادئ الإسلام ، ولا ينتهجون إلا مناهج الإسلام وشعاب الإسلام ، وقد حدثتكم عنهم في الصلاة والزكاة ، وما يريدون من أنفسهم ومن الناس حيالها ، وهي قوام الأمر ودعامته ، فلا تحدث إليكم الآن عن الإخوان المسلمين المجاهدين ، وماذا يريدون من أنفسهم ومن الناس ، حيال الجهاد في سبيل الله وهو في الإسلام ذروة الشام .

أ- من الجهاد في الإسلام أيها الحبيب : عاطفة حية قوية ، تفيض حناناً إلى عز الإسلام ومجده ، وتهفو شوقاً إلى سلطانه وقوته ، وتبكي حزناً على ما وصل إليه المسلمون من ضعف وما وقعوا فيه من مهانة ، وتشتغل المأ على هذا الحال الذي لا يرضى الله ولا يرضى محمداً ﷺ ولا يرضى نفساً مسلمة ، وقلباً مؤمناً ، ومن ثم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، كما ورد في الأثر المشهور .

مثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان

ب- ومن الجهاد في سبيل الله أيها الحبيب : أن يحملك هذا الهم اندائم والجوى اللاحق على التفكير الجدى في طريق النجاة ، وتلمس سبيل الخلاص ، وقضاء وقت طويل في فكرة عميقة تمحص بها سبل العمل ، وتلمس فيها أوجه الحيل لعلمك تجد لامتك منفذاً أو تصادف متقدماً ، ونية المرء خير من عمله ، والله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

(١) مجموعة الرسائل - هل نحن قوم عمليون ؟ ص ٨٠

ج- ومن الجهاد في سبيل الله أيها الحبيب : أن تنزل عن بعض وقتك ، وبعض مالك وبعض مطالب نفسك لخير الإسلام وفي المسلمين فإن كنت قائداً ففي مطالب القيادة نفق ، وإن كنت تابعاً ففي مساعدة الداعين تفعل ، وفي كل خير قال تعالى : ﴿ وكلاً وعد الله الحسنى ﴾ (١) ويقول سجل شأنه : ﴿ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يظنون موطناً بغيب الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين . ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون ﴾ (٢)

د- ومن الجهاد في سبيل الله أيها الحبيب : أن تأمر بالمعروف وأن تنهى عن المنكر وأن تنصح لله ورسوله ، ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وأن تدعو إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وما ترك قوم الناصح إلا ذلوا ، وما أهملوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا خذلوا . قال الله تعالى :

﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ (٣)

هـ- ومن الجهاد في سبيل الله أيها الحبيب : أن تتكر لمن تنكر لدينه ، وأن تقاطع من عادى الله ورسوله ، فلا يكون بينك وبينه صلة ولا معاملة ، ولا مؤاكلة ولا مشاورة ، وفي الحديث : إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقي الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ، ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد فلا يجتمعه ذلك أن يكون أكبله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض (٤)

(٢) سورة التوبة : الآيتان ١٢٠ ، ١٢١

(٤) رواه أبو داود : ١١٩/٤ رقم ٤٣٣٦

(١) سورة الحديد : الآية ١٠

(٣) سورة المائدة : الآية ٧٩

و- ومن الجهاد في سبيل الله أيها الحبيب : أن تكون جندياً لله ، تقف له نفسك ومالك ، لا تبقى على ذلك من شيء ، فإذا هُدد مجد الإسلام وديست كرامة الإسلام ، ودوى نفير النهضة لاستعادة مجد الإسلام ، كنت أول مجيب للنداء ، وأول متقدم للجهاد وصدق الله العظيم ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١)

وفي الحديث : « من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق » (٢)

وبذلك يتحقق ما يريد الله من نشر الإسلام حتى يعم الأرض جميعاً .

ز- ومن الجهاد في سبيل الله أيها الحبيب : أن تعمل على إقامة ميزان العدل ، وإصلاح شئون الخلق ، وإنصاف المظلوم ، والضرب على يد الظالم مهما كان مركزه وسلطانه .

جاء في الحديث : « أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان أو أمير جائر » (٣) وجاء أيضاً : « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله » (٤)

ح- ومن الجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى : إن لم نوفق إلى شيء من ذلك كله : أن تحب المجاهدين من كل قبلك ، وتنصح لهم بمحض رأيك ، وقد كتب الله لك بذلك الأجر ، وأخلاق من التبعة ، ولا تكن غير ذلك ليطيع الله على قلبك ، ومواخذك أشد المواخذة .

(٢) رواه مسلم : ١٥١٧/٣ رقم ١٩١٠

(١) سورة التوبة : الآية ١١١

(٣) رواه البخاري وأبو داود : ١١٩/٤ رقم ٤٣٤٤

(٤) مجمع الزوائد : ٢٧١/٩

قال تعالى : ﴿ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم . ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت : لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون . إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوائف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ﴾ (١)

وبعد أن عرض الإمام الشهيد بهذا التفصيل لآلوان من الجهاد ، وبين هذه المراتب تحدث عن الإخوان وأين هم من هذه الدرجات فقال :

« وأما أنهم محزونون لما وصل إليه المسلمون متألمون لذلك أشد الألم ، فعلم الله أن أحدهم يجد من ذلك ما يذيب لغائف قلبه وينال من أعماق نفسه ، ويحز في قرارة فؤاده ، ويمنعه في كثير من الأحيان الأيس بأهله وإخوانه ، والمتعة بكل ما في الوجود من لذة وجمال » .

« وأما أنهم يفكرون في سبيل الخلاص فعلم الله أنه ما من فكرة تحتل أفكارهم وما من خطة تستهوي عواطفهم ، وما من شأن يشغل عقولهم كهذا الشأن ، الذي منك عليهم رؤوسهم وقلوبهم واستبد منهم بشعورهم وتفكيرهم » .

« وأما أنهم يبذلون في هذا السبيل وقتاً ومالاً ، فحسبك أن تزور نادياً من أنديتهم لترى عيوناً أذبلها السهر ووجوهاً أشحبها الجهاد ، وجسوماً أضناها النصب ، وأخذ منها الإعياء على أنها فتية بإيمانها قوية بعقيدتها . . . » .

وهناك التقاء في الفهم ، بين أئمة العمل الإسلامي ، في العصر الحديث ، رغم بعد المسافة بينهم ، تشعر أنهم يصدرون عن مورد واحد وهذا دليل الصدق .

يقول أبو الحسن الندوي : « إن السبيل واحد ، فالأمة الإسلامية ، في العصر الحديث ، لا بد لنجاح الدعوة من الانتباه لثلاث نقاط : » .

١ - راحة رتب السجدة ، وهدوء القلب ، وهدوء النفس .

(١) سورة التوبة : الآيات ٩١ - ٩٣

أولها : مرحلة الدعوة وغرس المبادئ والإيمان في القلوب ، تتقدم على غيرها ، وبطول هذه المرحلة وامتدادها ، ومثابرة رجال الدعوة عليها وجهادهم في سبيلها تتجسج المراحل الأخرى وتؤتي الثمرة أكلها ناضجة شبيهة .

ثانيها : إنتاج الرجال الذين يقومون بالدعوة ويندرون دفتها ويملاون كل فراغ ، وكل حركة أو دعوة أو مؤسسة مهما كانت قوية ، إذا لم تستمر في إنتاج الرجال فإنها معرضة للخطر ، وأنها لا تلبث أن ينقرض رجالها وتنقلس في يوم من الأيام .

ثالثها : تغذية القلب والروح بغذاء يحفظ على رجال الدعوة نشاطهم وحماسهم ، ويعوض ما يصرفونه من قوة ، فإن الرجل كالمصباح إذا نفذ زيته ينطفئ ، وذلك أمر مهم ، وإلا فترت النفوس وبردت العواطف ، وتم التراجع إلى الوراء فإذن لا عبرة بالحماسة فقط ، ولا ثقة بالتضحية فحسب بل الشأن في الاستقامة والدوام وليس ذلك إلا بالتربية الروحية ، وتغذية القلب بالإيمان والذكر .

وعلى الشباب المسلم أن يهتدي من حماسه وانفعالاته ، لأن رجل القول غير رجل العمل ، ورجل العمل يختلف عن رجل الجهاد فقط ، وهو غير رجل الجهاد المنتج الحكيم الذي يؤدي إلى أعظم الربح ، وأكرم النتائج . . .

يقول صاحب الظلال :

« إن أشد الناس حماسة واندفاعاً وتهوراً ، قد يكونون هم أشد الناس جزعاً وانهياراً وهزيمة عندما يجد الجد وتقع الواقعة ، بل إن هذه قد تكون القاعدة ، ذلك لأن الاندفاع والتهور والحماسة الفائقة غالباً ما تكون منبعثة عن عدم التقدير لحقيقة التكاليف ، لا عن شجاعة واحتمال وإصرار ، كما أنها تكون منبعثة عن قلة الاحتمال ، قلة احتمال الضيق والأذى والهزيمة فتدفعهم قلة الاحتمال ، إلى طلب الحركة والدفع والانتصار بأي شكل ، دون تقدير لتكاليف الحركة والدفع والانتصار ، حتى إذا ووجهوا بهذه التكاليف كانت أثقل مما قدرُوا ، وأشق مما

تصوروا فكانوا أول الصف جزعاً ونكولاً وانهياراً ، على حين يثبت أولئك الذين كانوا يحسبون أنفسهم ، ويحتملون الضيق والأذى بعض الوقت ، ويعدون للأمر عدته ويعرفون حقيقة تكاليف الحركة ، ومدى احتمال النفوس لهذه التكاليف فيصبرون ويستمهلون ويعدون للأمر عدته ، والمتهورون المندفعون المتحمسون يحسبونهم إذ ذاك ضعافاً ولا يعجبهم قهلهم ، وورثهم للأمور ، وفي المعركة يبين أى الفريقين أكثر احتمالاً ، وأى الفريقين أبعد نظراً كذلك ، ^(١) لعلك يا أخى فهمت ما يعنيه الإخوان بركن الجهاد وأبعاده ودرجائه وهذا هو الفهم الصحيح الشامل للإسلام ، وفرائضه وأركانه .

وعن الجهاد يقول عبد الله بن المبارك رضى الله عنه :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا تعلمت أنك بالعبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه فتحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله فى باطل فخيولنا يوم النصيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ربح السنايك والغبار الأطيب

ومن الملاحظات الهامة ، المتصلة بركن الجهاد ، قضية الإيمان الصادق ، فالصفة الرابعة لن تتم : إلا إذا كان صاحبها متصف بصفات المؤمنين ، فالله تعالى يقول : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ ^(٢) ثم أن الله وعد المؤمنين بالتأييد والتثبيت والنصر والتمكين ، فلكي تتحقق لنا هذه الوعود ، لا بد أن نتصف بصفات المؤمنين .

إن النكت فى ركن الجهاد يكون بالنقود وعدم إجابة نفير الجهاد وقد حذر الله من لا يلبون نفير الجهاد بالعذاب الأليم ، لأننا لو تصورنا أن الغالبية لم تلب النداء ، ستكون النتيجة هزيمة المسلمين ، وتمكن الأعداء منهم ، وفقتهم فى دينهم ، كذلك من يولون الأدبار عند الزحف ، لو تصورنا الغالبية وثبتت الأدبار ،

(١) الظلال : ٧١٢/٥

(٢) سورة التوبة : الآية ١١١

فستكون الهزيمة للمسلمين أيضاً . فإله تعالى يقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله أثأقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ، إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير ﴾ (٢) .

وما هذه الجوازب التي تثاقل بالمرء إلى الأرض إلا متع الدنيا ونعيمها وشهواتها فيجب على الأخ المسلم أن يتخفف منها ؛ حتى لا تعوقه عن الجهاد في سبيل الله ، فيتعرض إلى العذاب الأليم .

* * *

الركن الخامس

التضحية

وأريد بالتضحية : ١ بذل النفس والمال والوقت والحياة وكل شئ في سبيل الغاية . وليس في الدنيا جهاد لا تضحية معه . ولا تضيق في سبيل فكرتنا تضحية ، وإنما هو الأجر الجزيل ، والثواب الجميل ؛ ومن قعد عن التضحية معنا فهو آثم ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ﴾ ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبنائكم ﴾ ﴿ ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ﴾ ﴿ فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً ﴾ . وبذلك تعرف معنى هتافك الدائم ١ والموت سبيلنا الله أسمى أمانينا ٥ .

لقد حمل الله تبارك وتعالى المسلمين أعظم وأثقل أمانة ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ (١) .

ولكى يؤدوا هذه الأمانة خير أداء ، وينهضوا بالمسئولية ، فرض الله عليهم الجهاد في سبيله ، الجهاد بمعناه الواسع الشامل حتى تحيا الدعوة .

وطلب منهم بذل التضحيات في سبيل الله من أجل نصرته دين الله ، ولقد ربي رسول الله ﷺ أصحابه على الجهاد في سبيل الله ، والتضحية في سبيل الله بكل غال وثمين من أجل نصرته هذا الدين ، وكان ﷺ إماماً لهم في الجهاد والتضحية . من أجل هذا دعا الإمام الشهيد إخوانه إلى الجهاد الدائم ، والتضحية الغالية من أجل نصرته دين الله ، فإنه لن تصلح هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، ولن تعز هذه الأمة إلا بما عز به أولها .

(١) سورة البقرة : الآية ١٤٣

ومن أراد الإصلاح والإصلاح ، والمجد والعز بغير جهاد وتضحية فهو حالم واهم .

ومن طلب العلا من غير كد فقد أضاع العمر في طلب المحال

التضحية المطلوبة :

كل من رضى بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً مطلوب منه بذل وتضحية .

وكل من نذر نفسه ، وعاهد ربه على العمل للإسلام ، والجهاد للإسلام مطلوب منه بذل وتضحية غالية .

هذه حقيقة يجب أن تكون واضحة كل الوضوح أمام الأخ المسلم فعليه أن يهيئ نفسه ، وبعدها لتلك التضحية . فما هي تلك التضحية المطلوبة ؟

لقد أوضحها الإمام الشهيد بقوله :

« بذل النفس والمال والوقت والحياة وكل شئ في سبيل الغاية » نعم ، هذه هي التضحية المطلوبة من الأخ المسلم . هذه هي التضحية التي دعا الله إليها ، وربي رسول الله ﷺ أصحابه عليها .

قال تعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ (١) .

﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة ﴾ (٢) .

سمع أبو الدحداح هذه الآية فما وسعه إلا أن يتصدق بأحب ماله وأغلاه (٣) .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٤٥

(١) سورة التوبة : الآية ١١١

(٣) انظر تفسير ابن كثير : ٢٩٩/١ ط . دار المعرفة . بيروت .

وهكذا ترى التربية النبوية يعيشها الصحابة بصورة عملية .

- فهذا أبو بكر يضحى ويبدل كل ماله ، فيسأله الرسول ﷺ : ماذا تركت لعيالك ؟ فيقول : تركن لهم الله ورسوله .

- وهذا صهيب يضحى بكل ما يملك من أجل نصرة دين الله فينزل الله تعالى فيه وفي أمثاله قرآناً يتلى فيقول : ﴿ ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد ﴾ (١)

ويستقبله ﷺ بقوله : « ربح البيع يا صهيب » .

- وهذا مصعب الفتي الشاب الثري المدلل يضحى بكل شيء ويصبح آية من آيات الجهاد والتضحية للشباب المسلم في كل زمان .

- أولئك الصحابيوات الجليلات يبدلن ويضحين من أجل الإسلام كذلك ، فهذه خديجة ، وأم سلمة ، وأم سليم ، ونسيه وأسماء لهن مواقف مشهودة ، وحياة عامرة بالتضحية الغالية .

وتاريخ الصحابة مليء بصفحات التضحية والفداء ، والبذل والعطاء من أجل نصرة دعوة الله .

لا جهاد بلا تضحية :

هذه حقيقة يجب أن نعيها الاندء بكل صراحة ووضوح . من أجل هذا نبه الإمام الشهيد إلى معالم الطريق ، ومتطلباته ليعد كل أخ عدته .

فمن ظن أنه يمكنه أن يخدم الإسلام ، ويساهم في رفع راية الدعوة وهو يضمن بروحه وماله ووقته وأي شيء فليراجع نفسه ، وليقرأ كتاب الله جيداً ، وليتأمل في سيرة رسول الله ﷺ ملياً ، ولينظر في التاريخ ، فإنه سيخرج بحقيقة هي أوضح من الشمس في رابعة النهار : « لا حياة للدعوة إلا بالجهاد » .

(١) سورة البقرة : الآية ٢٠٧

١ ولا جهاد بلا تضحية .

تضحية مأجورة :

ومما يطمئن المؤمن ، ويدفعه للبذل والتضحية أن ما يفعله لا يضع بل يقابل بالإحسان ، وأعظم الجزاء ، وأجزل العطاء من الله تعالى فإنه القائل :

﴿ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ﴾ (١)

﴿ ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ﴾ (٢)

إن أى شيء يبذله الأخ المسلم يؤجر عليه سواء كان صغيراً أو كبيراً . . . وقد ساق الإمام الشهيد آية عظيمة في هذا المعنى وهى قوله تبارك وتعالى : ﴿ ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يظنون موطناً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضع أجر المحسنين . ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون ﴾ (٣)

إن كل ما يقدمه المرء من تحمل للجوع والعطش ، والألم والتعب ، والخطوات التى يمشيها من أجل الدعوة ، والتى تغيظ أهل الكفر والطغيان ، وكل ما يسهم به من أجل نصرة الإسلام قليلاً كان أو كثيراً ، صغيراً أو كبيراً يحفظه الله لعبده ولا يضع ويقابل الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة .

فهنيئاً لأهل البذل والتضحية هذه العطايا الربانية . هنيئاً لهم ما يشعرون به من سعادة نفسية . هنيئاً لهم ما ينتظرونهم من تكريم وحفاوة أخروية .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٥٧

(١) سورة سبأ : الآية ٣٩

(٣) سورة التوبة : الآيتين ١٢٠ ، ١٢١

إثم القاعدين عن التضحية :

إن دعوة الله غالية ، ومن يعمل لها هو الذى يشرف بذلك ، لأنه يشعر حينئذ بوجوده وكيانه ويصبح ذا وزن وقيمة ، ويثاب العزة والكرامة ، ويتذوق حلاوة السكينة والطمأنينة .

لذا فإن الرجال حقاً لا يستطيعون أن يعيشوا بلا دعوة ، وإن الدعوة كذلك تحتاج إلى الرجال .

ولما كانت الدعوة لا تحيا إلا بالجهاد ، ولا جهاد إلا بتضحية ، فقد وجبت التضحية ، وحرّم القعود والبخل وحقى صاحبه الإثم .

هذا ما نطق به القرآن فقد قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ اتَّقُوا اللَّهَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضُكُمْ أَرْضُكُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ - إِلَّا تَنْفَرُوا يَعْذِبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ نَدْعُونَ لِنَتَنَفَّقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلُ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ (٣)

وقال تعالى أمراً رسوله أن يقول للمخالفين :

(٢) سورة التوبة : الآية ٣٨ : ٣٩

(١) سورة التوبة : الآية ٢٤

(٣) سورة محمد : الآية ٣٨

﴿ فَإِنْ تَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَسَنًا ۖ وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ بِعَذَابِكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (٣)

لقد أدرك الإمام الشهيد هذه المعاني ، وعلم العاقبة النخيمة التي تنتظر القاعدين ، فمن ثم أعلن بكل قوة وصراحة أن : من قعد عن التضحية معنا فهو آثم .

كيف لا وقد توعدهم الله ووصفهم بالفسق ؟

كيف لا وقد توعدهم بالعذاب الليم والاستبدال أكثر من مرة ؟

● وها هنا أمر هام يحتاج إلى تنبيه في قول الإمام الشهيد : « ومن قعد عن التضحية معنا فهو آثم » .

فإنه يريد أن يقول : نحن - الإخوان المسلمين - نضحي من أجل نصرة دين الله ، وغيرنا من المسلمين الصادقين فالحمد لله على توفيقه .

أما المسلم الذي لا يضحى مثلما نضحى بل يقعد ويتخلف عن البذل والتضحية فإنه آثم .

ولا يقصد أبداً أن يحصر التضحية المقبولة فيه ومن معه من الجماعة .

ولا يرمي تضحية الآخرين من غير الجماعة بالنضباع ولا يحكم عليهم بالآثم .

فإنه كثيراً ما يثنى على العاملين للإسلام في أي مكان بأي وسيلة ويتمنى لهم الخير ، ويرجو لهم التوفيق ، ويردد كثيراً قول الله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ مِنْهُ مَوْلًى ۚ فَأَسْتَبْقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ (٢) هذا مع اقتناعه بسمو فكرته ، وسلامة منهاجه ، ودقة خطواته على ما سواها بلا فخر .

مواقف عملية :

لقد ربي الإمام الشهيد إخوانه على أن يكونوا عمليين لا نظريين ولا جدليين ، ولا أصحاب شعارات جوفاء .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٤٨

(١) سورة الفتح : الآية ١٦

ومن ثم فقد أبلى الإخوان بلاءً حسناً في مجال البذل والتضحية بكل غال وثمين ، بالنفس والمال والوقت وكل شيء ، واستطاعوا أن يحافظوا على رفع الراية ، وأن ينهضوا بالأعباء الثقيلة مع أن أكثرهم رفاق الحان .

● فهذا يبيع دراجته ليسهم بشتها في بناء دار الإخوان ومسجدهم في الإسماعيلية ، ويذهب بعد ذلك كل ليلة ستة كيلو مترات ذهاباً ومثلها إياباً . ولا يذكر ذلك لأحد .

● وهذا أحد الإخوان المزارعين يسجل اسمه في كتائب المتطوعين ولا يكتفى بذلك بل يبيع جاموسه - وهي بالنسبة للفلاح كراس المال للتاجر - ليشتري بها سلاحاً يقاتل به في فلسطين ، فلما قال له رئيس المنطقة : يا أخى ، دع الجاموسة للعبال ، وحسبك أنك تطوعت بنفسك . . . فقال له الفلاح البسيط العملاق : هل اشترى الله منا النفس وحدها ، أم النفس والمال جميعاً ليعطينا الجنة ؟

﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ (١)

وهل يمكن أن نتسلم البضاعة دون أن ندفع لها الثمن !!؟

● وسبل أرض فلسطين ، ومدن القناة تبتك عن قصص البطولة ، ومواقف التضحية والرجولة للإخوان (٢) .

● وحرى بشباب اليوم أن يعرف كيف كانت تضحية السابقين من الإخوان ، يقول الإمام الشهيد :

« قليل من الناس من يعرف أن الداعية من دعاة الإخوان قد يخرج من عمله المصلحى في عصر الخميس ، فإذا هو في العشاء بالمنا يحاضر الناس ، وإذا هو في صلاة الجمعة بخطب بمنفوط ، فإذا هو في العصر يحاضر بأسبوط ، وبعد العشاء يحاضر بسوهاج ، ثم يعود أدراجه فإذا هو في الصباح الباكر في مركز عمله بالقاهرة قبل إخوانه من الموظفين .

(١) سورة التوبة : الآية ١١١

(٢) انظر كتاب الأستاذ كامل الشريف « الإخوان المسلمون في فلسطين » .

أربع حفلات جامعات يحضرها الداعية من دعاة الإخوان في أطراف القطر في ثلاثين ساعة ، ثم يعود أدراجه هادئ النفس مطمئن القلب بحمد الله على ما وفقه إليه ولا يشعر به إلا الذين استمعوه . هذا مجهود لو قام به غير الإخوان لملا الدنيا صياحاً ودعاية ، لكن الإخوان . . . يؤثرون ألا يراهم الناس إلا عاملين ، فمن أفتحه العمل فيها ، ومن لم يؤثر فيه العمل فلن يرشده القول .

قد يقضى الأخ شهراً أو شهرين بعيداً عن أهله وبيته وزوجه وولده يدعو إلى الله . هو في الليل محاضر وفي النهار مسافر ، يوماً بحزري ويوماً بالعقيق ، فيلقى أكثر من ستين محاضرة من شرق القطر إلى غربه . وقد تضم الحفلات التي يحاضر فيها الآلاف من مختلف الطبقات ، ثم هو بعد ذلك يوصي ألا يكون ذلك محل دعاية أو إعلان . . . (١)

أخى المسلم :

تلك هي النصيحة المطلوبة .

وهذه منزلتها العالية .

وذلك عظيم نجرها ، وإثم القاعدين عنها . فأعدوا للأمر عدته .

واجعلوا الدعوة هي المقدمة دائماً ، وكيفوا كل شيء لها ، وطوعوا كل شيء من أجلها ، وجندوا في سبيلها أنفسهم وأموالكم وأوقاتكم وأعمالكم وكل شيء يبارك الله لكم في كل شيء .

أما العقبات فالحديث عنها طويل لكثرتها .

وهذه العقبات لا بد أن تعترض السالك لتعوقه وتشبطه وتوهن من عزيمته ، وتشتت همته ، وتشتت فكره ، وتنقص جهده ، وتصرفه عن هذا الطريق .

الأخ المسلم بعمله في حقل الدعوة في تجارة رابحة مع الله ، رأس ماله فيها كل نعمة أنعم الله عليه بها ، ويمكنه تسخيرها في حقل الدعوة ، كالتوفيق والعلم

(١) مجموعة الرسائل (رسالة المؤتمر الخامس) ص ١٦٣ ، ١٦٤

والمال والصحة والجهد وكل شيء ، فليحرص الأخ المسلم ألا يضع جزءاً من وقته، دون تسخير لهذه النعم ، فالوقت هو الحياة ، والتواجبات أكثر من الأوقات خاصة وأن هذه التجارة يمكن أن تتوقف بين لحظة وأخرى بانتهاء الأجل .

﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ... ﴾ (١) الآية .

* * *

(١) سورة الصف : الآيتان ١٠ ، ١١

الركن السادس

الطاعة

يقول الإمام الشهيد : « وأريد بالطاعة :

« امتثال الأمر ، وإنفاذه توطاً في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وذلك أن مراحل الدعوة ثلاث :

١- « التعريف بنشر الفكرة العامة بين الناس ، ونظام الدعوة في هذا نظام الجمعيات الإدارية ، ومهمتها العمل لتخير العام ، ووسيلتها الوعظ والإرشاد تارة وإقامة المنشآت النافعة تارة أخرى . . . » .

٢- « التكوين : وذلك باستخلاص العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد وضم بعضها إلى بعض . . . » .

٣- التنفيذ : والدعوة في هذه المرحلة جهاد لا هوادة فيه ، وعمل متواصل في سبيل الوصول إلى الغاية وامتحان وإبتلاء لا يصبر عليهما إلا الصادقون . . . » .

يقول الإمام : وأريد بالطاعة :

امتثال الأمر وإنفاذه توطاً في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وذلك أن مراحل هذه الدعوة ثلاث :

التعريف : بنشر الفكرة العامة بين الناس ، ونظام الدعوة في هذه المرحلة نظام الجمعيات الإدارية ، ومهمتها العمل لتخير العام ووسيلتها الوعظ والإرشاد تارة ، وإقامة المنشآت النافعة تارة أخرى ، إلى غير ذلك من الوسائل العملية .

وكل شعب الإخوان القائمة الآن تمثل هذه المرحلة من حياة الدعوة ، وينظمها « القانون الأساسي » وتشرحها وسائل الإخوان وجريدتهم ، والدعوة في هذه المرحلة « عامة » .

ويتصل بالجماعة فيها كل من أراد من الناس متى رغب المساهمة في أعمالها
ووعده بالمحافظة على مبادئها .

وليست الطاعة النامة ، لازمة في هذه المرحلة ، بقدر ما يلزم فيها ، احترام
النظم والمبادئ العامة للجماعة .

التكوين : باستخلاص العناصر الصالحة ، لحمل أعباء الجهاد ، وضم بعضها
إلى بعض .

ونظام الدعوة - في هذه المرحلة - صوفي بحث من الناحية الروحية ،
عسكري بحث من الناحية العملية .

وشعار هاتين الناحيتين دائماً (أمر وطاعة) من غير تردد ولا مراجعة ولا شك
ولا حرج ، وتمثل الكنائس الإخوانية هذه المرحلة من حياة الدعوة ، وتنظمها
رسالة المنهج سابقاً ، وهذه الرسالة الآن .

والدعوة فيها « خاصة » لا يتصل بها إلا من استعد استعداداً حقيقياً لتحمل
أعباء جهاد طويل المدى ، كثير التبعات ، وأول بوادر هذا الاستعداد ، كمال
الطاعة .

التنفيذ : والدعوة في هذه المرحلة ، جهاد لا هوادة معه ، وعمل متواصل في
سبيل الوصول إلى الغاية ، وامتحان وإبتلاء ، لا يصبر عليهما إلا الصادقون ،
ولا يكفل النجاح في هذه المرحلة إلا « كمال الطاعة كذلك » وعلى هذا بايع
الصف الأول من الإخوان المسلمين في ٥ ربيع الأول سنة ١٣٥٩ هـ .

وأنت بانضمامك إلى هذه الكتبة ، وتقبلك لهذه الرسالة ، وتعهديك بهذه
البيعة ، تكون في الدور الثاني ، وبالقرب من الدور الثالث ، فقدر التبعة التي
الترمتها ، وأعد نفسك لنوفاء بها .

وتقول إن السمع والطاعة لازمتان من لوازم الاجتماع ، وهما في الحقيقة بمثابة
العمود الفقري من الإنسان لكل أمة من الأمم حيث لا يتأتى دفع عدو ، أو
انتصار جيش إلا إذا كان السمع والطاعة خلقاً متأصلاً في كل فرد من أفراد هذه

الامة متماسكة قوية ثابتة ما كانت لها الكلمة ومن وراثتها كل فرد يسمع ويطيع ،
قول الله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر
منكم ﴾ (١).

وانظر كيف أن الله سبحانه علق على هذه الطاعة بمبتعلق هو في ذات الوقت ،
الحقيقة الإيمانية بكلا طرفيها من الإيمان بالله واليوم الآخر ، فقال : ﴿ إن كنتم
تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ ولم يقف البيان الإلهي عند هذا الحد وهو جد عظيم
ولكن يستطرد البيان فيؤكد أن هذا هو الخير وهو فعلاً وحقيقة هكذا .
ولم يحدث أن فرداً أو جماعة فرطت يوماً في هذا الأمر وجنت خيراً .

وما غزوة أحد عنا بعيد ، وكيف أن الرسول ﷺ أمر الرماة ألا يغادروا
أماكنهم ، حتى ولو تخطفتهم الطير ، ولكنهم مع بشائر النصر للمسلمين ،
وهزيمة المشركين ، ظنوا أن المعركة قد انتهت ، فتركوا وتركوا أماكنهم ، مخالفين
بذلك أمر الرسول ﷺ ، مما حول خط سير المعركة وألحق بالمسلمين بعض الأذى
واستشهد سبعون وذلك لتكون درساً على مر التاريخ يؤكد وجوب الطاعة ويحذر
من مغبة المعصية .

وهاكم طليعة مليونين من الجنود الطليان في موقعة العلمين أثناء الحرب العالمية
الثانية يعتاد يفوق عتاد أعدائهم ولكنهم كانت تصدر إليهم الأوامر بالزحف
والتقدم فكانوا يلتصقون بالأرض جبناً وهلعاً ولا يجيبون . فما أغتتهم هذه الكثرة
وهذا التفوق شيئاً وهم على هذا الحال من التفكك وعدم إطاعة الأوامر الصادرة
إليهم وكانوا يسلمون بالجبهة كاملة ، ومن هنا نرى خطورة هذا العمل وأنه تحول
خراباً شاملاً ودماراً كاملاً لإيطاليا .

إذا علمنا ذلك كله ، علمنا عظمة هذا الدرس في القرآن الكريم وكيف أن نبياً
كريمياً ذهب في تدريبه لجنده ليعودهم الطاعة وليقف بهم يوم أن يقف لأعداء الله
بجند : السمع والطاعة ديدنهم وطبعهم الأصل ، وليس الحرص على الحياة

(١) سورة النساء : الآية ٥٩

وتفاهاتها ، وإن جنحاً يجعلون من أنفسهم للموت مراصد ويضربون الأرض بأرجلهم ثابتين لا يلوون على شيء إلا وهبوا الحياة العزيزة قال الله تعالى : ﴿ فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني .. ﴾ (١)

ومن أجل ذلك يقول رسول الله ﷺ : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » (٢) إما هوى الجندي ورغبته أو ما يصيبه في بعض الحالات من جراء الطاعة فهذا شيء ممنوع أن يقف أمام الطاعة فعليك السمع والطاعة في عسرك وسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك .

ومن هذه النظرة لذات القائد دون النظر لما يمثل ويحمل من معنى يبدأ خط الانحراف بالسمع والطاعة .

إلا أن السمع والطاعة في الإسلام من أجل معنى معين فهي واجبة ما تحقق هذا المعنى وليس وجوبها بحال من الأحوال لهذه المنافع الجاهلية أو بعضها وإن الجندي الذي يطيع من أجل هذه المنافع إنما يجعل من نفسه سلعة في سوق بائرة فلا سمع إذن من أجل الشارة والوسامة وحسب ولا سمع إذن من أجل صلة من صلات النسب والدم ، لا سمع إذن من أجل تحقق نفع مادي على يد هذا أو ذاك ، وصدق رسول الله ﷺ إنما السمع والطاعة في المعروف ، وكل ما أمر الله ورسوله وأولو الأمر على شرط تنفيذهم وتخريبهم أوامر الله ونواهيهم ومسيرهم في رعيتهم وفق هذه السياسة كل ذلك معروف تجب فيه الطاعة للأمير وتلك مؤهلاته :

١- إيمان قوي . ٢- تقوى الله عز وجل .

٣- دراية وقوة . ٤- أمانة وإخلاص .

(١) سورة البقرة : الآية ٢٤٩

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم : ٢٢٦/١٢

٥- ليس بفظ ولا غليظ القلب ، وهذه حدوده .

أ - إنفاذ شرع الله كما أمره الله .

ب - الدعوة الدائمة إلى الله حتى لا يبقى على ظهر الأرض إنسان لم يسمع كلمة الله .

ج - السير في رعيته وفق ما تحمل هذه الأمانة .

وإذا كان ولا بد أن يتحلى القائد بصفات فهي الصفات التي يتحقق بها ما يناط به من أعمال وعلى الجملة فلا بد أن يكون القائد في الإسلام مؤمناً قوياً بالإيمان نقياً على دراية وقوة فيما انتدب له أميناً مختصاً لما يعمل له وبه ، وليس فقط غليظ القلب ولكن حليماً وذا أناة وروية يعرف حق الناس من حوله وحق الله عليه وسواء بعد ذلك أكان صغيراً أم كبيراً غنياً أم فقيراً أسود أو أبيض ذميماً أو جميلاً فكم من دميم وكم من حامل الذكر هو خير من ملء الأرض من أمثال هؤلاء الذين تحملهم الشارات وتحملهم قسامة ووسامة ولكن كثيراً من الناس يغفلون عن هذا وإن من ينظر لقائده من هذه الزوايا التي لا ينظر إليها إلا البسطاء الذين اضمحل كياناتهم الداخلية واهتزت نفوسهم والقيم من حولهم فإنما يضع من جماعته كثيراً من وقتها الثمين ويبدد جهدها وطاقتها أبنائها .

وإن أعظم مثل في التاريخ الإسلامي لضربه للسمع والطاعة هو : عمل خالد ابن الوليد حيث أتاها كتاب أمير المؤمنين لمصلحة قدرها يأمره فيه بأن يسلم إمرة الجيش لأبي عبيدة عامر بن الجراح والراية بيد خالد والمسلمون يخوضون أعنف معركة عرفها التاريخ فجيش المسلمين لا يزيد على أربعين ألفاً أمام جيش في الحديد والزرز من فرسان الرومان وراجماتهم ، تعداده لا يقل عن مائتي ألف ولم تضطرب الراية في يد خالد ولم يوقف القتال لأن أمراً عظيماً على نفسه كهذا جاءه وإنما أمضى المعركة حتى أنهاها مع أعداء الله بانتصار جند الله ثم لم يذهب إلى خيمته حتى نادى أبا عبيدة وأمام الجميع أمسك الراية والبسه عمامة القائد بيده وتلى أمر الخليفة وقال له أنا جنديك السامع المطيع يا أبا عبيدة فكان مثلاً في التاريخ يتضاهل أمام كل مثل .

ولقد أحسن شاعر النيل حافظ إبراهيم تصوير هذا الموقف فقال :

سل قاهر القوس والرومان هل شفعت له الفتح وهل أغنى تواليا
عزى فأبلى وخيل الله قد عقدت بالنصر والبشرى نواصيا
لم يعجز بلدة إلا سمعت بها الله أكبر تدوى فى نواحيها
وتخالد فى سبيل الله موقدها وتخالد فى سبيل الله صاليتها
أما أمر أبى حفص فقبله وعزة النفس لم تخرج حواشيها

والجماعة التى تصدى لإحجار مهام عظيمة ، لا يمكنها تحقيق تلك المهام ، ما لم يكن لقيادتها حق الطاعة ، على المتممين إليها فى غير معصية . وقد يبدو للمفرد أحيانا أن الأمر المطلوب منه تنفيذه ليس له مبرراته ، أو دوافعه ، فلا يجوز أن يكون ذلك سببا فى عدم تنفيذ الأمر وطاعته ، فالقيادة مسئولية أولا ، وهى عادة أكثر إلما بالظروف المحيطة والدوافع والمبررات بما لا يتوفر لكثير من الأفراد . وفى ظل الشورى للأفراد أن يبدوا آراءهم ، وحينما تنتهى الجماعة إلى رأى على الجميع الالتزام به توحيداً للكلمة والتوجه ، ولا يجوز لصاحب الرأى المخالف أن يتحدث بعد ذلك عن رأيه داخل الصف ، حتى لو أثبت التجربة أن رأيه الذى لم يؤخذ به كان الأصوب . فلأن يجتمع الصف على الصواب خير من أن يتفرق حول الأصوب . ففى الاجتماع على الصواب يمكن أن نصل إلى الأصوب ، أما لو حدث الافتراق فلن يكون هناك اجتماع على صواب ، ولا على أصوب .

* * *

الإكس السابع

الثبات

وأريد بالثبات : أن يظل الأخ عاملاً مجاهداً في سبيل غايته ، مهما بعدت المدة وتطاوت السنوات والأعوام ، حتى يلقي الله على ذلك وقد فاز بإحدى الحسينين : فإما الغاية وإما الشهادة في النهاية ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾ (١) . والوقت عندنا جزء من العلاج . والطريق طويلة المدى ، متعددة المراحل ، كثيرة العقبات . ونكتها وحدها التي تؤدي إلى المقصود مع عظيم الأجر وجميل المثوبة . وذلك أن كل وسيلة من وسائلنا الستة ، تحتاج إلى حسن الإعداد ، وتحين الفرص ، ودقة الإنفاذ . . .

وكل ذلك مرهون بوقته ﴿ ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً ﴾ (٢) . إن دعوة الله حتى نجها وتثبت وتنتشر وتزدهر تحتاج إلى رجال من تكوين خاص ، رجال مخلصين عاملين مجاهدين ويضحون ، ويظلون على ذلك ، ويشبثون أمام المحن والابتلاءات ، والإغراءات والتهديدات ، ويصبرون على المشقات ويغالبون العبابات . . كل ذلك بلا كلل ولا ملل ، ولا انقطاع ولا فتور . . .

نعم ، إن ثبات الرجال السنين الطوال أساس لنجاح الدعوات والأعمال . من

(١) سورة الأحزاب : ٢٣

(٢) سورة الإسراء : ٥١

أجل هذا جعل الإمام الشهيد الثبات ركناً من أركان البيعة ، مسترشداً بهدى القرآن ، وسيرة سيد الأنام ﷺ .

قال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١)

﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٢)

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزَلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (٣)

وجاء في الحديث : عن أبي عبد الله خباب بن الارت رضى الله عنه قال : شكونا إلى النبي ﷺ ، وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة ، فقلنا : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعونا ، فقال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل ، فيحفر له في الأرض ، فيجعل فيها ، ثم يؤتى بالمنشار ، فيوضع على رأسه ، فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد ، ما دون لحمه وعظمه ، ما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا الأمر ، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون (٤)

فكثيراً ما يأمر الله تبارك وتعالى بالصبر والثبات . لأن طريق الدعوة مليء بالعديد من الآفات ، والعقبات ، والمنعطفات ، فإذا لم يتحلى الجندي بالصبر والثبات فستكون العقوبة وخيمة .

ثبات الرسول وأصحابه :

ولنا في رسول الله أسوة حسنة ، فقد ظل عاملاً مجاهداً في سبيل غايته رغم

(٢) سورة البقرة : الآية ١٧٧

(٤) رواه أحمد : ١١١/٥

(١) سورة آل عمران : الآية ٢٠٠

(٣) سورة البقرة : الآية ٢١٤

العقبات والمشقات ، والإغراءات والتهديدات ، فقد عرض عليه المشركون المال والجاه وكل اللذات في مقابل التنازل عن دعوته ، فلم يفلحوا ، فلهجوا إلى التهديد والوعيد ، فلم يفلحوا كذلك ، وقال ﷺ كلمته المشهورة لعنه ، لتسمعها الدنيا كلها غير العصور ، ولتأسى بها الدعاة في كل مكان : « والله يا هم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » (١)

ولقد تربي الصحابة على هدى نبيهم ﷺ ، فصبروا وثبتوا ، ولم يضعفوا ولم يستكينوا حتى لقوا ربهم ومنهم من فاز بالشهادة ومنهم من أقر عينه بالنصر . فهذه سبعة ، وهذا ياسر ، وهذا بلال ، وهذا مصعب وهؤلاء أصحاب رسول الله كثير وكثير صبروا وثبتوا وأوفوا بالعهد ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ﴾ (٢)

وهذا الصديق الرفيق الرفيق ثبت أمام طوفان الردة ويظهر عليه ويقول : « أيفض الدين وأنا حي » . والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه .

لقد كان أصحاب رسول الله ﷺ من أوائل المعنيين بقول الله تعالى : ﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين . وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴾ (٣)

آفات وعقبات :

لقد أكد الإمام الشهيد على ركن الثبات ، لأن طريق الدعوة مليء بالآفات المهلكة ، والعقبات المشبطة ، ولا يمكن الفكاك من هذه والوقاية من تلك إلا بالتحلي بالثبات .

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٢٣

(١) سيرة ابن هشام : ١ / ٢٤٠

(٣) سورة آل عمران : الآيات ١٤٦ ، ١٤٧

● فمن الناس من يتلى بأفة الاستعجال ، لأن نفسه قصير وتحمله قليل .
 فأمثال هؤلاء المساكين ينقطعون ولا يصلون . لذا أمر الله بالصبر وحذر من
 الاستعجال ، فقال لموسى عليه السلام : ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا
 تستعجل لهم ﴾ (١) .

● ومن الناس من يتلى بأفة العبادة على حرف ، فيظل في طريق الدعوة ما
 دام الجور رخاء لا ابتلاء فيه ولا إيذاء . وأمثال هؤلاء سرعان ما ينقلبون ويتكسبون
 ويخسرون كل شيء ، فلزم الصبر والثبات .

﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابه فتنة
 انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ﴾ (٢) .
 ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذى في الله جعل فتنة الناس كعذاب
 الله ﴾ (٣) .

● وقد ينجح الآخر ويثبت أمام امتحان الشدة والبلاء ، ولا تلين قناته ،
 ويواصل السير ، ولكنه قد لا ينجح في الامتحان إذا تعرض لفتنة الدنيا والمال ،
 فإذا عرض عليه منصب رفيع ، أو مال وفير ، تحلب فمه ، وسان نعايه ، وفقد
 توازنه ، ونسى ما كان يدعو إليه من قبل ، ولا عاصم من ذلك ، إلا بالاحكام
 في الدعاء أن يثبت الله منا الأقدام وأن يربط على القلوب .

طبيعة الطريق وضرورة الثبات :

لقد كان طلب الإمام الشهيد ، وتأكيد على ركن الثبات أمراً ضرورياً وذلك
 لأن طبيعة طريق الدعوة تستلزمه ، ولقد حرص رحمه الله أن يوضح لإخوانه
 ولكل من يريد العمل لإسلام طبيعة هذا الطريق حتى يكون على بينة من الأمر ،
 ولئلا يعيش في خيال .

(١) سورة الأحقاف : الآية ٣٥ . (٢) سورة الحج : الآية ١١ .

(٣) سورة التكوير : الآية ١٠ .

فما هي طبيعة الطريق ؟

قال رحمه الله : « والطريق طويلة المدى ، متعددة المراحل ، كثيرة العقبات » .

● ولقد أكثر الإمام الشهيد في الرسائل من ذكر غاية الإخوان ، ومهمة الإخوان ، ووسائلهم ومناهجهم ، وعدتهم .

فينبغي للأخ المسلم العامل أن يتعرف على ذلك ليذكر سمو هذه الغايات ، وعظم المهمات ، وكذلك الوسائل والمناهج والعدة اللازمة لتحقيق ذلك حتى يكون على بصيرة : هل الطريق طويلة أو قصيرة ؟ خصوصاً في هذا الواقع الذي نخيم على الأمة منذ أكثر من قرن .

● كذلك تحدث الإمام الشهيد عن مراحل الدعوة وبين أنها ثلاث :

١- مرحلة التعريف .

٢- مرحلة التكوين .

٣- مرحلة التنفيذ .

ولكل مرحلة متطلباتها التي تحتاج إلى بذل وإعداد وصبر وتحمل وأناة وتروى ...

● وتحدث الإمام الشهيد عن العقبات التي تعترض الأخ في طريقه بكل وضوح وصراحة فقال :

« سيقف جهل الشعب بحقيقة الإسلام عقبة في طريقكم .

وستجدون من أهل التدين ومن العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للإسلام وينكر عليكم جهادكم في سبيله .

وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذوو الجاه والسلطان .

وستقف في وجهكم كل الحكومات على السواء .

وستحاول كل حكومة أن تحد من نشاطكم وأن تضع العراقيل في طريقكم .

وسيتدرع الغاصبون بكل طريق لناهضتكم واطفاء نور دعوتكم .
وسيستعينون في ذلك بالحكومات الضعيفة والأخلاق الضعيفة والأيدى الممتدة
إليهم بالنسؤال واليكم بالإساءة والعدوان .

وسيشير الجميع حول دعوتكم غبار الشبهات وظلم الاتهامات .
وسيحاولون أن يلصقوا بها كل نقيصة ، وأن يظهروها للناس في أبشع صورة ،
معتمدين على قوتهم وسلطانهم ومعتمدين بأموالهم ونفوذهم ﴿ يريدون أن يطفئوا
نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ (١) .

وستدخلون بذلك ولاشك في دور التجربة والامتحان ، فتسجنون وتعتقلون ،
وتنقلون وتشردون ، وتصادر مصالحكم ، وتعطل أعمالكم ، وتفتش بيوتكم ،
وقد يطول بكم مدى هذا الامتحان ﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم
لا يفتنون ﴾ (٢) .

﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم . تؤمنون بالله
ورسله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم
تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة
في جنات عدن ذلك الفوز العظيم . وأخرى نجونها نصر من الله وفتح قريب وبشر
المؤمنين . يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين
من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فأمنت طائفة من بني إسرائيل
وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ﴾ (٣) .

فهل أنتم مصرون على أن تكونوا أنصار الله ؟ (٤) .

هذا طرف من طبيعة الطريق وما فيها من طول ومراحل وعقبات ، وإن
اجتيازها يحتاج بلاشك إلى ثبات .

(٢) سورة العنكبوت : الآية ٢

(١) سورة التوبة : الآية ٣٢

(٣) سورة الصف : الآيات ١٠ - ١٤

(٤) مجموعة الرسائل (رسالة بين الأمس واليوم) ص ١٤٣

الوقت جزء من العلاج :

هذه كلمة حكيمة ، لا بد أن يستوعبها كل سائر على طريق الدعوة خصوصاً في هذا الواقع الأليم الذي تكالبت فيه أمم الكفر على المسلمين تريد سحقهم ومسحهم وردهم عن دينهم مستغلين ضعف المسلمين في كثير من المجالات الأساسية للتهوؤ . ولقد تأثرت بلاد المسلمين بكثير من الأمراض الفتاكة ، والأدواء المعضلة .

وإن علاج هذا الواقع لا يكون طفرة ، ولا بلمسة سحرية ، فهذا يخالف سنن الله في كونه ﴿ فلن نجد لسنة الله تبديلاً ولن نجد لسنة الله تحويلاً ﴾ (١)

بل العلاج يحتاج إلى ثلاثة هي :

● معرفة موطن الداء .

● والتصبر على آلام العلاج .

● والتمسك الذي يتولى ذلك حتى يحقق الله على يديه الغاية ويتمم الشفاء والظفر .

وهذا كله يحتاج إلى وقت ، والوقت يحتاج إلى صبر ، فلا مكان للمتحمسين المتعجلين ، ولا لأصحاب النفس القصير .

عاقبة الثبات :

إن الثبات تكليف ضخم ، لذلك فإن جزاءه عظيم ، قاله تعالى يكون مع عبده الثابت يؤنس ، ويخفف عنه ، ويشرح صدره . . . ثم ينصره ، ويقربه منه في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

فلنتأمل قول الله تعالى : ﴿ واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض

(١) سورة فاطر : الآية ٤٣

تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ﴿١﴾

وقوله تعالى : ﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين . وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين ﴾ (٢)

فهنيئاً لمن ثبتوا ، هنيئاً لمن ثبتوا ، هنيئاً لمن ثبتوا .

مواقف عملية :

لقد وفق الله الإخوان إلى حمل الراية ، ووفقههم للثبات على رفعها رغم ما تعرضوا له من ابتلاءات وإيذاء وإغراءات ورغم ما خاضوه من معارك شعواء .

فعاثوا الثبات عملياً ، ولم يكن شعاراً نظرياً .

من أجل هذا وقفوا في وجه الطواغيت في الداخل ، ووقفوا في وجه الطواغيت في الخارج ، وقاوموا العلمانيين ، مقاومتهم للغاصبين المعتدين ، ولم يجدوا قارفاً بين من يعتدي على أرض الإسلام ، ومن يعتدي على شريعة الإسلام ولهذا خاضوا معركة تحرير الأرض كما خاضوا معركة تحكيم الشرع .

وسالت دماؤهم على أيدي الكفار اليهود والإنجليز ، كما سالت دماؤهم على أيدي القبحار ممن يتسمون بأسماء المسلمين ، وقدموا الشهداء على أرض فلسطين والقناة في ساحات القتال ، وشهداء مثلهم على أرض لبنان طرط والقلعة والسجون الحربية وغيرها في ساحات التعذيب .

وكم حاولت قوى عديدة ، بارزة ومستترة ، في الداخل والخارج ، أن تشتري الإخوان بالمال أو المناصب ، وبذلك يحتوى الحركة ويسيطرون عليها ، ولكن هذه القوى الماكرة الغادرة لم تجد عند الإخوان ، ولا عند مرشد الإخوان أدناً

(٢) سورة آل عمران : الآيات ١٤٦ - ١٤٨

(١) سورة الأنفال : الآية ٢٦

صاحبة ، إنما وجدت الرفض الصارم ، والجواب الحاسم : ﴿ أتمدنون بما لا فما أتاني الله خير مما أناكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ﴾ (١) .

وكم لجأت هذه القوى إلى أسلوب الوعيد بعد أن أخفق أسلوب الوعد ، ولوحت بالتهديد بعد أن خاب الإغراء ، ولم يكن أسلوب الوعيد والتهديد بأنجح من أسلوب الوعد والإغراء . فكلا السهمين ارتد إلى نحر صاحبه .

ولم تجد تلك القوى - التي ترجى وتحسب - إلا الإصرار على الدعوة ، والثبات عليها ، وإن توعدوا بالنار والدمار ، أو وعدوا بوضع الشمس في اليمين والقمر في اليسار .

وهذا الإباء الأثم ، والموقف الصلب من قضية الإسلام ، وقضايا المسلمين ، ورفض كل محاولة للمساومة عليها أو التفريط فيها ، طالما عرض الحركة لشددير المكاييد لها ، وحياسة المؤمرات لضربها ، بل العمل على اقتلاعها من الجذور لو استطاعوا . وهذا هو السر وراء المحن القاسية المتلاحقة ، والضربات الهمجية المتتابعة ، التي جعلت الجماعة لا تفيق من محنة إلا لتدخل في أخرى .

وبرغم هذا لم تكن قناة الإخوان للوعد والوعيد قبل المحن ، ولا لانت قناتهم أثناء المحن ، ولا لانت كذلك بعد المحن ، لقد صبروا صبر الرجال ، وثبتوا ثبات الأبطال ، وإن شئت قلت : ثبت المؤمنون الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه (٢) .

على هذا الطريق يجب أن يمضي المسلم ، غير ملتفت للمتساقطين على جانبي الطريق ، ونحن لا نشفق على الجماعة من قعود قاعد ، أو انشقاق منشق ، بقدر ما نشفق على من لا يشبثون ، أن يرحموا بركة الجماعة ، واخبر والشرف العظيم بمواصلة السير .

(١) سورة النمل : الآية ٣٦

(٢) التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا - د. يوسف القرضاوي - ص ٤٧ ، ٤٨

والمسلم في سيره لا يبالي من طول الطريق لأنه يعلم أن هدفه عظيماً (إقامة الدولة الإسلامية والخلافة الإسلامية) ، وبذلك تسترد أرض الإسلام المقتضية وعلى رأسها فلسطين ، والمسجد الأقصى ، ونفتح آفاقاً جديدة لدين الله في أرضه ﴿ حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ .

هذا الهدف العظيم ، الوقت فيه لا يقاس بعمر الأفراد ، ولكن بعمر الدعوات والامم فلا نستطيع الوقت ولا الطريق ، ولا بداخلنا اليأس خاصة والمطلوب إزالة ركाम من التخلفات والانحرافات والجهل والبدع والضعف والوهن ، وغير ذلك ؛ ليقوم البناء على أساس متين وعناصر متينة من جند العقيدة .

والذي يعين المسلم على تحمل طول الطريق والثبات : الإيمان القوي ،
والأخوة الصادقة ، فالإيمان ينير الطريق ويحمي من الانحراف ، والأخوة تسدد
الخطوات على الطريق .

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك .

الركن الثامن

التجرد

يقول الإمام رضوان الله عليه : « وأريد بالتجرد : أن تتخلص
لفكرتك عما سواها من المبادئ والأشخاص ، لأنها تسمى الفكر
وأجمعها وأعلاها » صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » .

« قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء
منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم ويدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً
حتى تؤمنوا بالله وحده » . والناس عند الأخ الصادق واحد من ستة أصناف :
مسلم مجاهد ، أو مسلم قاعد ، أو مسلم آثم ، أو ذمي معاهد ، أو محارب ، أو
محارب ، ولكل حكمه في ميزان الإسلام ، وفي حدود هذه الأقسام توزن
الأشخاص والهيئات . ويكون الولاء أو العداة .

معنى التجرد :

المعنى اللغوي : الجرادة بالضم ما قشر عن الشيء ، والتجريد التعرية من
أشياء ، والتجرد التعري وتجرد للأمر : أي جرد فيه ^(١) .

المعنى الشرعي :

هي أن تتجرد لله تعالى من كل ما سواه ، أن تكون الحركة والسكون في السر
والعلن لله تعالى ، لا يمازجه نفس ولا هوى ولا دنيا ولا جاء ولا سلطان .

قال الله تعالى :

(١) مختار الصحاح .

﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ (١)

فإبراهيم الخليل عليه السلام والذين معه بهذا الموقف تجردوا التجرد الكامل من قومهم وفيهم آبائهم وعشيرتهم ، تبرعوا من القوم وأصنامهم ، وكفروا بالباطل المعوج وهجروا عبدة الأوثان والذين جعلوا لله أندادا .

يقول الإمام حسن البنا :

« التجرد أن تتخلص تفكرتك عما سواها من المبادئ والأشخاص لأنها أسمى الفكر وأجمعها وأعلاها : ﴿ صيغة الله ومن أحسن من الله صيغة ونحن له عابدون ﴾ (٢) .

مبنيان :

من علامات التجرد الحق أن صاحبه يزن الأشخاص والهيئات ويزن كل شيء بميزان الدعوة ، ويحدد موقفه من الجميع بناءً على ذلك ، فهناك المسلمون المجاهدون فهؤلاء نحيم وتواليهم ، ونزورهم ونقضي حوائجهم ، ونحسن الصلة بهم .

وهناك المسلمون القاعدون : فهؤلاء نحرك همهم وتوالي نصحبهم مع التماس الأعذار لهم .

وهناك الآثمون ، هؤلاء نذكرهم ونعظهم ، وندعوهم إلى العودة إلى الله .
وهناك ذميون . لم ينقضوا عهداً ، ولم يظهروا العداوة فهؤلاء لهم التسامح منا ، والإنصاف ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا .
وهكذا المتجرد يكون في موقفه من الناس الذي يحدده هو تجرده لدعوته ، وإخلاصه لها .

(١) سورة الفتح : الآية ٤

(٢) سورة البقرة : الآية ١٣٨

ويخلق التجرد ضرورة للصف المؤمن العامل ، وهو ركن من أركانه لا ينهض
ويؤدي دوره إلا به .

يقول الأستاذ المودودي رحمه الله :

« إن الدولة الفكرية التي يدعو إليها أمثال هؤلاء الرجال الذين قد استولوا
على الأمد في الصدق والعفاف وصفاء السيرة والإخلاص في العمل ،
والاستعساك بالمبادئ والتجرد عن الأغراض والشهوات ، لا بد أن يكون فيها
سعادة للبشر ، وسلام ودعة للإنسانية المعذبة ، فهناك تنجذب إلى هذه الدعوة
أفئدة الذين يوجد فيهم شيء من الخير والصلاح » (١)

ومن علامات التجرد :

تقديم النفس رخيصة في سبيل الله .

قال شذاد بن الهاد :

« جاء رجل من الأعراب إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه . فقال : أهاجر
معك؟ فأوصى به أصحابه ، فلما كان غزوة خيبر غنم رسول الله ﷺ شيئاً
فقسمه ، وقسم للأعرابي فأعطى أصحابه ما قسم له ، وكان يرعى ظهريهم - أي
الإبل - فلما جاء دفعوه إليه فقال : ما هذا ؟ قالوا : قسم قسمه لك رسول الله
ﷺ ، فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال ما هذا يا رسول الله ؟ قال : قسم
قسمته لك ، قال : ما على هذا اتبعتك ، ولكن اتبعتك على أن أرمي هاهنا -
وأشار إلى حلقه - بسهم فأموت فأدخل الجنة ، فقال : إن تصدق الله بصديقك ،
ثم نهضوا إلى قتال العدو ، فأتى به النبي ﷺ مقتول . فقال :

أهو هو ؟ قالوا : نعم ، قال : « صدق الله فصدقته » (٢)

(١) كتاب نظرية الإسلام وهدى ص ٨٤

(٢) سنن النسائي : ٦٠ / ٤ ، كتاب الجنائز باب الصلاة على الشهداء .

إن من يفتتح بعظمة الإسلام الذي قدمه الكتاب والسنة ، وشهدت نفسه أن هذا هو الحق ، وليس بعد الحق إلا الضلال ، لزمه أن يتجرد لله وأن يستسلم وينقاد لأمر الله ، وأن يلزم نفسه بأن يدير أمره وحياته كلها وفق أحكام الله وأوامره .

إن الذين يريدون أن يقيموا هذا الحق في الأرض يجب أولاً أن يقيموا في أنفسهم وضمائرهم وحياتهم ، في صورة عقيدة وخلق وعبادة وسلوك .

وما أجملها من عبارة قالها الأستاذ المرشد حسن الهضيبي رحمه الله . . .

أيها الإخوان : « اقيموا دولة الإسلام في قلوبكم ، تقم على أرضكم » .

[من نماذج التجرد الحق : الصديق رضي الله عنه] .

لقد أنفق ماله لإنقاذ المعذنين المستضعفين في مكة ، فحمى الغرباء الذين بايعوا وثبتوا وتجردوا وأخلصوا لله . فنزلت آيات القرآن تبشر أبا بكر الصديق على هذا العمل العظيم الذي قدمه ابتغاء مرضات الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ وسيجنبها الأتقى ، الذي يؤتي ماله يتزكى ، وما لأحد عنده من نعمة تجزي ، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ، ولسوف يرضى ﴾ (١) .

ومواقف أبي بكر الصديق لا تحصى حين سئل هل أبقيت لأهلك شيئاً ؟ فقال : أبقيت لهم الله ورسوله (٢) .

وفي هذا الموقف في ساعة العسرة ، يطبع لنا أبو بكر معالم كاملة :
أولاً : التجرد من كل ماله لله وحده .

ثانياً : التوكل المطلق على الله بقوله : « أبقيت لهم الله ورسوله » .

ثالثاً : بيان أن المال في الحقيقة لله تعالى ، وأبو بكر مستخلف فيه .

* * *

(٢) نور اليقين - غزوة تبوك ص ٢٤٥

(١) سورة الليل : الآيات ١٧ - ٢١

الركن التاسع

الأخوة

يقول الإمام : « وأريد بالأخوة : أن ترتبط القلوب والأرواح
برباط العقيدة ، والعقيدة أوثق الروابط وأغلاها ، والأخوة أخت
الإيمان ، والتفريق أخو الكفر ، وأول القوة قوة الوحدة ، ولا
وحدة بغير حب وأقل الحب سلامة الصدر ، وأغلاه مرتبة
الإيثار » ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون .

والأخ الصادق يرى إخوانه أولى بنفسه من نفسه لأنه إن لم يكن بهم فلن يكون
بغيرهم ، وهم إن لم يكونوا به كانوا بغيره ، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية
والمؤمن للمؤمن كالبنان يشد بعضه بعضاً » والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء
بعض » وهكذا يجب أن نكون .

معنى الأخوة :

الأخوة منحة من الله عز وجل ، يعطيها الله للمخلصين من عباده والأصفياء
والأنقياء من أوليائه وجنده وحزبه .

قال الله تعالى :

« هو الذي أيدك بتصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض
جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم » (١)

وهي قوة إيمانية تورث شعوراً عميقاً بعاطفة صادقة ومحبة وود واحترام ، وثقة

(١) سورة الأنفال : الآيتان ٦٢ ، ٦٣

متبادلة ، مع كل من تربطنا بهم عقيدة التوحيد ومنهج الإسلام الخالد ، بتبعتها
ويستلزمها ، تعاون وإيثار ورحمة وعفو وتسامح ، وتكافل وتآزر وهي ملازمة
للايمان : إذ لا أخوة بدون إيمان ، ولا إيماناً كاملاً بدون أخوة ، كما أنه لا صداقة
بلا تقوى ، ولا تقوى من غير صداقة ، فأما أنه لا أخوة بغير إيمان لقوله تعالى :
﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١)

وأما أنه لا صداقة بغير تقوى :

فلقوله تعالى : ﴿ الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢)

لا يذوق حلاوة الإيمان إلا من أشرب هذه الأخوة روى الشيخان : أن النبي
ﷺ قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب
إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر
كما يكره أن يقذف في النار » (٣)

منزلة ركن الأخوة :

صورة جميلة يرسمها القرآن للواقع الفريد لهذه الأمة فيقول : ﴿ مُحَمَّدٌ
رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ
فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ (٤)

إن القرآن حين وضع بين دفتيه هذه الصورة ، إنما يخبرنا بتكريم الله عز وجل ،
فهم :

﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ .

أشداء على الكفار ولو كان فيهم الآباء والقزاة والأبناء رحماء بينهم ، وهذه
الأخوة في الدين ، فهنا يبرز الشدة لله ، والرحمة لله .

(٢) سورة الزحرف : الآية ٦٧

(١) سورة الحجرات : الآية ١٠

(٤) سورة الفتح : الآية ٢٩

(٣) فتح الباري : ١/٧ رقم ١٦

أن رسول الله ﷺ قال : إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء ،
 يغيبهم الأنبياء والشهداء بمكانتهم من الله ، قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم ؟
 قال هم قوم نحايوا روح الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ،
 فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلی نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا
 يحزنون إذا حزنوا ثم قرأ : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
 يَحْزَنُونَ ﴾ (١)

روى الإمام مالك عن النبي ﷺ أنه قال : قال الله تعالى : وجبت محبتي
 للمتحابين في المتجائسين في ، والمتراودين في ، والمتبازلين في (٢) . وروى
 مسلم عنه ﷺ : أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى ، فأرصد الله تعالى على
 مدرجته - أي طريقه - ملكاً ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً
 لي في هذه القرية ؟ قال : هل لك عليه من نعمة تربتها عليه - أي تقوم بها
 وتسعى في صلاحها - قال : لا ، غير أنني أحبته في الله تعالى ، قال الملك :
 فإني رسول الله إليك ، بأن الله قد أحبك كما أحبته فيه ، (٣) .

ولقد تميزت جماعة الإخوان المسلمين عن غيرها بالأخوة الصادقة في الله ، إلى حد إن لم يكن إشاراً فهو أقرب شيء إلى الإيثار فعلاً وواقعاً ، ولعل هذا في فهم الأخوة في الله ، هو من أهم الأسباب التي عملت على الصمود في وجه أعتى المحن التي نزلت بها ، ولعل الفهم المتبادل والكامل للأخوة في الله هو من أسباب قوة الجماعة ، التي ظن البعض أنه يستطيع أن يوهنها أو ينال منها . فتخطيت رموس وبقيت الأخوة في الله تجمع هذا الصف على ما هو عليه .

(٢) الموطأ: ٩٥٤/٢ كتاب الشعر باب ما جاء في المتحابين في الله

(۳) رواه مسلم : ۱۹۸۸/۴ ، رقم ۲۵۶۷

شموخاً وشدة ورسوخاً ، قد تختلف الآراء ، وقد تسع هوة الخلاف ، لكن الأخوة لا يشوب صفاءها شائبة ولا كدر ، وقد يأتي الشيطان يوسوس ؛ لأن الشيطان يغيظه اجتماع الكلمة فيحاول أن يترغ ويفرق ، والله يحذرننا من ذلك فيقول : ﴿ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً ﴾ (١) .

ولقد بين الإمام مراتب الأخوة فقال : إن أدنى مراتبها سلامة الصدر وأعلها الإيثار ، فأحرص على سلامة صدرك نحو إخوانك ، وجاهد نفسك لتصل ومن معك إلى مرتبة الإيثار ، والتفريط في هذا الركن أو النكث فيه كالنكث في ركن الجهاد يؤدي إلى أوحش العواقب ، فلو هيض الأفراد عن أدنى مراتب الأخوة فستبدأ الفرقة ، ويسود النزاع ، وهو يؤدي إلى الهزيمة : ﴿ ولا تتارعوا فتنشلوا وتذهب ريحكم ... ﴾ (٢) .

وما أصدق كلمات الإمام موجهاً للإخوان : « تحابوا فيما بينكم واحرصوا كل الحرص على رابطتكم ، فهي سر قونكم ، وعماد نجاحكم ، واليتوا حتى يفتح الله بينكم وبين قومكم بالحق وهو خير الفاتحين » (٣) .

* * *

(٢) سورة الأنفال : الآية ٤٦

(١) سورة الإسراء : الآية ٥٢

(٣) مجموعة الرسائل - بين الأمس واليوم ص ١١١

الركن

العاشر

الثقة

يقول الإمام : « وأريد بالثقة اطمئنان الجندى إلى القائد فى كفاءته وإخلاصه . اطمئناناً عميقاً ينتج الحب والتقدير والاحترام والطاعة ، فلا وريك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » .

والقائد جزء من الدعوة ولا دعوة بغير قيادة ، وعلى قدر الثقة المتبادلة بين القائد والجنود تكون قوة نظام الجماعة ، وإحكام خططها ولحاحها فى الوصول إلى غايتها ، وتغلبها على ما يعترضها من عقبات وصعاب ، فأولى لهم طاعة وقول معروف .

وللقبادة فى دعوة الإخوان حق الوالد بالرابطة القلبية ، والأستاذ بالإفادة العلمية ، والأشيخ بالتربية الروحية ، والقائد يحكم السياسة العامة للدعوة ، ودعوتنا تجمع هذه المعانى جميعاً

إن أعداءنا يعلمون أن الإسلام هو عدوهم الأكبر ، لقد علمهم التاريخ القديم والحديث أن آمننا إن عرفت طريقها إلى الإسلام الصحيح فقد أذن سلطانهم بالزوان وهم لا يخشون الإسلام ، المستأنس ، الذى لا شوكة له وإنما يخشون الإسلام الحركى المناضل الذى يعين قوى المسلمين كلها ويضم صفوفهم فى مواجهة عدوهم .

ولما كانت دعوتكم أبها الإخوان تمثل التجمع العقيدى والحركى الكبير الذى يقق فى وجه هؤلاء الأعداء ويهدد بإفساد كل مخططاتهم ، فقد كان من الطبيعى أن يوجهوا إليها كل أسلحتهم ، وألا يدعوا سبيلاً لحربها والقضاء عليها إلا اتباعها .

ولا شك أن من أخطر الوسائل التي يلجأ إليها هذا العدو إذا كثر أن يفتت هذه الدعوة من داخلها حتى لا تواجهه إلا وهي مفرقة ممزقة ، وخير ما يعينه على ذلك فقدان الثقة بين القائد والجنود فإن الجنود إذا فقدوا الثقة في قيادتهم اهتز في نفوسهم معنى الطاعة ، وإذا فقدت لم تعد هناك قيادة ولا جماعة .

من أجل ذلك حرص الإمام البنا في « رسالة التعاليم » على أن يجعل بند الثقة ركناً من أركان البيعة العشرة التي يبايع الإخوان على أساسها وأبرز لإخوانه أهمية هذا الركن في المحافظة على تماسك الجماعة ووحدتها حيث يقول :

« ... ولا دعوة بغير قيادة وعلى قدر الثقة المتبادلة بين القائد والجنود تكون قوة نظام الجماعة ، وإحكام خططها ، ونجاحها في الوصول إلى غايتها وتغلبها على ما يعترضها من عقبات وصعاب » فأولى لهم طاعة وقول معروف ^(١) والثقة بالقيادة هي كل شيء في نجاح الدعوات . . .

ولا يلزم لكي نولي القائد ثقتنا أن يكون هذا القائد أقوى الناس وأتقى الناس وأعلم الناس وأفصح الناس ، فذلك مطلب عسير لا نحسبه نحقق للكثيرين بعد رسول الله ﷺ وإنما يكفينا أن إخوانه اعتبروه أقدرهم على حمل هذه الأمانة الثقيلة فكلفوه بها ، فإذا افترضنا أن أحد الإخوة رأى في نفسه ، أو رأى من غيره ، موهبة أو ملكة لم تكن عند قاده . . . فلتوضع هذه الملكة تحت تصرف القيادة حتى تكون عوناً لقائده لا حرباً عليه وعلى الجماعة . . .

ولعلك يا أخي تذكر ما دار بين أبي بكر وعمر بعد وفاة رسول الله ﷺ حيث قال عمر لأبي بكر : أبسط يدك أبايعك ، فقال أبو بكر : بل أنا أبايعك فقال عمر أنت أفضل مني ، فقال أبو بكر أنت أقوى مني . وهنا قال عمر قوتي لك مع فضلك ، ولقد صدق عمر في ذلك فقد كانت قوته دائماً من وراء أبي بكر . . . كان يعينه ويشد أزره ويؤليه ثقته .

(١) سورة محمد : الآيتان ٢٠ ، ٢١

من أجل هذا كان جواب الإمام لمن سألته : إذا حالت الظروف بينك وبين أن تكون بيننا ، فمن تنصحتنا بأن نوليه علينا ؟ أن قال : يا إخوان ، اجعلوا عليكم أضعفكم ، ثم اسمعوا له وأطيعوا ، فسوف يكون بكم أقواكم . ولعلك يا أخي تذكر كيف اختلف عمر مع أبي بكر في شأن مانعي الزكاة وكان جل صحابة رسول الله ﷺ يرون رأي عمر في عدم فتائهم ، ومع ذلك فإن عمر ما كاد يرى أبا بكر مصراً على فتال مانعي الزكاة حتى قال قوله المعروفة التي تعبر عن ثقة كاملة : فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر لفتال فعرفت أنه الحق .

ولو لم يكن عمر على هذا المستوى الكريم من الثقة والطاعة لسولت له نفسه أن الحق معه هو فقد سمع رسول الله ﷺ يقول : « جعل الله الحق على لسان عمر وقلبه » . وما أحوجتنا نحن أن نتذكر ذلك إذا اختلف رأينا مع أننا لم نسمع رسول الله ﷺ يقول عن أحد منا أن الله جعل الحق على لسانه أو قلبه .

ونظراً لأهمية الثقة في القيادة في فكرها ، وفي قراراتها ، فإن أعداء الإسلام يقومون بحملات التشكيك والنشوي ضد الإسلام ، وضد الجماعة ، وضد منهجها ، وضد قيادتها ، وما أكثر الجهات التي تصدر منها هذه الحملات ، وواجب كل أخ ألا يتأثر بشئ منها ، وأن يطمئن ويشق في دينه أنه الدين الحق المقبول ، وأنه منهاج كامل لشتون الدنيا والآخرة ، وأن يطمئن ويشق في جماعته أنها على الطريق الحق وأنها تتحرى الكتاب والسنة في كل خطواتها ووسائلها ، وأن يطمئن إلى قيادته وأنها ترسم خطى رسول الله ﷺ ، وصحابه ، وأنها تنزل على شرع الله في أي قضية تتعرض لها أثناء سيرها ، وتتحرى مصلحة الدعوة ، وواجب كل أخ إذا بلغه شئ ، أو حاك في صدره شئ ، ألا يبقى عليه في نفسه ولكن يتبين حقيقة الأمر ، فيبقى صدره سليماً وثقته كاملة ، وفي ذلك استجابة لأمر الله لعباده المؤمنين : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ (١) . وقوله تعالى مخطئاً

(١) سورة الحجرات : الآية ٦

لنصف من الناس : ﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ (١) ، ونبه إلى أن بعض الصحف أو وسائل الإعلام قد تنسب حديثاً أو رأياً لأحد من قيادات الجماعة محرراً أو مختلفاً بقصد التشكيك ، وهز الثقة ، وإحداث بلبلة ، فلا يجوز للأخ المسلم ، أن يرتب على ما يقرؤه حكماً ، يهز من الثقة ، ولا أن يردد ذلك على سبيل التصديق ، أو أنه حقيقة وعليه أن يتبين .

يقول الإمام في هذا الركن :

« إن الثقة بالقيادة هي كل شيء في نجاح الدعوات ، ولهذا يجب أن يسأل الأخ الصادق نفسه هذه الأسئلة ليتعرف مدى ثقته بقيادته :

١- هل تعرف إلى قائده من قبل ودرس ظروف حياته ؟

٢- هل اطمأن إلى كفايته وإخلاصه ؟

٣- هل هو مستعد لاعتبار الأوامر التي تصدر إليه من القيادة - في غير معصية طبعاً - قاطعة لا مجال فيها للمجدل ولا للتردد ، ولا للانتقاص ولا للتحوير ؟ مع إبداء النصيحة والتنبيه إلى الصواب ؟

٤- هل هو مستعد لأن يفترض في نفسه الخطأ وفي القيادة الصواب ، إذا تعارض ما أمر به مع ما تعلم في المسائل الاجتهادية التي لم يرد فيها نص شرعي ؟

٥- هل هو مستعد لوضع ظروفه الخيوية تحت تصرف الدعوة ؟

وهل تملك القيادة في نظره حق الترجيح بين مصلحته الخاصة ومصلحة الدعوة العامة .

وبالإجابة على هذه الأسئلة وأشباهها ، يستطيع الأخ أن يطمئن على مدى صلته بالقائد ، وثقته به ، والقلوب بيد الله بصرفها كيف يشاء ﴿ لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم ﴾ (٢) .

(١) سورة النساء : الآية ٨٣

(٢) سورة الأنفال : الآية ٦٣

الفصل الثالث

واجبات الأخ العامل

واجبات الأخ العامل

تحدث الإمام الشهيد في هذا الفصل الأخير عن مجموع المعاني التي تحول المسلم إلى إنسان عملي ، فبعد أن بين أركان البيعة العشرة وأشار إلى أنه لا بد أن تتوفر في الأخ العامل كي يؤدي دوره المنوط به ، وأن أي نقصير في أي ركن من هذه الأركان يمكن أن يؤذي الأخ المسلم من قبله ، لأنه يمثل نقطة ضعف أو ثغرة ينفذ منها الشيطان وبالتالي تؤذي الجماعة من قبله ، وبدل أن يكون جندياً عاملاً لها ، يصبح معوقاً لها ، وعيباً عليها .

وقد جعل الإمام البنا الفهم : الركن الأول لأهميته ولتوقف باقي الأركان عليه ، أما الأصول العشرون فإنها الإطار التي يحفظ هذا الفهم ويحميه من أي انحراف أو خطأ .

إن الإمام البنا أرجع الأمر إلى نصابه ، فهو بحق مجدد هذه الأمة ويأبى نهضتها ، فجزاه الله خيراً وتقبله في الصالحين .

يقول الإمام مخاطباً الغيورين من أبناء الإسلام : « أنت الآن أمام دعوة جديدة ، وقوم ناشئين بدعوتك إلى العمل معهم والانضمام إليهم ، والسعي بجوارهم إلى الغاية التي هي أمل كل مسلم ورجاء كل مؤمن ومن حفاك أن تسأل عن مدى وسائلها العملية ، ومن واجبك أن تتحرى وتتفقه فيما بدعوتك إليه » (١) .

وهذا الفصل الأخير يدور حول الواجبات التي يلتزم بها الأخ العامل ، وهي أوضح من الشمس ، لا تحتاج إلا إلى التطبيق والتنفيذ ، وهنا يشعر الأخ المسلم بطعم هذه الدعوة وهدفها .

(١) مجموعة الرسائل ص ٣٥٢

ولقد حرصنا على عدم التعرض لها بالشرح والبيان لأنها غنية عن كل ذلك .
فافرأ يا أخي وتدبر واعمل ، والله معك ويرعاك ويوفقك لكل خير .

أيها الأخ الصادق :

إن إيمانك بهذه البيعة يوجب عليك أداء هذه الواجبات حتى تكون لبنة قوية في
البناء :

١- أن يكون لك ١ ورد ٥ يومي من كتاب الله لا يقل عن جزء ، واجتهد ألا
تختم في أكثر من شهر ولا في أقل من ثلاثة أيام .

٢- أن تحسن تلاوة القرآن والاستماع إليه والتدبر في معانيه ، وأن تدرس
السيرة المطهرة وتاريخ السلف بقدر ما يتسع له وقتك ، وأقل ما يكفي في ذلك
كتاب ١ حماء الإسلام ، وأن تكثر من القراءة في حديث رسول الله ﷺ ، وأن
تحفظ أربعين حديثاً على الأقل ولتكن الأربعين النووية ، وأن تدرس رسالة في
أصول العقائد ورسالة في فروع الفقه .

٣- أن تبادر بالكشف الصحي العام وأن تأخذ في علاج ما يكون فيك من
أمراض ، وتهتم بأسباب القوة والوقاية الجسمانية وتبتعد عن أسباب الضعف
الصحي .

٤- أن تبتعد عن الإسراف في قهوة البن والشاي ونحوها من المشروبات
المنبهة ، فلا تشربها إلا لضرورة ، وأن تمتنع بتاتا عن التدخين .

٥- أن تعنى بالنظافة في كل شئ في المسكن والملبس والمطعم والبدن ومحل
العمل ، فقد بنى الدين على النظافة .

٦- أن تكون صادق الكلمة فلا تكذب أبداً .

٧- أن تكون وفياً بالعهد والكلمة والوعد ، فلا تخلف مهما كانت الظروف .

٨- أن تكون شجاعاً عظيم الاحتمال ، وأفضل الشجاعة : الصراحة في الحق
وكتتمان السر ، والاعتراف بالخطأ والإنصاف من النفس وملكها عند الغضب .

٩- أن تكون وقوراً تؤثر الجدة دائماً ، ولا يمنعك الوقار من المراح الصادق
والضحك في تيسر .

١٠- أن تكون شديد الحياء دقيق الشعور ، عظيم التأثير بالحسن والقيح تسر
للأول وتثألم للثاني ، وأن تكون متواضعاً في غير ذلة ولا خنوع ولا ملق ، وأن
تطلب أهل من مرتبتك لتصل إليها .

١١- أن تكون عادلاً صحيح الحكم في جميع الأحوال ، لا ينسبك الغضب
الحسنات ولا تغض عين الرضا عن السيئات ، ولا تحملك الخصومة على نسيان
الجميل ، وتقول الحق ولو كان على نفسك أو على أقرب الناس إليك وإن كان
مرأ .

١٢- أن تكون عظيم النشاط مديراً على الخدمات العامة ، تشعر بالسعادة
والسرور إذا استطعت أن تقدم خدمة لغيرك من الناس ، فتعود المريض وتساعد
المحتاج وتحمل الضعيف وتواسي المنكوب ولو بالكلمة الطيبة ، وتبادر دائماً إلى
الخيرات .

١٣- أن تكون رحيماً القلب كريماً سمحاً نقياً ونصفح وتلين وتعلم وترفق
بالإنسان والحيوان ، جميل المعاملة حسن السلوك مع الناس جميعاً ، محافظاً على
الأداب الإسلامية الاجتماعية فترحم الصغير وتوقر الكبير وتفسح في المجلس ،
ولا تتجسس ولا تغتاب ولا تصخب ، وتستأذن في الدخول والانصراف ، إلخ .

١٤- أن تحب القراءة والكتابة ، وأن تكثر من المطالعة في رسائل الإخوان
وجرائدهم ومنجلاتهم ونحوها ، وأن تكون لنفسك مكتبة خاصة مهما كانت
صغيرة ، وأن تنحرف في علمك وفنك إن كنت من أهل الاختصاص ، وأن تلم
بالشؤون الإسلامية العامة إماماً يمكنك من تصورها والحكم عليها حكماً يتفق مع
مقتضيات الفكرة .

١٥- أن تزاوِل عملاً اقتصادياً مهما كنت غنياً ، وأن تقدم على العمل الحر
مهما كان ضئيلاً ، وأن ترح بنفسك فيه مهما كانت مواهبك العلمية .

١٦- ألا تحرص على الوظيفة الحكومية ، وأن تعتبرها أصيق أبواب الرزق ولا ترفضها إذا أتحت لك ، ولا تتخلى عنها إلا إن تعارضت تعارضاً تاماً مع واجبات الدعوة .

١٧- أن تحرص كل الحرص على أداء مهتك من حيث الإجابة والإتقان وعدم الغش وضبط الموعد .

١٨- أن تكون حسن التقاضى لحقك ، وأن تؤدى حقوق الناس كاملة غير منقوصة بدون طلب ، ولا تماطل أبداً .

١٩- أن تبعد عن الميسر بكل أنواعه مهما كان المقصد من وراءها ، وتتجنب وسائل الكسب الحرام مهما كان وراءها من ربح عاجل .

٢٠- أن تبعد عن الربا فى جميع المعاملات وأن تطهر منه تماماً .

٢١- أن تخدم الثروة الإسلامية العامة بتشجيع المصنوعات والمنشآت الاقتصادية الإسلامية ، وأن تحرص على القرش فلا يقع فى يد غير إسلامية مهما كانت الأحوال ، ولا تلبس ولا تأكل إلا من صنع وطنك الإسلامى .

٢٢- أن تشترك فى الدعوة بجزء من مالك ، تؤدى الزكاة الواجبة فيه ، وأن تجعل منه حقاً معلوماً للسائل والمحروم مهما كان دخلك ضئيلاً .

٢٣- أن تدخر للطوارئ جزءاً من دخلك مهما قلَّ وألا تتورط فى الكماليات أبداً .

٢٤- أن تعمل ما استطعت على إحياء العادات الإسلامية وإماتة العادات الأعجمية فى كل مظاهر الحياة ، ومن ذلك التحية واللغة والتاريخ والزى والأثاث ، ومواعيد العمل والراحة ، والطعام والشراب ، والقدوم والانصراف ، والحزن والسرور . . . إلخ ، وأن تتحرى السنة المطهرة فى كل ذلك .

٢٥- أن تقاطع المحاكم الأهلية وكل قضاء غير إسلامى ، والأندية والصحف والجماعات والمدارس والهيئات التى تناهض فكرتك الإسلامية مقاطعة عامة .

٢٦- أن تديم مراقبة الله تبارك وتعالى ، وتذكر الآخرة وتستعد لها ، وتقطع مراحل السلوك إلى رضوان الله بهمة وعزيمة ، وتتقرب إليه سبحانه بنوافل العبادة ومن ذلك صلاة الليل وصيام ثلاثة أيام من كل شهر على الأقل ، والإكثار من الذكر القلبي واللساني ، وتحرى الدعاء المذكور على كل الأحوال .

٢٧- أن تحسن الطهارة وأن تظل على وضوء في غالب الأحيان .

٢٨- أن تحسن الصلاة وتواظب على أدائها في أوقاتها ، وتحرص على الجماعة والمسجد ما أمكن ذلك .

٢٩- أن تصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً ، وتعمل على ذلك إن لم تكن مستطيعاً الآن ذلك .

٣٠- أن تستصحب دائماً نية الجهاد وحب الشهادة وأن تستعد لذلك ما وسعك الاستعداد .

٣١- أن تجدد التوبة والاستغفار دائماً وأن تتحرر من صفائر الآثام فضلاً عن كبارها ، وأن تجعل لنفسك ساعة قبل النوم تحاسبها فيها على ما عملت من خير أو شر ، وأن تحرص على الوقت فهو الحياة فلا تصرف جزءاً منه في غير فائدة ، وأن تتورع عن الشبهات حتى لا تقع في الحرام .

٣٢- أن تجاهد نفسك جهاداً عنيفاً حتى يسلس قيادها لك ، وأن تغض طرفك وتضبط عاطفتك وتقاوم نوازع الغريزة في نفسك ، وتسمو بها دائماً إلى الحلال الطيب ، وتحول بينها وبين الحرام من ذلك أيما كان .

٣٣- أن تتجنب الخمر والمسكر والمفتر وكل ما هو من هذا القبيل كل الاجتناب .

٣٤- أن تبعد عن أقران السوء وأصدقاء الفساد وأماكن المعصية والإثم .

٣٥- أن تحارب أماكن اللهو فضلاً عن أن تقربها ، وأن تبعد عن مظاهر الشرف والريخاوة جميعاً .

٣٦- أن تعرف أعضاء كتيبتك فرداً فرداً معرفة تامة ، وتعرفهم نفسك معرفة تامة كذلك ، وتؤدي حقوق أخوتهم كاملة من الحب والتقدير والمساعدة والإيثار ، وأن تحضر اجتماعاتهم فلا تتخلف عنها إلا بعذر قاهر ، وتأثرهم بمعاملتك دائماً.

٣٧- أن تتخلي عن صلتك بأية هيئة أو جماعة لا يكون الاتصال بها في مصلحة فكرك وبخاصة إذا أمرت بذلك .

٣٨- أن تعمل على نشر دعوتك في كل مكان وأن تحيط القيادة علماً بكل ظروفك ولا تقدم على عمل يؤثر فيها تأثيراً جوهرياً إلا بإذن ، وأن تكون دائم الاتصال الروحي والعملي بها ، وأن تعتبر نفسك دائماً في الثكنة تنتظر الأمر .

أيها الأخ الصادق :

هذا مجمل لدعوتك ، وبيان موجز لفكرتك وتستطيع أن تجمع هذه المبادئ في خمس كلمات :

الله غايتنا ، والرسول قدوتنا ، والقرآن شرعنا ، والجهاد سبيلنا ، والشهادة أمانتنا .

وأن تجمع مظاهرها في خمس كلمات أخرى .

البساطة ، والتلاوة ، والصلاة ، والجنديّة ، والخلق . فخذ نفسك بشدة بهذه التعاليم ، وإلا ففي صفوف القاعدين متسع للكسالى والعابثين .

واعتقد أنك إن عملت بها وجعلتها أمل حياتك وغاية غاياتك ، كان جزاؤك العزة في الدنيا والآخر والرضوان في الآخرة ، وأنت منا ونحن منك ، وإن انصرفت عنها وقعدت عن العمل لها فلا صلة بيننا وبينك ، وإن تصدرت فينا المجالس وحملت أفخم الألقاب وظهرت بيننا بأكبر المظاهر ، وسبحاسبك الله على قعودك أشد الحساب ، فاختر لنفسك ونسأل الله لنا ولك الهداية والتوفيق .

﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم :

تؤمنون بالله ورسوله

وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون

يعقر لكم دينكم

ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز

العظيم ﴿



الفصل الرابع

منها

الفصل الرابع ملحق

- ١- فتاوى المنار .
- ٢- حول التوسل .
- ٣- الدين . . . والسياسة . . وشمولية الإسلام .
- ٤- التحذير من البدع والمحدثات وبيان بعض البدع المنتشرة .

فتاوى

المنار

نقدم في هذا الباب الإجابة على أسئلة المشتركين وتشرط على السائل أن يبين اسمه ولقبه ويلدنه وعمله وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء عن الألقاب وسنجيب بحسب ترتيب الأسئلة في الورد إن شاء الله والله المستعان. (١)

حسن البناء

« بين طائفتين من المؤمنين »

(حول آيات الصفات وأحاديثها ومذهب السلف والخلف)

سيدى الأستاذ محرز المنار ، الأغر .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(وبعد) قلعلكم قرائم ما دار من الحوار بين كتاب مجلة الإسلام ومجلة الهدى النبوى حول آيات الصفات وأحاديثها ومذهب السلف والخلف فما وجه الحق في هذا الخلاف ، وهل يجوز شرعاً أن يتقاذف الفضلاء من المسلمين بهذه التهم على صفحات الجرائد السيارة ؟ وأن تدافع مثل هذه البحوث على العامة وهلا يمكن أن تعملوا على التوفيق بين الفريقين حتى تنصرف الفتوى إلى ما يعود على المسلمين بالخير أفيدوا مأجورين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد حلمى نور الدين

بتفتيش رى الجيزة

(١) مجلة المنار ١٣٥٨ هـ أغسطس ١٩٣٩ م المجلد الخامس والثلاثون .

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه

١- قرأت ما دار بين الكتاب الفضلاء على صفحات المجلتين المذكورتين وكثير
من حضراتهم أصدقاء لنا وكلهم يعمل لخدمة الدعوة الإسلامية ويرجو للمسلمين
النهوض من كبوتهم والإقالة من عثرتهم مخلصاً من قلبه والحق أني أنا شخصياً
لا أفهم معنى لإثارة هذا الموضوع في وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى الوحدة
والتآزر على إحياء تعاليم الإسلام في نفوس المسلمين .

إن الفريقين مؤمنان أعمق الإيمان بأن ما جاء من هذه الآيات وما صح من
الأحاديث التي تعرضت لصفات الباري عز وجل كلها حق لا جدال في صدقها
ولا خلاف فقوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ و ﴿ يد الله فوق
أيديهم ﴾ و ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ وكل
مانحاً هذا المنحى من الآيات والأحاديث التي تثبت صحتها قياً كل ذلك موضع
إيمان وتصديق وتسليم من الفريقين كليهما .

الفريقان كذلك مؤمنان أعمق الإيمان بأن قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ كل ذلك حق لا
مزية فيه فلا شبه الباري أحداً من خلقه في شيء من صفاته ولا يشبهه أحد من
هؤلاء الخلق كذلك . وحقيقة ثالثة يؤمن بها الفريقان أيضاً وهي أن ذات الباري
جل وعلا وصفاته فوق متناول إدراك العقل البشري الصغير الذي يعجز عن معرفة
حقائق ما حوله من عالم فضلاً عن عالم الروح فضلاً عن الملأ الاعلى فضلاً عن
ذات الله جل وعلا وصفاته .

وأسوق هنا قول شار ديشيه المدرس بجامعة الطرب في فرنسا سابقاً في مقدمة
كتاب (الظواهر النفسية) :

(ولماذا لا نصرخ بصوت جهري أن كل العالم الذي نفخر به إلى هذا

الحسد ليس إلا إدراكاً لظواهر الأشياء وأما حقائقها فتغفلت منا ولا تنفع تحت مداركنا.

إن حواسنا من القصور والتقصص على حال يكاد معها يغفلت من شعورها (الوجود كل الإفلات) بل قول الله تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾

هذه الحقائق المقررة والمسلم بها من الطرفين تجعل الخلاف لا معنى له فماذا على كل منهما أن يقول : استوى الله على عرشه استواء تعجز عقولنا عن إدراك حقيقته مع علمنا بأنه لم يكون كاستواء الخلق وبذلك ترد على الحقائق لله تبارك وتعالى ونصيب بذلك الحق كل الحق لأن الحق هو أننا في هذا جهلاء أتم الجهل وماذا علينا أن نسلكت هذه الطريقة في كل ما ورد على هذا النحو (قيد الله التي ذكرها في كتابه صفة من صفاته تعجز عقولنا عن إدراك حقيقتها مع علمنا التام بأنها لن تكون كأيدينا) وهكذا .

وقد أرشدنا الله سبحانه وتعالى إلى الواجب في مثل هذه المعاني ووضع لنا أساس النظر فيها فقال : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ فتأمل قوله تعالى : ﴿ والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴾ نتعلم هل لنا أن نخوض ونفيض ، أم أن نرسوخ في العلم أن نقول آمنا به كل من عند ربنا ؟

استطراد

لقد أتى على المسلمين حين من الدهر في عصر الانتقال الأول حين نقلتهم حوادث السياسة والاجتماع من دور الجهاد العملي خلف رسول الله ﷺ والأنسة الراشدين المهديين من بعده حيث كان هم المسلم إذ ذاك أن يؤدي فريضة ربه ويراقب دخيلة نفسه ويقيم من نفسه حارساً يحاسبه على كل عمله ثم يعضي في البلاد مجاهداً في سبيل الله يعرض روحه على الموت في اليوم ألف مرة فلا يظفر

إلا بالحياة العزيزة وينشر لواء الله في العالمين حتى يدركه الأجل فيودع الدنيا
 شهيداً معيداً ، حين انتقل المسلمون من هذا الدور إلى دور الاستمتاع بمظاهر
 دنياهم الجديدة والإقبال على تنظيم ملكهم الواسع والاستفادة من ثمار هذه
 الحضارات والدنيا التي اتصلوا بها ودخلت عليهم آثارها من كل مكان عمرانية
 واجتماعية وثقافية وعلمية فترجموا العلوم الأجنبية وتوسعوا في البحث فيها
 ومزجوا كثيراً منها بتعاليم الدين السمحة السهلة فسلكوا بدينهم مسلكاً فلسفياً
 قياسياً وقد جاءهم فطرياً ربانياً نبوياً فوق العلوم والفلسفات ويخاطب الفطرة من
 غير وساطة ويجذب القلوب بما فيه من جمال وروحانية وصدق توجيه ، في هذا
 الدور وفي وسط هذه المعصرة انقسم علماء الإسلام إلى معسكرين معسكر يدعوا
 إلى تطبيق نظريات الدين على نظريات الفلسفة والمزج بينهما وبذلك يصطبغ الدين
 بآراء الفلاسفة فيذهب عنه جلال النبوة وروعة الوحي وسماحة الفطرة ، وتتفقد
 الفلسفة بقداصة الدين وجلال العقيدة فتزل بذلك عن اختصاصها وإنما
 الفلسفة تفكير دائم متواصل فيه الخطأ وفيه الصواب وفيه الشك وفيه اليقين والخطأ
 فيها سلم للإصابة والشك عندها باعث من يواعث الإيمان وهذا المعسكر أطلق
 على نفسه أو أطلق الناس عليه ألقاباً كثيرة فهم أهل الرأي وهم أهل القياس وهم
 النظار وهم المتكلمون على تفاوت بينهم في هذه الألقاب وفي مدى تطبيق هذه
 الآراء ، ومعسكر يدعوا إلى أن يظل الدين بعيداً عن كل هذا ، يؤخذ من منابعه
 الأولى كتاب الله وسنة رسوله ويرجع في بيانه وتفصيله إلى الطريقة التي فهمه
 عليها السلف الصالح رضوان الله عليه وليتناول العقل بعد ذلك ما شاء من
 البحوث ولتجر الفلسفة على أي غرار شاءت وليخطئ العلماء الكونيون أويصيبوا
 ولكن في ثوب نظري بحث قياسي بحث لا يتناول عقائد الناس ولا يمس
 عباداتهم ولا يقرب الحقائق الدينية المقررة المكفولة بتسليم العقل بأحقيتها
 وصدقها ، وأطلق هذا المعسكر على نفسه أو أطلق الناس عليه أهل الحديث أو
 السلفيون أو أهل السنة أو أهل الأثر على تفاوت كذلك في هذه الألقاب وفي
 مدى الأخذ بهذه الفكرة ولا شك أن الحق مع هؤلاء ولا شك أن المسلمين لو
 سلكوا هذا السبيل ولم يشغلوا بهذا الجدل ولم يصغوا فطرة دينهم بهذه الصبغة

ودرجوا على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه لكان لهم في ذلك الخير كل الخير ولنجوا من انقسامات وقتن كانت من أهم الأسباب لزوال عظمتهم وتوزيع مذكهم ومجدهم ، ولا شك أن كل عاقل يهيم أن يعود للإسلام مجده وعظمته الآن يدعو المسلمين إلى الأخذ بهذا الرأي وهو ما نعمل عليه وندعو إليه ونسأل الله المعونة فيه وفتح مغاليق القلوب لفهمه وفقهه .

كان الأخذ والرد والجذب والشد قويا عتيفا بين الفريقين منذ نجم قرن هذا الخلاف وأنت خير بأن خلافا كهذا في صدر الإسلام أو قريبا منه ، ولما يحض على المسلمين بعد نبهم ﷺ أكثر من قرنين من الزمان وهو يتصل بالعقيدة وهي أعلى ما يدافع عنه الإنسان لا بد أن يصحبه من مظاهر العنف الشيء الكثير وذلك ما كان فقد تنايز الفريقان بالألقاب واشتد بينهما التخاصم حتى وصل إلى التكفير والزندقة ورمى بعضهم بعضاً بأعظم ما يتصور من التهم ، واستخدمت في ذلك الألفاظ المثيرة .

فأهل الرأي والنظر : جهمية معطلة مؤولون حشوية زنادقة لا يعرفون لهم ربا ولا يشئون له صفة ، وأهل الحديث والآثر : مشبهون مجسمون جامدون متعصبون لا ينزهون الله ولا يقدررون عظمتهم قدرها ويضعونه في صف خلقه .

وألقيت إلى جانب ذلك عبارات شديدة وألفت كتب وانتصر كل فريق لرايه وبدأت الحدة في كل ما قيل وما ألف ، لأن تلك طبيعة الموقف ومقتضيات الخلاف .

كل ذلك في هذا الدور الذي ذكرت لك ثم نقلت إلينا نحن الآن بعض هذه الآثار والحال غير الحال والموقف غير الموقف والفرق بين الفرق .

ليس فينا أهل رأي وأهل حديث - وأنا أعلم أن هذا الحكم قد يكون محل خلاف بيني وبين بعض القارئيين فهاهم يرون فريقين ينتصر كل منهما لفريق فما معنى هذا ؟

ولكنني أؤكد خضرات القراء أن طبيعة هذا العصر غير طبيعة العصر الذي شجر

فيه هذا الخلاف بين المسلمين وأن المشاكل والأفكار التي تشغلنا الآن غير تلك المشاكل والأفكار - وأن الخلاف في هذه المسائل محصور في نطاق لا يكاد يذكر في بعض المجالس وفي جدران بعض الهيئات ، حتى الأزهر نفسه وتلك مهمته مشغول عن هذا الخلاف .

الامة الآن معسكرات مختلفة لكل معسكر فكرته التي يدعو إليها وينادي بها فهناك المعسكر الذي يدعو إلى الاندفاع وراء الأفكار والمظاهر الغربية في كل شيء ، وهناك المعسكر الذي يشير المعنى القومي وحده في النفوس ويريد أن يجعله أساساً للنهوض وهناك المعسكر الذي يأخذ بأصناف الناس وجهودهم إلى المسائل السياسية البحتة التي يراود بها استقرار الحكم في الداخل وحفظ الكرامة في الخارج ولا يعنيه إلا هذا وهناك معسكرات غير هذه ومن وراء ذلك كله معسكر محمدى قرأني بهيب بكل هؤلاء أن الإسلام يكفل لكم من السعادة والقوة كل ما تريدون فاهلموا إليه .

أريد أن أصل من هذا الاستطراد إلى نتيجتين (الأولى) أننا ليس بيننا في حقيقة الأمر خلاف كالذي كان بين الفلاسفة والسلفيين في القديم فلا معنى لإحياء هذا الخلاف من جديد ، ولا معنى للاحتجاج كذلك بما قال هؤلاء وأولئك وأولى لنا جميعاً أن نترك ذلك الدور بما كتب فيه وما كان من أهله في ذمة التاريخ ونرجع جميعاً في ديننا إلى المعين الأصلي الذي ما زال وسيظل صافياً نقياً لا تكدره الخواث ولا ينال منه الزمن ولا يزعمه الخلاف ذلك هو كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة ﷺ .

(والثانية) أن نتصرف في صف مؤمن قوى موحد إلى معالجة مشاكل عصرنا ودعوة الناس إلى محاسن هذا الدين وجلاله وتقوية معسكرنا معشر المتأدين بالإسلام فوق كل المعسكرات حتى يكون له النفوذ الفكري والعملى ، فيعود للإسلام ما كان له من هيمنة على الأرواح والأعمال . وبعد . فذلك رأيي أيها السائل في موضع الخلاف .

٢- أما هل يجوز للفريقين أن يتقاذفا بهذه التهم على صفحات الجرائد السيارة وأن تذاع هذه البحوث على العامة فذلك ما لا أقرهما عليه ولا أوافقهما فيه ، وفى لين القول وحسن الخطاب مندوحة وهذه بحوث دقيقة أولى بها أن تكون بين أهل العلم فى حلقتهم الخاصة ومجالسهم المحصورة ، وأذكر الفريقين بما رواه البخارى فى صحيحه عن على كرم الله وجهه : حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله .

وما رواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : ما أنت بمحدث قوما حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة . فإن كان ولا بد من الكلام فى هذه المباحث فليكن ذلك فى قول لين وفى بحث هادئ حتى لا تسرى عدوى الخلاف والتهاثر من الخاصة إلى العوام وفى ذلك فساد كبير كما هو مشاهد فى البلاد التى تشدد فيها العصبية لبعض الآراء - أقول هذا وأنا أعلم ما سيقال حول هذا الكلام من أن العقيدة أساس كل إصلاح وأن دين الله تبارك وتعالى جللى وأصح لا خفاء فيه ولا بلىق أن يكتم فيه شئ عن جميع الناس وبأن هذه خصومة فى الحق وهى جائزة وهذا هو الغضب لله وهو فضيلة وهذا هو الدفاع عن دينه وهو واجب وهذا من الجهاد بالقول والقلم والفعود عنه إثم فكيف يراد منا بعد هذا أن ننصرف إلى إصلاح جزئى والعقيدة فاسدة وكيف يراد منا أن نجعل هذا الكلام خاصاً ودين الله عام للناس جميعاً .

وأحب أن أقول لمن يدور بفكره أو على لسانه وقلبه مثل هذا القول : احتسب أيها الأخ من خداع الالفاظ ومزلق الأسماء - فالعقيدة شئ والخلاف فى بعض المسائل التى لا يمكن للإنسان أن يعرف حقيقتها شئ آخر - وأحكام الدين التى هى عامة للناس جميعاً شئ والأسلوب الذى تؤدى به وتقدم للناس شئ غيرها - والخصومة والغضب للدين شئ وخلق هذه الخصومة وإثارة الفتنة بها شئ ثان ولم لا يكون هذا من الجدل المنهى عنه ومن المراء الذى أغضب رسول الله أشد الغضب على المتمارين حتى جعله بقول :

(١) ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجذل ثم قرأ : « ما ضربوه لك إلا جدلاً » رواه الترمذى وابن ماجه وقال الترمذى حسن صحيح .

(٢) ويقول : « من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ريع الجنة ومن تركه وهو محق بنى له فى وسطها ومن حسن خلقه بنى له فى أعلاها » رواه أبو داود والترمذى والبيهقى وغيرهم وحسنه الترمذى .

(٣) وروى الطبرانى فى الكبير عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : « كنا جلوساً عند باب رسول الله ﷺ نتذاكر بترع هذا بآية وبنزع هذا بآية فخرج علينا رسول الله ﷺ كأنما تفقأ فى وجهه حب الرمان فقال : « يا هؤلاء بهذا بعثتم أم بهذا أمرتم لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » .

(٤) وعن أبى الدرداء ووائل بن الأسقع وأنس بن مالك رضى الله عنهم قالوا : « خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً ونحن نتمارى فى شئ من أمر الدين فعضب غضباً شديداً لم يغضب مثله ثم انتهرنا فقال مهلاً يا أمة محمد إنما هلك من كان قبلكم بهذا ، ذروا المراء لقلعة خيرة ذروا المراء فإن المؤمن لا يمارى ، ذروا المراء فإن الممارى قد تمت خسارته ، ذروا المراء فكفى إنما ألا تراك يمارياً ، ذروا المراء فإن الممارى لا أشفع له يوم القيامة » ذروا المراء فأننا زعيم بثلاثة أبيات فى الجنة فى رياضها ووسطها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق ، ذروا المراء فإن أول ما نهائى عنه ربي بعد عبادة الأوثان المراء » رواه الطبرانى فى الكبير أيضاً . وقد يقال : إن المراء شئ وما نحن فيه شئ آخر فأقول : إن لم يكن فهو نوع منه ومن حرام حول الحمى أو شك أن يقع فيه واثقاء الشبهات استبراء للدين والنورع أن تدع ما لا بأس به مخافة الوقوع فيما فيه بأس فهل بعد ذلك مذهب للذهاب إليها الإخوان .

٣- وأما العمل على التوفيق بين الفريقين فنعماً هو وما أحبه إلى النفس وما أعظم فائدته وإنا لمحاولون ذلك إن شاء الله وأعتمد أن كثيراً من المختلفين لو التقى بعضهم ببعض وتركوا طريقة التحاور الكتابى إلى طريقة التفاهم الشفهى لانتج

انتقاد المنار (١)

حول فتوى آيات الصفات وأحاديثها

جاءنا من حضرة الفاضل صاحب التوقيع الخطاب التالي نشره مع رده فيما يلي :

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ حسن البنا رئيس تحرير مجلة المنار .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فإن احتجاب المنار بموت صاحبه عليه رحمه الله تعالى كان من دواعي أسف المسلمين جميعاً بل حزنهم العميق ، ولم يكن ذلك طبعاً لأنها مجلة إسلامية فقط ، بل كان ذلك لما علمه قراء المنار من الميل مع الحق أينما كان وعدم المبالاة بكائن من كان في سبيل كلمة الحق وبيانها وإيضاحها ولا اظنك تجهل مواقف صاحب المنار عليه رحمه الله مع كثير من أنخص أصدقائه فإنه لم يكن يعرف إلا الحق ولو أغضب الحق صديقه أو جميع الناس ولم تعهد فيه رحمة الله عليه مداينة ولا محاباة ، وبذلك كان للمنار وصاحبه تلك المنزلة التي تعرفونها في نفوس جميع أهل الأمة المحمدية . . . فإذا كنتم تريدون السير بالمنار سيرته هذه فلاشك أنها إن شاء الله تعالى ستحيي حياتها الأولى وإلا فاسم المنار وحده لا يغني شيئاً .

لقد استفناكم مستفت فيما شجر من الخلاف بين مجلتي الهدى النبوي والإسلام فماذا أفنيتم ؟ إن رأي المنار في موضوع الخلاف بين المجلتين معروف مسطور في أعداد المنار السابقة ، فهل نفهم من فتواكم هذه أن المنار يتنكر لماضيه ، وينسى برنامجه ؟ لقد قلتم يا سيدي الأستاذ إن كلتا المجلتين على الحق !!! ولا يعقل فيما نعلم أن يختلف اثنان على أمر واحد ينفيه أحدهما ويثبته الآخر ، ثم يقال إنهما جميعاً على الحق ؟ لا . . . ليس هذا شأن المنار الذي عرفناه وبكيتناه لما احتجب . نرجو أن تصارحونا بالحق في أي الجانبين هو كما عودنا صاحب المنار إن كنتم تنصرون الحق لله وفي سبيل الله والسلام عليكم ورحمة الله .

قارئ .

(١) مجلة المنار ١٣٥٨ هـ أغسطس ١٩٣٩ م المجلد الخامس والثلاثون .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على نبيه وآله وصحبه ومن آله

« وبعد » فعلى حضرة القارئ المحترم السلام ورحمة الله عليكم وبركاته وكنت أود أن يتكرم بإظهار اسمه حتى نتعارف في سبيل البحث من الحقيقة ولعله - وفقنا الله وإياه - رأى في ستر اسمه معاونته على خدمة الحق للحق بدون نظر إلى الصلات الخاصة بين المتباحثين فنحن نحسن الظن ونشكر للأخ الفاضل عطايه مؤكداً دعوتنا الأولى لجميع إخواننا في انتقاد ما يروونه مستحقاً للانتقاد في المنار حتى تتعاون الجهود على الوصول للحقيقة ويسرنا أن نعلن أننا ننتهز مثل هذه الفرصة لنسلك بالتفد الأدبي مسلكاً نبيلاً لا هجر فيه ولا إقذاف ولا تجهيل ولا تضليل ولنكمل به أنفسنا فإن الكمال لله وحده والعصمة لآلبيائه صلوات الله وسلامه عليهم ومن ادعى لنفسه الكمال أو ظن بها ذلك فهذا عين النقص ونسأل الله ألا يحرمنا من يبصرنا بعيوبنا ويحملنا على الصواب والسادات .

والى الكاتب وإلى حضرات القراء الفضلاء رأينا فيما ورد في هذا الخطاب .

(١) نسب إلينا الأستاذ الكاتب أننا صرحنا بأن كلنا المجتدين على حق وبني على هذا أنه من غير المعقول أن يختلف اثنان على أمر واحد ينفيه أحدهما ويثبته الآخر ثم يقال إنهما جميعاً على الحق وحضرته لهذا يرجو أن نصارح بالحق في أى الجهتين هو ؟

ولا أدري من أين جاء حضرته بهذا التصريح الذى نسبته إلينا إن كان قد جاء به من تصريحنا بأن كلا الفريقين في نظرنا أصدقاء لنا ومن يتصدون للدعوة إلى الخير فليس معنى هذا تصويب رأى أحد منهما ولا كليهما في موضوع نزاع بعينه والذي صرحنا به في موضوع الخلاف أن كلا الفريقين غير محق وأن موضوع الخلاف من أساسه لا يصح أن يكون خلافاً وليس بلازم أن يكون كل مختلفين أحدهما محق والآخر مبطل بل قد يكونان مخطئين جميعاً وهو ما صرحنا به

بوضوح فإن قريباً تعالى في التأويل وقريباً تعالى في الحمد - ورأى السلف في ذلك وهو رأى المنار الذي يشير إليه حضرة الكاتب وهو رأينا الذي أوضحناه في مقالنا أن مذهب السلف : ترك الخوض في هذه المعاني مع اعتقاد تنزيه الله تبارك وتعالى عن أمثالها المنسوبة لخلقها وإمرارها كما جاءت وتفويض علم حقائقها إلى الله فمن فسر الاستواء بالاستيلاء فقد تورط في التأويل وألزم نفسه غير ما أزرعه الله به ومن فسر بالاستقرار فقد تورط في التشبيه وأوهم سامعه جواز نسبة صفات المخلوقين إلى الخالق فإن قال : (هو استقرار يليق بجلاله) فهو إذن لم يأت بشئ والأولى أن يقف عند النص ، والحق في هذا وأمثاله أن يقال استوى استواء يليق بجلاله مع اعتقاد عدم المشابهة وتفويض الحقيقة إلى الله إلا أن تقوم قرينة لا تدفع تصرف اللفظ عن ظاهره فنقف عند حدود هذا الصرف ولا نتجاوزه كما ذهب إليه السلف في معية الحق تبارك وتعالى بعلمه لا بذاته .

تلك أمور فصلناها وقررناها ولنا الفريقين على أنهما طرفا بحثاً كهذه مثال الأسلوب الذي نحاضوا به فيها وبذلك حققنا رجاء الكاتب وصارحناء بأن الحق ليس في أحد الجانبين فأين القصور إذن ؟

(٢) هذا من حيث موضوع النزاع ورأى المنار فيه بالذات وأظن أن فيما نقلناه في باب التفسير في هذه المعاني كفاية ومن أراد الاستزادة زدناه حتى يعلم أن المنار لا يشكر لماضيه في الحق ولا ينسى برنامجيه من الصدع به ولا يتناقض نفسه في الصواب وبقي بعد هذا أن نذكر حضرة الكاتب بعض ما فاتته معرفته من برنامج المنار الذي سارت عليه في ماضيهما ونريد أن نسير بها عليه في حاضرها .

صرح صاحب المنار بقاعدة وأسمائها قاعدة المنار الذهبية فقال : (نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه) فمواطن الخلاف باسبدي يقدم فيها العذر على التجريح وسوء الظن وذلك ما سنسير عليه إن شاء الله وقد قضى صاحب المنار حياته وهو يصدع بالتححرر من الحمد ويتعنى على أهل التقليد الأعمى الذين يقدمون أقوال الناس التي لم يثم عليها دليل على الأدلة الواضحة بغير برهان بين أيديهم إلا أن هذا قول فلان وفلان فهل يريدنا حضرة الكاتب على

هذا التقليد الذي نعاء صاحب المنار على أهله ؟ أم يريدنا متبعين للدليل والحق
ندور معه كيفما دار وإن خالفنا صاحب المنار ؟ وأظن أن حضرة الكاتب يذكر أن
الشافعي كان من تخلصاء تلاميذ مالك رضي الله عنهما وكلاهما في جلالة قدره
ورسوخه في علمه وتقواه لله بالمنزلة التي لا تتسامى إليها القوادح ومع هذا فلم
يمنع هذا الشافعي أن يخالف مالكاً وأن يكون له رأي ومذهب .

فتحن مع المنار وصاحبه عليه رحمة الله ورضوانه في الأصول الأساسية التي لا
خلاف فيها في منهاج الإصلاح العام وخطئه وفيما وضع الحق فيه واستبان وجه
الدليل عليه في الشؤون التي فيها مجال للتفكير والنظر ولا يمنعنا هذا من أن
نخالف صاحب المنار رحمه الله في الأمور التي لم يقم عليها الدليل المقنع في
نظرتنا على أن ندلي برأينا وحجتنا وتدع لكل من أراد التنبيه أن ينهنا لما قاتنا والله
الموفق للصواب .

حسن البنا .

* * *

(١) من غير أن يكون عليه دليل على أن مالكاً رضي الله عنه قد كان من تخلصاء تلاميذ الشافعي رضي الله عنه .

(٢) من غير أن يكون عليه دليل على أن مالكاً رضي الله عنه قد كان من تخلصاء تلاميذ الشافعي رضي الله عنه .

حول التوسل

الخلاف في هذا الأمر حول الجواز وعدمه وهو خلاف قديم شائع ، وهو من المعارك التي فرقت المسلمين ، وشغلتهم عن عظام الأمور ، ولقد شغل المسلمون به حتى في الفترات التي هجم الأعداء فيها على الإسلام والمسلمين ، يغيرون أصول شريعتهم ويبدلون نظام حياتهم ، والبعض في بلاد الإسلام يدير معركة أخرى ... هل يجوز التوسل أو لا يجوز ؟ وهذا ولا شك من الغفلة بمكان .

جاء في كتاب دستور الوحدة الثقافية ^(١) حول هذا الموضوع ، جوانب ترى أنها مفيدة وطيبة ، ونحاول أن نلخصها بإيجاز يقول المؤلف

١- التوسل إلى الله بذاته وأسمائه الحسنى على نحو ما جاء الحديث « اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » .

ومثل ما ورد في حديث حفظ القرآن الكريم « أسألك بجلالك ونور وجهك أن تغفر قلبي حفظ كتابك كما علمني » .

ومثل « أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك » .

وهذا النوع من التوسل لا شيء فيه يقينا ، بل هو فمة التوحيد .

٢- التوسل إلى الله بطاعته ، وما قدمنا من عمل صالح نرجو به وجهه الكريم وهذا المراد من قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ﴾ ^(٢) .

(١) تأليف الشيخ محمد الغزالي ص ١٦٩ وما بعدها بتصرف .

(٢) سورة المائدة : الآية ٣٥

وفي السنة حديث طويل ثلاثة أسد عليهم غار كانوا قد لجأوا إليه ، ولم ينجهم منه إلا توسل كل منهم بأحسن ما قدم من عمل (١)

وذلك مصداق قوله ﷺ : « تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة » .

٣- التوسل بدعاء الصالحين ، ومن تتوسم فيهم درجة الإحسان ودعاء المؤمنين بعضهم لبعض ثابت من عهد نوح الذي قال لربه : « رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا » (٢) .

وسواء كان الدعاء عن حضور أو عن ظهر غيب وسواء كان من الأعلى للأدنى أو الأدنى للأعلى فهو مأثور مأجور لما له من دلالة حسنة . إن الملائكة حملة العرش تقول في ورد دائم « ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم » (٣)

والخلف يدعون للسلف إشارة إلى وحدة المؤمنين في مجال العبودية وإن اختلف الزمان والمكان « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا » (٤)

والأمة الإسلامية تدعو لنبيها في كل أذان وصلاة مترجمة بهذا الدعاء أو بهذه الصلاة عن حبها له وشعورها بما أسدى حين علم وجاهد وهدى . . .

وكان السلف من الأصحاب رضوان الله عليهم إذا تخلف المطر وخيف القحط يتوسلون برسوله ﷺ ، فيرفع ذراعيه إلى السماء ويناشد الله رحمته فيجئ الغيث . . .

وقد توسل الصحابة بعد وفاة الرسول بعمه العباس - كان فيه رائحة النبوة - فأقبل العم الصالح يدعو وهو يحجل حتى نزل المطر .

(١) متفق عليه . رياض الصالحين ص ٦ - ١ (٢) سورة نوح : الآية ٢٨

(٣) سورة غافر : الآية ٧ (٤) سورة الحشر : الآية ١٠

إنه لا حرج أن تقول مؤمن تحسن به الظن : ادع الله لي ، أو ادع الله معي إن هذا النوع من التوسل لا حرج فيه كما رأيت .

٤- التوسل بذات الرسول وماله عند الله من مكانة ، وقد وجدت رأيين في ذلك .

أولهما : أنه لم يرد ، وأن نماذج الدعاء في الكتاب والسنة وهي كثيرة لم تتضمن شيئاً من ذلك بل تضمنت دعاءً مباشراً لله جل شأنه ، والاتباع في هذا الميدان أولى . . .

الثاني : أنه ورد توسل بشخص الرسول ﷺ في حديث الرجل الذي أصيب بالعمى ، واستشفع بالنبي إلى ربه في دعاء تعلمه منه - أو من غيره - فلما دعا الرجل به بهذه الصيغة رجع إليه بصره . . . قالوا : وهذا اللون من التوسل وإن لم يروى الصحيحان فقد جاء من طرق تزيد على العشرة مما يشهد له .

كلا الرأيين له ملحظ محترم عند من يقول بهما ، ومن الممكن اعتبار هذا الخلاف في شكل الأداء لا في حقيقة الوجهة . . .

إلا أن خصاماً شديداً وقع بين الفريقين كاد يتحول إلى قطيعة مزمنة .

والسبب عندي بحمل وزره الفريقان معا ، الفريق الأول وصف الثاني بالشرك ، والثاني وصف الأول بكراهية الرسول ، وتراشقوا جميعاً بالتهمة فلم يكسب الإسلام إلا فرقة مميّنة بين بنيي ، وزاد الطين بلة أن الفريق الثاني قاس على ذات الرسول من يراهم أهل صلاح وولاية فأتسعت الدائرة لتشمل المعارف والمنكرات ، ثم رأيناهم يتجاهلون أو تجاوز ما لا شك فيه من صيغ الدعاء ويقصر سؤاله الله على الصيغ التي فيها قولان وهذا جهل منكور .

وكان يجب على هؤلاء ألا يقيسوا على رسول الله شخصاً آخر ، فلا قياس في العبادات ، وكان يجب أن يتقربوا إلى الله أولاً بما صح في كتابه وسنة رسوله ، وإذا صحت لديهم صيغة فلتكن بعض ما يقال أو آخر ما يقال . .

ويقى أن تنصح هؤلاء الاتهام بالشرك أن ينظفوا سرائرهم واستههم من سوء
الظن ، وألا يتوا أحكاماً على أوهام . .

٥- التوسل إلى الله بدعاء المقرين منه ، وهذا مرفوض باتفاق العلماء فإن
مناجاة نبي أو ولي في قبره ، وعرض الحوائج عليه رجاء قضائها شرك .
ما يمنع أولئك الحمقى من سؤال الله وهو أقرب إليهم ، وأقدر على إجابتهم ؟
إن الانصراف عنه إلى غيره عمى وزور . . .

الواقع أن دعاء المقبورين أضحى مهزلة سخيفة ، وإن الاعتذار عن هذا المسلك
لا يستمع من أحد .

ونعود إلى التوسل بذات الرسول ﷺ حين يدعو المسلم ربه ، إن الخلاف بين
المجيزين والممانعين ، كاد يشبه الخلاف بين دينين ، ولم أر لذلك سبباً معقولاً .
وفي المسافة بين الفعل ورد الفعل نبت أحكام عن الصواب ، فرائنا ابن تيمية
يكبره زيارة قبر النبي ﷺ .

ماذا ؟ إن زيارة القبور كلها مسته ، فلم يند هذا القبر وحده ؟
لا ريب أن ابن تيمية فعل ذلك سداً للمريضة التوسل الذي أباه

الدين والسياسة وشمولية الإسلام

قلما نجد إنساناً يتحدث إليك عن السياسة والإسلام إلا وجدته يفصل بينهما فصلاً ، ويضع كل واحد من المعنيين في جانب فهما عند الناس لا يلتقيان ولا يجتمعان ، ومن هنا سميت هذه جمعية إسلامية لا سياسية ، وذلك اجتماع ديني لا سياسة فيه ، ورأيت في صدر قوانين الجمعيات الإسلامية ومتاهجها (لا تعرض الجمعية للشؤون السياسية) .

وقيل أن اعرض إلى هذه النظرة بتركبية أو تخطيطية أحب أن ألقت النظر إلى أمرين مهمين :

أولهما : أن الفارق بعيد بين الحزبية والسياسة ، وقد يجتمعان وقد يفرقان ، فقد يكون الرجل سياسياً بكل ما في الكلمة من معان وهو لا يتصل بحزب ولا يمت إليه ، وقد يكون حزبياً ولا يدري من أمر السياسة شيئاً ، وقد يجمع بينهما فيكون سياسياً حزبياً أو حزبياً سياسياً على حد سواء ، وأنا حين أتكلم عن السياسة في هذه الكلمة فإنما أريد السياسة المطلقة ، وهي النظر في شؤون الأمة الداخلية والخارجية غير مقيدة بالحزبية بحال . . هذا أمر .

والثاني : أن غير المسلمين حينما جهلوا هذا الإسلام ، أو حينما أعياهم أمره وثباته في نفوس أتباعه ، ورسوخه في قلوب المؤمنين به ، واستعداد كل مسلم لتفديته بالنفس والمال ، ولم يحاولوا أن يجرحوا في نفوس المسلمين اسم الإسلام ولا مظاهره وشكلياته ، ولكنهم حاولوا أن يحضروا معناه في دائرة ضيقة تذهب بكل ما فيه من نواح قوية عملية ، وإن تركت للمسلمين بعد ذلك قشوراً من الألقاب والأشكال والمظهريات لا تسمن ولا تغنى من جوع . . . فأقهموا المسلمين أن الإسلام شيء والاجتماع شيء آخر ، وأن الإسلام شيء والقانون شيء غيره ، وأن الإسلام شيء ومسائل الاقتصاد لا تتصل به ، وأن الإسلام شيء والثقافة العامة سواء ، وأن الإسلام شيء يجب أن يكون بعيداً عن السياسة .

فحدثوني بربكم أيها الإخوان ، إذا كان الإسلام شيئاً غير السياسة وغير الاجتماع ، وغير الاقتصاد ، وغير الثقافة ، فما هو إذن ؟ ... أم هو هذه الركعات الخالية من القلب الحاضر ، أم هذه الألفاظ التي هي كما تقول رابعة العدوية :

استغفار يحتاج إلى استغفار ، لهذا أيها الإخوان نزل القرآن نظاماً كاملاً محكماً مفصلاً ﴿ نبياناً لكل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ (١)

هذا المعنى المتضائل لفكرة الإسلام ، وهذه الحدود الضيقة التي حدد بها معنى الإسلام ، هي التي حاول خصوم الإسلام أن يحضروا فيها المسلمين ، وأن يضحكوا عليهم بأن يقولوا لهم لقد تركنا لكم حرية الدين ، وأن الدستور ينص على أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام .

الإسلام الشامل

أنا أعلن أيها الإخوان من فوق هذا المنبر بكل صراحة ووضوح وقوة ، أن الإسلام شيء غير هذا المعنى الذي أراد خصومه والأعداء من أبنائه أن يحضروه فيه ويقيده به ، وأن الإسلام عقيدة وعبادة ، ووطن وجنسية ، ومساحة وقوة ، وخلق ومادة ، وثقافة وقانون . وأن المسلم مطالب بحكم إسلامه أن يعنى بكل شؤون أمته ، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم .

واعتقد أن أسلافنا رضوان الله عليهم ما فهموا للإسلام معنى غير هذا ، فيه كانوا يحكمون ، وانه كانوا يجاهدون ، وعلى قواعده كانوا يتعاملون ، وفي حدوده كانوا يسبغون في كل شأن من شؤون الحياة الدنيا العملية قبل شؤون الآخرة الروحية ، ورحم الله الخليفة الأول إذ يقول : « لو ضاع مني عقل بغير لوجده في كتاب الله » .

بعد هذا التحديد العام لمعنى الإسلام الشامل ولمعنى السياسة المجردة عن الحزبية ، أستطيع أن أجهز في صراحة بأن المسلم لن يتم إسلامه إلا إذا كان سياسياً ، يعيد النظر في شؤون أمته ، مهتماً بها غيوراً عليها . وأستطيع كذلك أن أقول إن هذا التحديد والتجريد أمر لا يقره الإسلام ، وأن على كل جمعية إسلامية أن تضع في رأس برنامجها الاهتمام بشؤون أمتها السياسية وإلا كانت تحتاج هي نفسها إلى أن تفهم معنى الإسلام .

دعوني أيها الأخوة أسترسل معكم قليلاً في تقرير هذا المعنى الذي قد يبدو مفاجئاً غريباً على قوم تعودوا أن يسمعوا دائماً نفخة التفريق بين الإسلام والسياسة والذي قد يدع بعض الناس يقولون بعد انصرافنا من هذا الحفل : إن جماعة الإخوان المسلمين قد تركت ميادئها ، وخرجت على صفتها ، وصارت جماعة

(١) سورة النحل : الآية ١٦

سياسية بعد أن أن كانت جمعية دينية ، ثم يذهب كل متأول في ناحية من نواحي التأويل متنسباً بأسباب هذا الانقلاب في نظره ، وعلم الله أيها السادة أن الإخوان ما كانوا يوماً من الأيام غير سياسيين ، ولن يكونوا يوماً من الأيام غير سياسيين ، ولن يكونوا يوماً من الأيام غير مسلمين ، وما فرقت دعوتهم أبداً بين السياسة والدين ، ولن يراهم الناس في ساعة من نهار حزبيين ﴿ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ﴾ (١) ومحال أن يسيروا لغاية غير غايتهم أو يعملوا لفكرة سوى فكرتهم أو يتلونوا بلون غير الإسلام الحنيف ﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون ﴾ (٢) .



السياسة الداخلية

دعوني أيها الأخوة أسترسل معكم في تقرير هذا المعنى ، فأقول إن كان يراد بالسياسة معناها الداخلي من حيث تنظيم أمر الحكومة وبيان مهماتها وتفصيل حقوقها وواجباتها ومراقبة الحاكمين والإشراف عليهم ليطاعوا إذا أحسنوا وينقدوا إذا أساءوا ... فالإسلام قد عنى بهذه الناحية ، ووضع لها القواعد والأصول ، وفصل حقوق الحاكم والمحكوم ، وبين مواقف الظالم والمظلوم ، ووضع لكل حداً لا يعدوه ولا يتجاوزوه .

فالدساتير والقوانين المدنية والجنائية بفروعها المختلفة عرض لها الإسلام ، ووضع نفسه منها بالموضع الذي يجعله أول مصادرها وأقدس منابعها ، وهو حين فعل هذا إنما وضع الأصول الكلية ، والقواعد العامة ، والمقاصد الجامعة ، وفرض على الناس تحفيظها ، وترك لهم الجزئيات والتفاصيل يطبقونها بحسب ظروفهم وعصورهم ، ويبتعدون في ذلك ما وسعتهم المصلحة وواتاهم الاجتهاد .

وقد قرر الإسلام سلطة الأمة وأكدها ، وأوصى بأن يكون كل مسلم مشرفاً تمام الإشراف على تصرفات حكومته ، يقدم لها النصيح والمعونة ويناقشها الحساب ، وهو كما فرض على الحاكم أن يعمل لمصلحة المحكومين بإحقاق الحق وإبطال الباطل فرض على المحكومين كذلك أن يسمعوا ويطيعوا للحاكم ما كان كذلك ،

(٢) سورة البقرة : الآية ١٣٨

(١) سورة القصص : الآية ٥٥

فإذا انحرف فقد وجب عليهم أن يقرؤوه على الحق ويلزموه حدود القانون ويعيدوه إلى نصاب العدالة ، هذه تعاليم كلها من كتاب الله تبارك وتعالى ومن أحاديث رسوله ﷺ لم نقولها ولم نخترعها ، وإلى حضراتكم قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمَنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ . وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ . أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (١) ، إلى عشرات من الآيات الكريمة التي تناولت كل ما ذكرنا بالبيان والتفصيل .

ويقول رسول الله ﷺ في تقرير سلطة الأمة وتقرير الرأي العام فيها : « الدين النصيحة . قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » (٢) . . . ويقول أيضاً : « إن من أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » (٣) ، ويقول كذلك : « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله » (٤) . . . وإلى مئات الأحاديث التي تفصل هذا المعنى وتوضحه ، وتوجب على المسلمين أن يأمروا بالمعروف وأن ينهوا عن المنكر ، وأن يراقبوا حكامهم ويشرفوا على مبلغ احترامهم للحق وإنقاذهم لأحكام الله .

فهل كان رسول الله ﷺ حين يأمر بهذا التدخل ، أو الإشراف أو التناصح ، أو سببه ما شئت ، وحين يحضض عليه ، ويبين أنه الدين وأنه الجهاد الأكبر ، وأن

(١) سورة المائدة : الآيات ٤٨ - ٥٠ .

(٢) رواه مسلم : ٧٤/١ ورقم ٥٥ .

(٣) رواه الترمذي : ٤٠٩/٤ رقم ٢١٧٤ وابن ماجه : ١٣٢٩/٢ رقم ٤٠١١ .

(٤) مجمع الزوائد : ٢٧١/٩ وعزاه إلى الطبراني في المعجم الأوسط .

جزاءه الشهادة العظمى . . . يخالف تعاليم الإسلام فيخطط السياسة بالدين ، أم أن هذه هي طبيعة الإسلام الذي بعث الله نبيه ﷺ ، وأتانا في الوقت الذي تعدل فيه بالإسلام عن هذا المعنى تصور لأنفسنا إسلاماً خاصاً غير الذي جاء به رسول الله ﷺ عن ربه .

لقد تقرر هذا المعنى الفسيح للإسلام الصحيح في نفوس السلف الصالح لهذه الأمة ، وتخالط أرواحهم وعقولهم ، وظهر في كل أدوار حياتهم الاستقلالية قبل ظهور هذا الإسلام الاستعماري الخانع الدليل .

ومن هنا أيها الإخوان كان أصحاب رسول الله ﷺ يتكلمون في نظم الحكم ، ويجاهدون في مناصرة الحق ، ويحتملون عبء سياسة الأمة ، ويظهرون على الصفة التي وصفوا أنفسهم بها « رهبان بالليل فرسان بالنهار » حتى كانت أم المؤمنين عائشة الصديقة تخطب الناس في دقائق السياسة ، وتصور لهم مواقف الحكومات في بيان رائع وحجة قوية ، ومن هنا كانت الكتبية التي شقت عصا الطاعة على الحجاج وحاربه وأنكرت عليه بقيادة ابن الأشعث تسمى كتبية الفقهاء إذ كان فيها سعيد بن جبير وعامر الشعبي وأصبريهما من فقهاء التابعين وجلة علمائهم .

ومن هنا رأينا من مواقف الأئمة رضوان الله عليهم في مناصحة الملوك ومواجهة الأمراء والحكام بالحق ما يضيق بذكر بعضه - فضلاً عن كله - المقام .

ومن هنا كذلك كانت كتب الفقه الإسلامي قديماً وحديثاً فيأصه بأحكام الإمارة والقضاء والشهادة والدعوى والبيع والمعاملات والحدود والتعزيرات ، ذلك إلى أن الإسلام أحكام عملية وروحية ، إن قررتها السلطة التشريعية فإنما تقوم على حراستها وإتفاذها السلطة التنفيذية والقضائية ، ولا قيمة لقول الخطيب كل جمعة على المنبر ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ﴾ (١) ، في الوقت الذي يجيز فيه القانون السكر وتحمل الشرطة

(١) سورة المائدة : الآية ٩٠

السكبرين وتقودهم إلى بيوتهم أميين مطمئنين ، ولهذا كانت تعاليم القرآن لا تنفك عن سطوة السلطان ، ولهذا كانت السياسة الحكومية جزءاً من الدين ، وكان من واجبات المسلم أن يعنى بعلاج الناحية الحكومية كما يعنى بعلاج الناحية الروحية .

وذلك موافق للإسلام من السياسة الداخلية ،



السياسة الخارجية

فإن أريد بالسياسة معناها الخارجى ، وهو المحافظة على استقلال الأمة وحريتها وإشعارها بكرامتها وعزتها ، والسير بها إلى الأهداف المجيدة التى تحتل بها مكانتها بين الأمم ومنزلتها الكريمة فى الشعوب والدول ، وتخليصها من استبداد غيرها بها وتدخله فى شؤونها ، مع تحديد انصلة بينها وبين سواها تحديداً يفصل حقوقها جميعاً ، ويوجه الدولة كلها إلى السلام العالمى العام وهو ما يسمونه (القانون الدولى) . فإن الإسلام قد عنى بذلك كل العناية وأفتى فيه بوضوح وجلاء ، وألزم المسلمين أن يأخذوا بهذه الأحكام فى السلم والحرب على السواء ، ومن قصر فى ذلك وأهمله فقد جهل الإسلام أو خرج عليه .

قرر الإسلام سيادة الأمة الإسلامية وأستاذيتها للأمم فى آيات كثيرة من القرآن منها قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ ^(١) وقوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ﴾ ^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ والله العزة والمرسولة للمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ ^(٣) ، وأكد قوامتها وأرشدنا إلى طريق صيانتها وإلى ضرر تدخل غيرها فى شؤونها بمثل قوله تعالى : ﴿ بأيتها الذين آمنوا لا تتخذوا

(٢) سورة البقرة : الآية ١٤٣

(١) سورة آل عمران : الآية ١١٠

(٣) سورة المنافقون : الآية ٨

بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عتصم قد بدت البغضاء من أفواههم وما نخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ﴿١﴾ وأشار إلى مضار الاستعمار وسوء أثره في الشعوب فقال تبارك وتعالى : ﴿ إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ﴾ (٢).

ثم أوجب على الأمة المحافظة على هذه السيادة ، وأمرها بإعداد العدة واستكمال القوة ، حتى يسير الحق محفوظاً بجلال السلطة كما هو مشرق بأنوار الهداية ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ (٣) ، ولم يغفل التحذير من سورة النصر ونشوة الاعتزاز وما تجلبه من منجانبية للعدالة وهضم للحقوق ، فحذر المسلمين العدوان على أية حال في قوله تعالى : ﴿ ولا بجرمنكم شئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ (٤) ، مع قوله تعالى : ﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور ﴾ (٥).

ومن هنا أيها الإخوة وأبناء أخلاء المسجد ، وأنضاء العباد ، وحفظه الكتاب الكريم ، بل وأبناء الربط والزوايا من السلف رضوان الله عليهم ، لا يقتنعون باستقلال بلادهم ، ولا بعزة قومهم ، ولا بتحرير شعوبهم ، ولكنهم ينسابون في الأرض ، ويسبحون في آفاق البلاد فاتحين معلمين ، يحررون الأمم كما تحرروا ، ويهدونها بنور الله الذي اهتموا به ، ويرشدونها إلى سعادة الدنيا والآخرة ، لا يغشون ولا يغدرون ، ولا يظلمون ولا يعتدون ، ولا يستعبدون الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً .

ومن هنا رأينا عقبة بن نافع يخوض الأطلسي بلبه جواده قائلاً : اللهم لو علمت وراء هذا البحر أرضاً لمضيت في البلاد مجاهداً في سبيلك ، في الوقت

(٢) سورة النمل : الآية ٢٧

(٤) سورة المائدة : الآية ٨

(١) سورة آل عمران : الآية ١١٨

(٣) سورة الأنفال : الآية ٦٠

(٥) سورة الحجج : الآية ٤٦

الذي يكون فيه أبناء العباس الأشقاء قد دفن أحدهم بالطائف إلى جوار مكة ،
والثاني بأرض الترك من أقصى الشرق ، والثالث بأفريقيا من أقصى المغرب ،
جهاداً في سبيل الله وابتغاء لرضائه . وهكذا فهم الصحابة والتابعون بهم بإحسان
أن السياسة الخارجية من صميم الإسلام .



الحقوق الدولية

وأحب قبل أن اختتم هذا الاسترسال أن أؤكد لحضراتكم تأكيداً قاطعاً أن
سياسة الإسلام الداخلية أو الخارجية تكفل تمام الكفالة حقوق غير المسلمين ، سواء
أكانت حقوقاً دولية أم كانت حقوقاً وطنية للأقليات غير المسلمة ، وذلك لأن
شرف الإسلام الدولي أقدم شرف عرفه التاريخ ، والله تبارك وتعالى يقول :
﴿وَمَا تَخَافُنَ مِنْ قومِ خِيَانَةٍ فَإِنَّهُ إِليهِمْ عَلى سِوَاكَ إِنِ اللهَ لَا يَحبُ الخَائِنِينَ﴾ (١) ،
ويقول : ﴿إِلا الَّذِينَ عَاهَدتَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصوكَ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكَ
أَحَداً فَاتَّمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلى عَدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يَحبُ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢) ، ويقول تعالى :
﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَفُوكِلْ عَلى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣) .

ولئن كانت إيطاليا المتعمدة قد غزت الحبشة حتى استولت عليها ولم تعلن
عليها حرباً ولم تسبق إلى ذلك بإذار ، وحدثت حذوها اليابان الراقية فهي تخارب
الصين ولم تخطرهما ولم تعلنها ، فإن التاريخ لم يؤثر عن رسول الله ﷺ ، ولا
عن صحابته أنهم قاتلوا قوماً أو غزوا قبيلاً دون أن يوجهوا الدعوة ويتقدموا
بالإنذار وينبذوا إليها على سواء .

وقد كفل الإسلام حقوق الأقليات بنص قرآن هو قول الله تبارك وتعالى :

(٢) سورة التوبة : الآية ٤

(١) سورة الأنفال : الآية ٥٨

(٣) سورة الأنفال : الآية ٦١

﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ (١)

كما أن هذه السياسة الإسلامية نفسها لا تنافي أبداً بالحكم الدستوري الشورى ، وهي واضحة أصيلة ومرشدة الناس إليه في قوله تعالى من أوصاف المؤمنين : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿ وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾ (٣) ، وقد كان ﷺ يشاور أصحابه وينزل على رأى الفرد منهم متى وضح له صوابه كما فعل ذلك مع الحباب بن المنذر في غزوة بدر ، ويقول لأبي بكر وعمر : لو اجتمعتما ما تخالفكما ، وكذلك ترك عمر الأمر شورى بين المسلمين ، وما زال المسلمون بخير ما كان أمرهم شورى بينهم .

* * *

سعة التشريع الإسلامى

كما أن تعاليم الإسلام وسياسته ليس فيها معنى رجعى أبداً ، بل هي على أدق قواعد التشريع الصالح ، وقد اعترف التشريع لكثير منها - وسيكشف الزمن للناس على جلاله ما لم يعرفوا - بأنها قد سبقته في دقة الأحكام وتصوير الأمور وسعة النظر ، وشهد بذلك كثير من غير المسلمين كما ورد كثيراً في كلام المسيو لامبير وأضرابه ، وأكدت ذلك مؤتمرات التشريع الدولية على أن الإسلام قد وضع من القواعد الكلية ما يترك للمسلم باباً واسعاً في الانتفاع بكل تشريع نافع مفيد لا يتعارض مع أصول الإسلام ومقاصده ، وأثاب على الاجتهاد بشروطه ، وقرر قاعدة المصالح المرسلة ، واعتبر العرف ، واحترم رأى الإمام . كل هذه القواعد تجعل التشريع الإسلامى فى الذروة السياسية بين الشرائع والقوانين والأحكام .

هذه معان أحب إليها السادة أن تلذع بشتا وأن ندبّعها في الناس ، فإن كثيرين لازالوا يفهمون من معنى النظام الإسلامى ما لا يتفق بحال مع الحقيقة ، وهم لهذا يتفرون منه ويحاربون الدعوة إليه ، ولو فقهوه على وجهه لرجعوا به ولكانوا من أوائل أنصاره وأشدهم تحمساً له وأعلاهم صوتاً في الدعوة إليه .

* * *

(٢) سورة الشورى : الآية ٤٢

(١) سورة الممتحنة : الآية ٨

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٥٣

**التحذير
من
البدع
والمحدثات**

**التحذير من البدع والمحدثات (١)
وبيان بعض البدع المنتشرة**

لقد أكرم الله أمتنا نحن المسلمين إذ بعث فينا رسولنا محمداً ﷺ وختم به المرسلين ، وجعل رسالته إلى الناس جميعاً ، وأكمل بها نعمته على البشرية كلها إلى يوم الدين ، فهي سبيل الهدى وصراط الله المستقيم ، وقوام صلاح البشرية وعماد عزها وسعادتها ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ (٢) .

فالإسلام هو شرعة الله الخالدة ، ارتضاه الله ديناً لهداية الإنسانية ، واستقامة حياتها ، ومصدر هذا الدين كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، ولا يقبل الله من أحد عملاً إلا إذا صدقت النبوة ، ووافق هذا العمل شرع الله في كتابه وما سنه رسوله ، وقد قال ﷺ فيما رواه مسلم : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) ، وفي الحديث المتفق عليه (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) . وأخذ المسلمون أنفسهم بهذا في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته ، وكان أمر الخلفاء الراشدين عليه ، وأمر من سار على نهجهم ، لا يستبيح أحد لنفسه أن يحدث شيئاً يخالف من كان عليه الهدى النبوي في صورته أو كلفته أو زمانه أو مكانه .

(١) بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ متاع القطان

(٢) سورة المائدة : الآيةان : ١٥ ، ١٦

وقد اتسعت الفتوحات الإسلامية ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وامتد سلطان الإسلام على أنحاء المعمورة ، فتسلسل خلال هذا الاتساع إلى الأمة الإسلامية نفر من رضى القلوب ، يظهرون الإسلام ويبطنون العداء له ، ولم يكن لديهم قدرة على مواجهة المسلمين ، فاتخذوا يدسون في الدين ما ليس منه ، وأحدثوا من الأقوال والأفعال ما لا أصل له في كتاب أو سنة ، ليفسدوا على المسلمين دينهم ، ويضعفوا شأنهم ، ويشيروا الفتنة والفرقة بينهم ، ويشعلوا نار العدواة في صفوفهم .

وتتابع هذا منذ عبد الله بن سبأ اليهودي ومبتدعاته في الرجعة والحلول والتشيع وسار على دونه من ثقت مسمومة فيهم جيلا بعد جيل ، وتفرعت مسائلهم وتعددت وسائلهم ، ولكنهم جميعا ينحدرون من أصل واحد ، ويعملون على الابتداع في الدين .

وهذا هو ما نبه إليه رسول الله ﷺ وحذر منه في حديث العرياض بن سارية الذي رواه أبو داود والترمذي وصححه ، قال : (صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ، ثم أقبل علينا ، فوعظنا موعظة بليغة ، ذرقت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال قائل : يا رسول الله كأنها موعظة مودع ، فماذا تعهد إلينا ، فقال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبدٌ حشيشٌ ، فإنه من بعث منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة) .

وكرر رسول الله ﷺ الأمر بالتمسك بالسنة والتحذير من البدعة ، ففي حديث جابر عند مسلم وغيره (كان رسول الله ﷺ إذا خطب أحمرت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد غضبه ، كأنه منذر جيش يقول : صحبكم ومساكم ، ويقول : بعثت أنا والساعة كهاتين ، ويقرن بين أصبعيه : السبابة والوسطى ، ثم يقول : أما بعد فإن خير الأمور كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور

محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة) ، وفي رواية النسائي بزيادة (وكل ضلالة في النار) ، وروى البخاري نحوه موقوفاً على ابن مسعود .

والبدعة في اللغة : اسم هيئة من الابتداع ، كالرفعة من الارتفاع ، وهي كل شيء أحدث على غير مثال سابق ، سواء كان محموداً أو مذموماً ، والبديع من أسمائه تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها على غير مثال : ﴿ بديع السموات والأرض ﴾ (١) ، فإنه تعالى بدأ الخلق على غير مثال تقدمه وفق ما أراد .

والمحدثات : جمع محدثة ، من أحدث الشيء إذا ابتدعه وأوجده .

والمراد بالبدعة في الحديث وكذلك المحدثات : كل ما أحدث مالا أصل له في الشرع يدل عليه قولاً كان أو عملاً ، فإن الأحكام المتعلقة بأفعال العباد وأقوالهم ثلاثة :

حكم يقتضيه معنى الأمر ، وهذا يكون للإيجاب أو الندب ، وحكم يقتضيه معنى النهي ، وهذا يكون للتحريم أو الكراهة ، وحكم يقتضيه معنى التخيير ، وهو الإباحة ، والذي ينهي عنه :

قد ينهي عنه لذاته ، ويسمى فعله معصية وإثمًا ، ويسمى فاعله عاصياً وإثماً ، وقد ينهي عنه لكونه مخالفاً لظاهر التشريع من حيث الحقيقة أو الكيفية أو التزام هيئة معينة ، أو زمن معين ، مع الاستمرار على ذلك ، وهذا هو الابتداع والبدعة ويسمى فاعله مبتدعاً ، فالبدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية .

والدين اتباع لا ابتداع ، جاء في البخاري ومسلم وغيرها : (أن عمر بن الخطاب وقف أمام الحجر الأسود عند الطواف بالبيت وقبله وقال : إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك ، وروى الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح عن ابن مسعود قال : اتبعوا ولا تباعدوا فقد كفيتم) .

(١) سورة البقرة : الآية ١١٧ ، سورة الانعام : الآية ١٠١

ولكن عوام الناس يبهروهم الجديد ، فتروج لديهم البدعة ، وتتفق بضاعتها وتنتشر بينهم ، ومما يساعد على انتشارها عمل العالم بها ، حيث يقلده الناس لثققتهم في عمله ، واعتقادهم أنه لا يعمل إلا ما كان صواباً ، بل إن سكوت العلماء عن بيان البدع ووجه الابتداع مع وجودها في مجتمعهم يجعل العامة يعتبرون هذا السكوت إقراراً منهم على ذلك .

وقد بين (الشاطبي) في (الاعتصام) أقسام البدعة ، سواء كانت حقيقة ... أم إضافية أم تركية .

فالبدعة الحقيقية : هي التي لم يدل عليها دليل شرعي من كتاب أو سنة أو إجماع ، أو استدلال معتبر عند أهل العلم ، لا في الجملة ولا في التفصيل وإن ادعى المبتدع أنها داخلة فيما استنبط من الأدلة مستنداً إلى شبهة لا عبرة بها في الاستدلال .

ومن أمثلتها تحريم الحلال أو تحليل الحرام لشبهة واهية كأولئك الثلاثة الذين عزم أحدهم على أن يقوم الليل فلا ينام ، وعزم الثاني عن أن يصوم فلا يفطر ، وعزم الثالث على أن لا يتزوج النساء ، فقال لهم رسول الله ﷺ في الحديث المتفق عليه : (من رغب عن سنتي فليس مني) .

والبدعة الإضافية : هي التي لها جهتان ، فهي بالنسبة إلى إحدى الجهتين سنة لاستنادها إلى دليل ، وبالنسبة إلى الجهة الأخرى بدعة لأنها مستندة إلى شبهة لا إلى دليل ، أو هي لا تستند إلى شيء مطلقاً .

سميت إضافية لأنها لم تخلص لأحد الطرفين : المخالفة الصريحة ، أو الموافقة الصريحة ، أو لأنها إضافية في الدين وزيادة فيه .

ومن أمثلتها تخصيص يوم أو أيام - غير مانهى الشارع عن صومه ، أو نذبه إلى صومه - بالصوم ، والمداومة على ذلك ، وتخصيص الأيام الفاضلة بأنواع من العبادات لم تشرع لها خاصة ، كتخصيص نهارها بصيام أو صدقة ، وتخصيص ليلها بقيام أو قراءة أو ذكر ، فإن هذا يكون تشريعاً رائداً ما لم يكن

بحكم الوفاق وقد نهى ﷺ عن تخصيص يوم الجمعة بصيام أو ليلاً بقيام ، لما في ذلك من مفسدة تخصيص ما لا خصوصية له .

والبدعة التركية : هي أن يحرم على نفسه ما أحله الشرع فيتركه لدينا ، فإن هذا يكون معارضة للشارع فيما شرعه من التحليل .

ومن أمثلتها أن يترك أكل اللحم ، أو أكل الخلوى ، أو أى طعام بعينه ، لا على سبيل الحمية من المضرات ، لا طلباً للتداوى ، وإنما يكون الترك تديناً ، لهذا من الابتداع في الدين ، والاعتداء على الشارع ، وقد قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (١) ، ونظير هذا ترك المباح الطيب من الثياب والفرش وملازمة الحشن منها ، إشاراً للحرمان ، وتقرباً إلى الله من غير غرض صحيح كمقاومة شهوة ، أو الخوف من الإسراف في المتعة ، فإن التزام هذا يجعل العامة يظنون أنه مطلوب شرعاً .

وما أكثر البدع قديماً وحديثاً ، كبدعة الموالد ، مولد الرسول ﷺ ، أو مولد أحد من الصالحين ، أو مولد زعيم أو قائد ، أو رئيس ، حيث تذيب الذبائح والقرايين ، ويختلط الرجال بالنساء ، ويكون الرقص والضرب بالدقوف والدعاء والنذر والذبح لغير الله ، أو حيث يتخذ من ذكرى مولد القادة - والرؤساء أعياداً تعطل فيها المصالح وتقام المهرجانات وتنشر الزينات .

والمشهور أن أول من أحدث بدعة مولد الرسول ﷺ المعز لدين الله الفاطمي في القرن الرابع الهجري ، ثم أبطل ذلك ، حتى أحدثه الملك المظفر في عهد صلاح الدين الأيوبي في أواخر القرن السادس ، وأوائل القرن السابع الهجري ، ثم عمّم وتطورت مظاهره في عصور الضعف ، ذلك لأن من طباع البشر أن يبالغوا في مظاهر تعظيم أئمة الدين ، أو أئمة الدنيا في طور ضعفهم في أمر الدين أو أمر الدنيا ، لأن هذا التعظيم لا مشقة فيه على النفس ، فيجعلونه بدلاً

(١) سورة المائدة : الآية ٨٧

بما يجب عليهم من الأعمال الحادة الشاقة التي يقوم بها أمر الدين أو الدنيا وإنما التعظيم الحقيقي بطاعة المعظم والنصح له ، والقيام بالأعمال التي يقوم بها أمره ويعتز دينه إن كان رسولا ، وملكه أن كان ملكا ، وكان السلف الصالح أشد عن بعدهم تعظيماً للنبي ﷺ ، ثم للخلفاء الراشدين من بعده ، ناهيك ببذل أموالهم وأنفسهم في هذا السبيل ، ولكنهم دون أهل هذه القرون التي ضاع فيها الدين في التعظيم النسبي والمظاهر الزائفة والبدع المضلة .

ومن البدع الشائعة القول بارتفاع التكاليف الشرعية عند الوصول إلى مرحلة معينة من التجرد - كما يقولون - فلا تحجب عند ذلك طاعات ، ولا تحرم محرّمات ، بل بصير الأمر حسب الهوى والرغبات .

ومنها اتخاذ ذكرى موت بعض الأئمة يوم آسى وحزن ، يلقى فيه على الصدر بالأيدى والأحجار وقطع الحديد ، حتى تدمى وتتررم ، والصادق في حبه من يلقى حتفه .

ومنها إنكار الاحتجاج بالسنة ، أو تقديم العقل على النقل وجعله أصلاً واعتبار الشرع تابعاً له ، وإصدار بيانات ومواقف ما أنزل الله بها من سلطان ، وإنزال القرآن ، بل وتسميتها الأصل المعاصرة .

ومنها تخصيص أماكن بعينها ، كبئر أو شجرة أو نحوها ، بؤمها الناس ويقصدونها للزيادة - يذكر الله عندها ، ويلتمسون جلب خير أو دفع ضرر .

ومنها حلقات الذكر الجماعي بأصوات عالية تشبه الغناء ، وقد قال تعالى : ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين ﴾ ^(١) ، والمعتدون هم الرافعون أصواتهم بالدعاء ، وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال : رفع الناس أصواتهم بالدعاء ، فقال رسول الله ﷺ : أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصماً ولا غائباً ، إن الذين تدعون سميع قريب .

وكان أسلافنا الأوائل يتوخون السنة ويتجنبون ما فيه شبهة بدعة .

(١) سورة الأعراف : الآية ٥٥

ومن علماء الصحابة من كانوا يتركون بعض السنن ، كترك التوضحية في عيد النحر لئلا يظن الناس أنها واجبة ، ونقل عن الإمام مالك كراهة التزام صيام ست من شوال عقب رمضان مخافة أن يلحق أهل الجاهلية بربضان ما ليس منه ، مع أن الحديث في صيامها معروف عند مالك ، وهو ثابت الصحة ، ولكن سد فرائع البدع يقتضي ترك المستحب أو ترك السنة أحياناً ، وكذلك أثر عنه كراهية التزام قراءة السجدة في صلاة فجر يوم الجمعة سداً لهذه البدعة .

ومن أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله ﷺ نوحان الرسالة ، لأن الله يقول : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ (١) فمات لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً ، ولن يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها .

ولا يقال : إن من البدع ما هو بدعة حسنة لقول عمر رضي الله عنه في اجتماع المسلمين على إمام واحد بصلاة التراويح (نعمت البدعة هذه) والحديث في الصحيحين وغيرهما ، فإن اجتماع الناس على إمام واحد في صلاة الليل له أصله في الشرع ، إذ أن رسول الله ﷺ بدأ به ، ثم توقف مخافة أن تفرض صلاة الليل ، أما وقد توفي ﷺ ولا تشريع بعده ارتفع هذا الخوف ، فيكون فعل عمر رضي الله عنه في اجتماع المصلين على أبي بن كعب إحياء شيء جاء النص بعموم استحبابه ، وتسميته بدعة باعتبار المعنى اللغوي لا المعنى الشرعي .

ولا يقال كذلك : إن الناس يصنعون هذا عن حسن نية ، فإن حسن النية لا يبيح الابتداع في الدين ، وما أحدثه أهل الملل قبلنا من التغيير في دينهم والابتداع فيه كان عن حسن نية كذلك ، فيسيئون من حيث يظنون أنهم يحسنون صنعا ، وما زالوا يتبدعون حتى صاروا أديانهم غير ما جاءت به رسلهم .

وينبغي أن يعلم أن البدعة الشرعية هي ما أحدث عما لا أصل له في الشريعة

(١) سورة المائدة : الآية ٣

يذل عليه فيما تعبدنا الله به ، لأنه يخرج بالمؤمن عن دين الله ، ويغتصب حق
الشارع في بيان الشرع ، فيضع المبتدع نفسه موضع من يرى أن شرائع الله ناقصة
أو قاسدة فأكملها وأصلحها بابتداعه ، أو موضع من يرى أن الرسول ﷺ الذي
اصطفاه الله لتبليغ دينه قد قصر فيما أمر بتبليغه ، وحجز عن عباد الله بعض ما
يقربهم إلى الله .

أما ما لم يتعبدنا الله بشئ منه ، وإنما فوض الأمر لنا فيه باختيار ما نراه موافقا
لمصلحتنا ومحققا لحيرنا حسب العصور والبيئات ، فإن الإبداع فيه لا يكون من
الابتداع في الدين ، ولكنه من مقتضيات التطور الزمني الذي لا يسع بالوقوف
في مسائل الحياة المتجددة عند الموروث عن الآباء والأجداد ، وإلا تخلفت الأمة
عن الركب المجد في مسيرة الحضارة ، وصارت في عزلة لا يعرف لها وجود .

وقد هدانا الإسلام إلى الأسس العامة التي يقوم عليها العمران البشرى في
مرافق الحياة كلها ، وأطلق لنا حرية البحث والنظر وسلوك الطريق الأفضل
للتقدم والازدهار .

فالتفكير في طرق الإصلاح الزراعي والصناعي والاختراع بأسباب الرقي
الحضاري وإعداد القوة تعليميا وثقافة واختراعا وابتكاراً ليس بدعة مذمومة ولكنه
واجب الأمة للحفاظ على دينها حتى تصبح أمة عزيزة مرهوبة الجانب وبهذا أخذ
أسلافنا الأوائل ، فأشادوا لنا صرح الإسلام الشامخ في حضارته السامقة التي
تطاولت وتتطاول على حضارات الأمم قديمها وحديثها ، ولكنهم كانوا في
إبداعهم بمجالات الحضارة متميزين بشخصيتهم الإسلامية في العقيدة والعبادة
والحلال والحرام ، فأعزهم الله بالإسلام ، وأعز الإسلام بهم .



خاتمة

وبعد أيها الإخوان ، فهذه نظرات سيضحت لها كثير من الناس حين يستمعون إليها ، وأولئك هم الذين يشعرون أنهم قد غفلوا عن تأييد الله لعباده المؤمنين ، وجهلوا أن هذا الذي تجهرون به اليوم ليس شيئاً جديداً ولكنه دعوة الإسلام التي جاء بها رسول الله ﷺ وجاهد في سبيلها وعمل لها أصحابه من بعده ، والتي يجب على كل مسلم يؤمن بالله ورسوله وكتابه أن يعمل لها كما عملوا ويجاهد في سبيلها كما جاهدوا .

أما أنتم أيها الإخوان فتؤمنون بذلك كله ، وتعتقدون ، أن الله غالب على أمره ، وأن معكم على ذلك البرهان العلمي والتطور التاريخي والوضع الجغرافي والتأييد الرباني ، وتجدون البشرية في قون رب العالمين : ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ولجعلهم أئمة ولجعلهم الوارثين﴾ (١) ، واعملوا وانتظروا ساعة الفوز وترقبوا وقت الانتصار . . . والله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حسن البنا .



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تقديم للشيخ محمد عبد الله الخطيب	٥
رسالة الإمام الشهيد حسن البنا	٩
حديث مع الإمام الشهيد حسن البنا	١١
أركان البيعة	٢٤
الفصل الأول - ركن الفهم	
الركن الأول : الفهم	٢٧
مدخل عام حول الأصول العشرين	٢٩
ضرورة الفهم الصحيح	٢٩
ضرورة العمل	٣١
خط الانحراف	٣٣
العمل على جمع كلمة المسلمين	٣٥
الحرص على وحدة الفهم	٣٨
تحديد البدعة	٤٠
الأصل الأول	٤٧
الأصل الثاني	٥٨
الأصل الثالث	٦٤
الأصل الرابع	٦٩
الأصل الخامس	٧٢

٨٣	الأصل السادس
٨٧	الأصل السابع
٩١	الأصل الثامن
٩٤	الأصل التاسع
١٠٦	الأصل العاشر
١١٤	الأصل الحادي عشر
١١٩	الأصل الثاني عشر
١٢٣	الأصل الثالث عشر
١٣٠	الأصل الرابع عشر
١٣٥	الأصل الخامس عشر
١٣٨	الأصل السادس عشر
١٤٣	الأصل السابع عشر
١٤٦	الأصل الثامن عشر
١٥٠	الأصل التاسع عشر
١٥٥	الأصل العشرون

الفصل الثاني

١٦٣	الركن الثاني : الإخلاص
١٧١	الركن الثالث : العمل
٢٢٠	الركن الرابع : الجهاد
٣٢١	الركن الخامس : التضحية
٢٤٠	الركن السادس : الصّاعة

٢٤٦	الركن السابع : الثبات
٢٥٦	الركن الثامن : التجرد
٢٦٠	الركن التاسع : الأخوة
٢٦٤	الركن العاشر : الثقة

الفصل الثالث

٢٧١	واجبات الأخ العامل
-----	--------------------

الفصل الرابع

٢٨١	فتاوى المنار
٢٨١	ملحق حول آيات الصفات وأحاديثها ومذهب السلف والخلف
٢٩٤	حول التوسل
٢٩٨	الدين والسياسة وشمولية الإسلام
٢٩٩	الإسلام الشامل
٣٠٠	السياسة الداخلية
٣٠٣	السياسة الخارجية
٣٠٥	الحقوق الدولية
٣٠٦	سعة التشريع الإسلامي
٣٠٧	التحذير من البدع
٣١٥	خاتمة
٣١٧	المفهرس

